أحمد زكي

صفقات الشيطان

رواية — آبيجوس

سادر للكتب

دقات شيطانية

آبيجوس

أحمد زكي

دقات شيطانية آبيجوس

رواية

هذه المرة أقف على أعتاب الجنون بلا خجل..
أقف على بوابة الجنون وأنظر لعالم العقل الواعى من خلفى مترددا إلى حد ما، ثم أتخذ القرار بصعوبة فأمد قدمى طواعية لأعبر بوابة العقل إلى الجنون..
الجنون!
يقولون أن المجنون هو شخص بلغ مرحلة غير مسبوقة من شفافية الروح لدرجة أن عقله صار يستطيع الإحساس بما لا يمكن أن نشعر به.. يعبر العوالم الموازية ويسبح فى الملكوت مع الملائكة ويغوص فى الجحيم مع الشياطين.. هو يرى ما لا نراه ويسمع ما لا نسمعه ويشم ويتذوق ما لايمكن أن نصل إليه بعقلنا الواعى أبدا.. ألا تراهم أحيانا يعانون نوبات من الهلع غير المبرر أو يطلقون لأنفسهم العنان فى ضحكات متتالية لاتدرى علام يضحكون أو لماذا يضحكون..
حسنا..
أنا دخلت لعالم الجنون بأريحية ونعومة.. رأيت لمحة من عدة عوالم مروعة لا يمكن أن تكون حقيقية ولكنها حقيقية..
حقائق لا يمكن أن تكون موجودة لكنها موجودة..
دعنا نلتمس طريقنا معا، ولا تنس أن تودع من تهتم لأمرهم.. بعد كل شىء أنت لا تدرى هل تعود من هناك أم لا!

(حكاية غير منطقية)
يرويها: أحمد زكي

جلست أتأمل منظره في دهشة كبيرة.. تبدو على وجهه آثار تعب غير طبيعية، وملابسة ملوثة ببقع من الدماء.. كان ينظر لنا بعينين ملأهما الخوف والتحدى مع الهدوء..مزيج غريب لا يمكن أن تفهمه.. قلت له:

- هل يمكنك أن تحكي كل شيء؟
- يمكنني أن أحكي لك كل شيء..
- وكيف يمكنني تصديق كلامك؟
- لا يمكنك.. أنت ستسمعني فقط ثم تقرر ما الذي يمكنك فعله.. إما أن تساعدني وإما أن تتركني أذهب.. ليس لديك اختيار آخر..

نظرت لد. (جلال) الذي أشار لي أن (نعم)! ما الذي يقصده؟
عدت أنظر لـ(أحمد زكي) الجالس أمامي وقلت له:

- إذن.. إحك.. ولنحدد فى النهاية ما الذي يمكننا أن نفعله!

ابتسم، وتمطى في مقعده قبل أن يتكلم:

- أعيروني انتباهكم.. فالقصة ستطول حكايتها.

** ** ** ** **

تمطعت فى فراشى أتثاءب فى قوة وكسل رائعين وأنا أنظر عبر ستائر النافذة التى تعكس ضوء الشمس الجميل على الحجرة الفاتحة اللون..
الفراش مريح وثير يغريك بالبقاء فيه فترة أطول، بينما تحتضنك البطانية الكثيفة لتورثك شعورا مبهرا من الراحة..
نهضت فى كسل لأفتح الستائر وأنظر إلى البحر الواسع أمامى.. الهواء منعش رائع ورائحة اليود تثير فى نفسى شتى أحاسيس الراحة والجوع..
لكن..

أين أنا؟
الغريب أنى لا أعرف شيئا ولا أذكر شيئا! أعرف اسمى وأعرف أنى هنا، لكن أين هو هذا الـ(هنا) بالضبط؟
تلفت حولى فى توتر وليد.. هل من اللائق أن أفقد ذاكرتى هنا الآن؟ لا أفهم!
ربما يساعدنى أحد عمال الفندق.. كيف عرفت أنه فندق؟
طبعا لأن هذه ليست شقتى.. شقتى صاخبة تبدو دائما كساحة حرب انتهت حالا؛ بسبب ابنى وصراخ زوجتى المستمر وصراع الفتاتين المتواصل!
بحثت بعينى عن هاتف الفنادق المعتاد، ولكن لا يوجد هنا هاتف! بحثت بعناية فى الأدراج عن هاتفى المحمول أو أى وسيلة تواصل بلا جدوى..
إذن، سأخرج من هنا وأنزل لاستقبال الفندق ربما وجدت هناك من يدلنى على أى شىء.. الغريب أن الصمت يلف المكان بشكل عجيب! صمت يجعلك تسمع صفيرا.. الصمت الذى يؤذى الأذن لو كنت تفهم قصدى!
أخذت أبحث عن ملابسى بعينى فلم أجد شيئا.. فتحت الدواليب فارتطمت عيناى بظلام دامس مغلف برائحة الخشب والغراء المميزة للدواليب الجديدة!
تحت الفراش لا ملابس.. فى الحمام الملحق أيضا لا توجد ملابس! لا شىء يسترنى سوى روب خفيف يجعلنى أبدو كأوغاد السينما المصرية!
لا مفر إذن من الخروج من هنا بهيئتى هذه ولأرى ماذا يمكننى أن أفعله.. وهنا انتبهت لأمر أسوأ.. أنا لا أعرف أين باب الحجرة!
أين الباب؟
لا باب!
تسارعت دقات قلبى وصارت أنفاسى متسارعة بينما غزا طنين تدفق الدماء المتسارع أذنى.. حيرة قاتلة وخوف مطبق ضغطا على صدرى.. أين أنا وما الذى جاء بى إلى هنا!
يا إلهى الرحيم ساعدنى.. هرولت إلى النافذة المغلقة لأفتحها قبل أن أكتم صراخا جزعا!
ما أن فتحتها حتى هبت منها على رياحا ساخنة كأشد ما تكون السخونة.. أشد من الهواء الساخن الذى يخرج عليك من فرن الخبز فى يوم قائظ الحرارة، حتى شعرت أنى لا أكاد أقوى على التنفس، ومن بعيد رأيته يتقدم نحوى.. من بعيد يتقدم بشكل عجيب كأنه يطوف فى الهواء ولا يمشى، أو هذا بالفعل ما يحدث.. يتقدم كأنك تقرب صورة على هاتفك!

لا أرى أى معالم حولنا.. اختفى البحر واختفت السماء واختفى الصمت ليحل محله زئير نيران وصرير أشياء لا تفهمها وصرخات ماجنة مابين الألم والمتعة والذنوب القاتمة.. سواد مشبع بلون أحمر مخيف!
هل أنا فى الجحيم؟ هل مت ودخلت النار؟
لكن أنا رأيته من قبل.. هذا القادم، أنا أتذكره.. مازال كما هو بلا أى تغيير.. طويل.. وسيم.. يرتدى ملابسا سوداء لا يمكنك إدراك معالمها بالضبط، وعيناه تشتعلان نارا! ليس هذا تشبيها ولا قولا مجازيا، إنما عيناه بالفعل تشتعلان بالنار بدلا من سواد العينين، وخلفه يجلس رجل على كرسى.. الرجل يئن متألما، فترى الأوتاد تخرج من يديه وقدميه تثبتانه إلى الكرسى.. وجهه ممزق ملىء بالكدمات والسحجات والجروح.. النيران تتأجج حوله فيصرخ ويرفع عينيه إلى ويهمس فأسمعه رغما عن المسافة البعيدة:

- ساعدنى!

ينطقها ثم يرفع عقيرته بالصراخ عندما يضع الواقف أمامه يده فى أمعائه مباشرة ويبتسم..
تجمد الموقف للحظات مع صراخ الجالس، ثم - فى لحظة - وجدت عنقى بين يديه وأظافره الملوثة بالدم تنغرس فى لحمى مسببة ألما أسطوريا، فأمسكت بيديه أبعدها، والتى لدهشتى لم تكن بالصعوبة المتوقعة وأصرخ..
أصرخ وأصرخ وأصرخ وأهتز، ثم فتحت عينى على من ينادينى برفق..

- (أحمد).. (أحمد).. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.. ماذا أصابك؟ استيقظ يا (أحمد)..

فتحت عينى ببطء وأنا ألهث من فرط الألم والذعر..
قلبى يدق طبول الحرب وأنظر لعينى زوجتى التى لابد أنها تندب حظها الآن وتدعو على اليوم الذى قابلتنى فيه!
كل هذا الجنون ليس طريقة حياة مناسبة..
حاولت أن أهدأ وأتمالك أعصابى..
هدوء..
لا صوت إلا صوت أنفاسي اللاهثة..
قبل أن يقتحم أذنى وأذنها صوت زجاج ينفجر بدوى مروع ليتطاير فى الحجرة بأكملها ويتداخل مع صرخات زوجتى!

بلا أى سبب منطقى انفجرت المرآة الكبيرة فى حجرة النوم! وكان الزجاج المنفجر يشكل كلمة واحدة على خلفية الزجاج، وكأن نحاتا اقتطع الكلمة من قلب المرآة..
كانت الكلمة هى: ساعدنى!

** ** ** ** **

هشام!

** ** ** ** **

الوضع لايبشر بالخير.. هذا ليس حلما اعتياديا.. لا تحمل الأحلام هذه التفاصيل الدقيقة! وما فرصة أن تنفجر المرآة على شكل كلمة محددة؟
ليست الأمور طبيعية!
ألن ينتهى هذا الكابوس من حياتى؟ أنا رجل مسالم ولا أحب هذه المغامرات!
لو كنت لا تفهم شيئا فدعنى أحكى لك فى عجالة ما حدث:
صديقى الضابط (حسن) تعرضت زوجته لمس شيطانى مروع عقب أن وجدوا جثة فى منزل الأسرة الجديد، وكانت الجثة تحمل أوراقا غير مفهومة تشكل كتابا ما! أخت (حسن) الحمقاء الصغرى قررت أن تحتفظ بها خفية لحين تنتهى تحقيقات الشرطة! لكن الضابط (حسن) لم يكن يصدق فى هذه الأمور، فنقلها لمستشفى خاص بالحالات النفسية، لكن زوجته رحلت عن الشقة وبقى فيها الشيطان يعبث بأسرة (حسن).. وأخته الصغرى تعرضت لهلاوس قوية تجسد لها فيها (ملاك) يدعوها لفعل الخير – وطبعا هو ليس ملاكا على الإطلاق -، ويطلب منها ممارسات محددة.. لم تكن تعرف أنه يحولها لما يشبه الكاهنة! وعلى المستوى المحلى ظهر أحد القتلة المعتوهين على اليوتيوب فى مصر.. رجل يقتل الناس مباشرة على اليوتيوب بشكل بشع.. أقرب إلى القتلة المتسلسلين الذين نشاهدهم فى الغرب لكنه هنا فى مصر! مع الوقت نفهم أنها ممارسات عقائدية شيطانية، وأن هذا المنزل تحته (مسجد الشيطان) الذى بناه (أليستر كراولى) بنفسه فى أثناء وجوده فى مصر..
و(هشام) والذى كان يحمل (خاتم راؤول).. الخاتم الذى يمكنه من دخول عالم الشياطين كما يدخلون هم عالمنا.. حصل عليه لأن الشيطان الذى يرتدى ملابسا سوداء كان يعده ليكون قاتلا متسلسلا.. رسالة سامية يقوم بها الشيطان دوما، أن يسفك البشر دم إخوانهم! لكن (هشام) قاوم.. لم ترض هذه المقاومة الشيطان، الذى تأججت بداخله روح الانتقام.. (هشام) هذا كان ابن(راؤول) بنفسه!

راؤول هذا كان (مرنما) فى القصسطنطينية وقت أن فتحها محمد الفاتح، وكان الشيطان يتلاعب بعقله وقتها، ثم ماتت زوجته وبنتاه فى القصف.. أصيب بالجنون، واتجه من أقصى درجات الإيمان لأقصى درجات المعصية.. اتجه للشيطان ينهل من علمه كى ينتقم من (محمد الفاتح) بنفسه وهذا ما صار بشكل أو بآخر.. اكتسب قدرات خارقة لم يتخيل وجودها إنسان من قبل، وصنع الخاتم الذى حكيت عنه منذ قليل، وعاث فى الأرض فسادا لقرون طويلة! قبل أن يتوب ويعود إلى الله وينعزل.. بالطبع كانت نهايته مروعة بعد أن تزوج وأنجب هشام!
وهشام له قصة كبيرة لا مجال لذكرها الآن.. هذه هى الخطوط الرئيسة التى تمكنك من متابعة التالى.. (الأحداث بالتفصيل فى رواية : أرواح نجسة – إبليس يعلن عن نفسه – جبروت) لو كنت مهتما!
المهم أن (هشام) واجه بافوميت وأعوانه من عبدة الشياطين مواجهة رهيبة فى منزل حسن، نتج عنها وفاة زوجة وحسن وأمه، وللأسف أنا كنت حاضرا.. ثم تطورت المواجهة فى منزل(راؤول) القديم فى أوروبا، لينتج عنه انتقال (هشام) لعالم الشيطان للأبد، ومعه ذو السواد لينهدم المنزل وننتهى من هذه القصة..
أو هذا ما كنت أظنه!

** ** ** ** **

اعتدلت على فراشى لأتأمل الحجرة التى صارت غارقة فى بحر من فوضى الزجاج المتناثر..
- ماهذا الذى على رقبتك؟ هل أصابتك شظايا الزجاج؟
انتبهت للحرقان فى عنقى.. مددت يدى إلى الفراش أمامى ألتقط شظية زجاج لأرى فيها ماحدث.. وكأى فيلم رعب يحترم نفسه رأيت آثار أظافر ذى السواد تعلن عن نفسها بوضوح!
ألم يمت مع انتقال (هشام) به لعالمهم؟ طبعا لم يكن من الحكمة تصديق شىء كهذا.. من الواضح أنه لم يمت، ومن الواضح أنه قادم بقوة من أجلى أنا، وأنه لم ينس أو يتنازل عن أهدافه الدموية!
يا إلهى الرحيم.. أحتاج أن أسمع لآيات الذكر الحكيم فى هذا البيت الكئيب!
نهضت وأنا أرتجف بما أحفظه من كل الآيات القرآنية متجاهلا الكلام الكثير الذى تقوله زوجتى ولا أفقه منه حرفا.. بأعين زائغة بحثن عن المذياع القديم وفتحته باحثا عن إذاعة القرآن الكريم، ومع ارتفاع الآيات الحكيمة بدأ قلبى يعود لنبضاته الطبيعية، قبل أن ينفجر الجهاز كله فى وجهى!

ليلة سوداء؟
بالتأكيد!
ماذا أفعل؟

** ** ** ** **

عاونت زوجتى فى جمع الشظايا بصمت.. عيناها تحملان اتهاما صامتا لى أنى ولابد قد فعلت مصيبة ما، بينما أحمل ألف تساؤل مخيف فى أعماقى.. أنا لا أفهم! ويقتلنى الشعور بذنب لا أعرفه ولا أفهمه ولا أعرف كيف أخرج منه.. ألا يموت هؤلاء الأشرار أبدا أو يذهبون فى مكان لا يعرفوننى فيه!
اتصلت بالوحيد الذى يمكنه مساعدتى فى مثل هذه الأوقات العصيبة.. د. (جلال) العزيز، وما أن جاءنى صوته حتى ارتجف جسدى.. أنا أحبه ولكنى لا أريد مقابلته مرة أخرى ولا أريد رؤيته.. هناك أشخاص يرتبط وجودهم بالمصائب لو كنت تفهم قصدى، حتى ولو كانوا هم أنفسهم بلا مصائب!
أتانى صوته الوقور مرحبا، ورغما عنى خرج صوتى مهتزا وأنا أقول:

- أهلا د.(جلال).. كيف حالك!

ساد الصمت لثوان قبل أن يأتينى صوته متحشرجا:

- هجوم؟

إنه ذكى.. لا بد أنه عرف أنى لن أتصل به لمجرد حديث ودى.. أخبرته أن نعم وقصصت عليه التفاصيل.. لم يعطنى ردا واضحا وإن طلب (منى) تحصين بيتى وأسرتى بكل الطرق الممكنة، ثم آتيه إلى المكتب فورا!
والتحصين لو كنت لا تعلم هو قراءة آيات محددة من القرآن الكريم، تجمعها الرقية الشرعية فى سياق واحد، مع رش البيت بالكامل بالمياه النظيفة والملح الخشن..
فعلت مثلما قال.. هل سأذهب ببساطة وأترك أسرتى خلفى؟ لست مرتاحا لمثل هذا القرار ولكنى اعتدت أنه يعرف ما يفعله غالبا.. وقتها وجدته يتصل بى مرة أخرى ويطلب أن نذهب إليه جميعا وألا أتركهم وحدهم مهما كانت الظروف!
هذا أسوأ!
أنت ترى معى أن الأمور لا تدعو للاطمئنان.. هكذا ارتدينا جميعا ملابسنا ونهضنا لنذهب إليه.. لحسن الحظ أن زوجتى ليست فى مزاج الشجار.. لا أفهم هذا الصمت الذى هى فيه، ولكنها كانت تطيعنى وهذا ما يهمنى فى الوقت الحالى.. نظرت للأطفال فى إشفاق وهم منكوشى الشعر مبعثرى الثياب..

لابد أن ينتهى هذا الأمر قريبا!
الليل وصوت أقدامنا على السلم..
رائحة الرطوبة مع البرد الذى يبعث فيك ألف خوف.. ما كان شأنى أنا بهذا كله؟
أغلقت الباب خلفى بحرص قبل أن.. ينتصب الشعر على جسدى كله وتمتلىء عيناى بالدموع فجأة..
العلامات..
إننا فى حضرة تواجد شيطانى ثقيل الآن على السلم! ومعى أسرتي وأطفالي!

** ** ** ** **

أسرعت وفتحت باب الشقة مرة أخرى وأنا أدفعهم للدخول لاهثا من فرط الخوف.. نسيت للحظات أن أبدى رد فعل، قبل أن يلهج لسانى بالذكر.. الأطفال مازالوا فى مرحلة النوم ولا يستوعبون جيدا هذا الجنون الذى يمر بأبيهم.. لماذا نخرج من المنزل فجرا ولماذا ندخل؟ عيونهم الصغيرة تحمل اعتراضات الدنيا لكن لا وقت للاعتراض..
نظهرت من العين السحرية وأنا أشير لهم جميعا بالصمت قبل أن يتذبذب نور السلم ومعه نور الشقة وأنا أرى شبحا طويلا يزحف صاعدا إلى أعلى..
إلى شقتنا!
قلبى ينتفض بين ضلوعى من فرط الرعب، وأنا أهمس لهم أن يذكروا الله بكل شكل ممكن.. يجب ألا نسمح للخوف الذى ملأ قلبى الآن بالسيطرة علينا..
أغمضت عينى وأخذت نفسا عميقا، قبل أن أبدأ بصوت عال قراءة الاستعاذة..

- **أعوذ بالله من الشيطان الرجيم..**

صوت الشيطان يضرب الباب بعنف من الخارج وهو يزمجر، فصرخت الفتيات فى هلع وتعلق ابنى بعنق أمه، لكن أمسكت بهم وفى صرامة صحت:

- **بسم الله الرحمن الرحيم..**

الطرقات تتوالى على الباب ترجه رجا، بينما زوجتى تقول معى بصوت متقطع..

- **الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولانوم..**

صراخ وعويل.. هناك من يخمش الباب بأظافر، ونشم رائحة شياط قوى..

- **له ما فى السماوات وما فى الأرض..**

صراخ صراخ صراخ.. الباب يكاد ينخلع تحت وطأة الضربات العنيفة، ورائحة الحريق تتزايد..

- **من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه..**

الأطفال يتلعثمون من الخوف بينما وطأة كل شيء تتزايد.. وكأن الشقة تتأرجح بنا كلنا.. لا يمكن أن يكون كل هذا حقيقيا، لكن من سمع عن هلوسة جماعية بهذا العنف وهذه الدقة؟

- **يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم..**

ولتزداد الأمور سوءا سمعت صوتا قادما من الحمام.. صوت امرأة تصرخ وكأنها قطة تعوى، أو قطة تعوى وكأنها امرأة تنوح!

نظرت نحو الحمام لأجد الاحتمال الثانى..

القطة السوداء.. صورة كلاسيكية جدا للشيطان المتمثل فى شكل حيوان، إلا أن عينيها كانتا مظلمتان تماما وهى تصرخ بصوت يحطم الأعصاب..

- **ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء..**

القطة تتقدم نحونا بخطى حذرة وهى تفتح فما أسودا كأنه حفرة بلا معالم..

الصرخة واحدة لا تتوقف، والباب.. هل سينكسر أخيرا؟

- **وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يؤوده حفظهما..**
- **وهو العلى العظيم..**

فجأة، كل شيء تلاشى.. الصمت حل بالمكان..

لا قطة..

ولا ضربات

ولا شيء إلا الصمت فحسب..

هناك رائحة خفيفة وكأن هناك شيء ما احترق هنا، قبل أن نسمع طرقات خفيفة مرة أخرى على الباب انتفضنا لها جميعا قبل أن ندرك أنها طرقات آدمية لو تفهم قصدى..

تركت أسرتى المذعورة ونهضت شاعرا بالدوار.. كان جارى الفضولى يتساءل عما أصابنا.. سمعونا ونحن نصرخ، ومن خلفه ظهرت العديد من عيون الجيران الفضولية.. أخبرتهم كاذبا أننا كنا نشاهد فيلما مخيفا فحسب، ثم أغلقت الباب فى وجهه شاكرا فضوله الحميد!

لن نستطيع الخروج من هنا، ولا أستطيع البقاء هنا أيضا.. كم ستستمر حماية الآيات الكريمات لنا؟ الرسول يقول أن من قرأ آية الكرسي فعليه حماية من الله حتى يصبح.. إذن سنبقى هنا حتى الصباح، واتصلت بدكتور (جلال)..

- يجب أن تأتى أنت إلينا.. نحن لا نستطيع الخروج من هنا يا صديقى.. نحن فى خطر حقيقى!

** ** ** ** **

خلال ساعتين لم ينقطع فيها صوت القرآن عاليا لحظة واحدة من حناجرنا، كان د. (جلال) معنا فى قلب الشقة، ويبدو أنه حصل هو الآخر على الكثير من المرح.. هو لا يخاف بسهولة كما تعلم لكن يبدو أن أعصابه مرهقة بشدة.. لم يحك شيئا عما أصابه، لكن يبدو أنه واجه شيئا مماثلا!

- لماذا هذا الهجوم العنيف؟

قلتها متسائلا فى خوف.. لم يبد أنه يعرف، فسكت قليلا قبل أن يقول وهو يتخلل لحيته القصيرة بأصابعه:

- لا أعرف.. أنا لا أكاد أفهم شيئا إلا أمر واحد بالكاد.. إنه يرغب فى الانتقام، وربما العودة أيضا!
- من؟ ذو السواد؟ أم بافوميت؟ أم صديقى؟

لا أعرف.. ربما كلهم، فى النهاية نحن نواجه هجوما لا يهدف لإثارة فزعنا، إنهم يريدون موتنا..

- رائع..

نظر لى نظرة خاوية.. إنه لا يفهم ما الذى أفكر فيه الآن، كما لا يفهم سبب سخريتى هذه.. فاستطرد:

- يجب أن نفهم.. ويجب أن نحمى أسرتك قبل كل شىء.. أرى أن نبقيهم هنا حيث المكان الذى اعتادوا عليه ونقوم بتحصينه جيدا.. عندك هنا مصاحف أليس كذلك؟
- نعم.. والحمد لله هى كثيرة..
- حسنا.. كما تذكر، سنقوم بتوزيعها فى المكان مفتوحة.. لا ينبغى أن ينقطع صوت القرآن فى المنزل.. ينبغى أن يكونوا متوضئين.. وعليكم أن ترشوا الملح فى كل مكان وخاصة فى الحمام.. لا يجب أن تتركوا مكانا بلا الملح.. إنه يحرقهم وهم يكرهونه!
- ليس عندنا ملح متبق.. استخدمته كله منذ قليل، ربما لدى كيس أو كيسان فحسب..

نظر لى فى غيظ ولم يدر ماذا يقول.. أخذ نفسا قبل أن يقول من بين أسنانه:

- لا بأس.. اتصل بأى متجر قريب، أو بعيد حتى.. اتصل بهم الآن واطلب أكبر كم ممكن من الملح، ولتكن سريعا من فضلك لأننا يجب أن نخرج من هنا سويا..

ما أن سمعت زوجتى أننا سنخرج حتى بدا عليها الفزع المتوحش والرفض.. لن تخرج من هنا وتتركنى مع أطفالك! لم تنطقها طبعا لكن عينيها صرختا بقوة! قطعا هى عندها حق، لكن من غير المفيد أن نظل هنا معا لا نفعل أى شىء فى مواجهة هجمات متتالية لا نفهم سببها ولا كيف ستنتهى.. الحل الأمثل أن نحافظ عليهم هنا فى مقر آمن، ثم ننطلق لنفهم السبب وراء كل ماحدث.. وكنت سأعرف السبب قريبا للغاية!

اتصلت بمتجر قريب يملكه صديق وطلبت منه أن يوصل لى كل الملح الذى عنده.. وطلبت منه أيضا أن يشترى الكميات المتاحة أيضا فى طريقه إلينا وبأى سعر.. لم يخف اندهاشه وأننى ربما أصبت بالجنون أخيرا، لكنه أطاع الأمر.. جملة (بأى سعر) لا يمكن مقاومتها طويلا خاصة لدى التجار..

ما أن وصل الملح حتى بدأنا نرشه بعناية على كل مداخل الشقة والنوافذ مرة أخرى.. لا نريد أن مجال للخطأ هنا!

طبعا كان د. (جلال) يتحرك بحرية فى الشقة حين:

- (أحمد).. تعال هنا حالا!

كان هذا صوته يأتينى من حجرة الفتيات.. لابد أن هناك مصيبة أخرى.. دخلت فى توجس لأجد مصيبة بالفعل..

هل تذكر الكتاب؟

هل تذكر أنه كان لعينا قذرا احتفظت به طيلة عمرى تقريبا أنتقل به من مكان لآخر لأنه سبب للدمار والخراب؟

وهل تذكر أن د. (جلال) أخذه؟

حسنا.. الكتاب موجود الآن على مكتب ابنتى، ومفتوح على كلام غير مفهوم.. تعويذة أو مصيبة ما.. الأمور منطقية نوعا؟

لكن من اين أتى الكتاب؟

لا أحد يعرف.. بسؤال أفراد أسرتى يجهلون من أين أتى.. فقط رأته ابنتى على المكتب مفتوحا..

نطقت شيئا ما فيه بغير وعى..

وبعدها انفتحت علينا أبواب الجحيم!

** ** ** ** **

ستموت.. أنت وأسرتك ستموتون!

** ** ** ** **

- لا أفهم.. ألم تكن قد أخذته وانتهى الأمر؟ كيف وصل إلى هنا مرة أخرى؟

قلتها فى حنق غاضب مشوب بالذهول..

- لا أفهم.. ولا أعرف كيف وصل إليك مرة أخرى..

قالها فى خجل مشوب بالحيرة والتوتر.. كان يبدو عليه مخايل التفكير عميقا، ثم أردف فى خفوت:

- ربما.. بعض الأغراض الملعونة تعود لأصحابها تلقائيا!

صحت فى غضب:

- ألن تنتهى هذه السخافات أبد؟ ألن ينتهى هذا الكابوس من حياتى؟ ألن ننتهى؟

تردد صدى صوتى بعنف فى الشقة، ثم انفجرت المصباح فى الغرفة لنغرق فى ظلام دامس، كنت أسمع معه زمجرة غاضبة تأتى من خارج النافذة..

- لو صح هذا الاعتقاد، فإن إحدى ابنتيك قرأت من الكتاب، فأتاح الوصول إليكم.. لا يهم أن تفهم ما المكتوب.. لا يهم أن تفهم اللغة المكتوب بها، لكن.. مكانكم الآن مكشوف، وبناءا على هذا..

أخذ نفسا عميقا قبل أن يردف:

بناءا عليه يجب أن ننتقل من هنا.. يجب أن تعيشوا فى مكان آخر آمن لا تصل إليه أيدى هؤلاء الشياطين.. سنتحرك سويا بعد قليل، وعند أذان الفجر تماما.. عندما يمتلى الجو بصوت الآذان هؤلاء يذهبون بعيدا.. سنجرى تجاه السيارة ونذهب من هنا إلى عندى..

لم أكن أعرف ما الذى ينبغى على فعله.. أأوافقه أم أعترض.. لكن هذا التوتر جعلنى أرغب بشدة فى دخول الحمام الآن.. بخطى متثاقلة سرت نحو الحمام القريب.. وللحمامات ميزة سخيفة، أنها تحوى مرآة.. لذلك كنت واقفا أفعل ما أفعله حين رأيت انعكاسى فى المرآة يتحرك وحده! ينظر نحوى، ثم قال شيئا لم أسمعه!

الخوف جمدنى للحظة بينما يبتسم هو فى غموض قبل أن يمد يديه مخترقا الزجاج فى نعومة ليقبض على رقبتى مباشرة!

** ** ** ** **

خرجت لهم وأنا ألهث من فرط كل هذه الأحداث المتلاحقة.. حتى الذى خرج لى من زجاج المرآة لم يكن إلا خداع عنيف آخر.. ربما نوع من المرح الشيطانى اللعين، مثلما يعبث القط بالفأر قبل التهامه مباشرة!
أنا لا أحب العبث ولا أرغب فى العبث معهم.. إنهم وضعونا فى وضع مخيف جعلنى أشعر أنى هنا ملتصق بأحمال تكتفنى بلا أى داعى، والأسوأ أنى لا استطيع أن أفعل شيئا حيال الوضع الحالى.. عندما تمتلك القدرة على على تغيير وضعك وقتها تتمسك بالأمل.. بصيص من الضوء وسط الظلام، لكنى غارق فى ظلام حالك السواد لا أعرف كيف أخرج منه!
لا ينتهى الأمر هنا فحسب، وإنما يزداد الأمر سوءا عندما تمتلك أسرة تحاول الحفاظ عليها.. الأسرة تمثل استقرارا أكيدا ولكن مع أول خطر تمثل عبئا ثقيلا يجب عليك حمايته والعمل على سلامته مما يضيف هما فوق الاحتمال!
كنت أفكر فى ذلك وأفكر أننا يجب أن نتحرك.. يجب أن نبدأ فى فعل شىء ما قبل أن يقتلنى الذعر والخوف على أسرتى الصغيرة!
حصنا المكان (أى أننا قمنا بتحصينه بالقرآن والملح والماء المقروء عليه)، وأعطينا أسرتى المذعورة الإرشادات اللازمة والتى أشك أنهم سمعوها من الأساس..
من الحكمة ألا تنظر فى عيون أطفالك الصغار.. العيون الصغيرة التى تعتصر قلبك ألما وإشفاقا وخوفا مما سوف يتسبب لك فى انهيار وشيك.. كما أنه من الحكمة ألا تنظر لعينى زوجتك، فهى تحمل خطرا يضاهى خطر الشياطين.. اللوم القاتل الذى لا يبقى ولا يذر، نظرات صامتة متهمة تخبرك أنك بسبب أو بآخر أنت الذى تسببت فى كل هذه الفوضى ويجب أن تدفع الثمن!
انتظرنا بضع دقائق.. الكل ينتظر فى توتر جوار الباب..
أذان الفجر قادم..
لحظات من الصمت، ثم..

الله أكبر الله أكبر..

على الفور انطلقنا مع صوت الآذان الذى يملأ السماء بالراحة، وتعالت أصوات أقدامنا على السلم تهرول إلى السيارة النائمة أسفل المنزل.. لابد أن الجيران ينعتوننا الآن بأقذع الألفاظ لجنونا المستمر، وما أن ركبنا السيارة حتى انطلقت مندفعا ألتهم الأسفلت إلى المعقل الآمن..
إلى منزل د. (جلال)!
كنت فى حالة غير طبيعية من التوتر، أرسم الخرائط فى رأسى أثناء القيادة لأتحاشى الوقوف فى الغشارات، كما أخذت أدعو الله أن ألا يرزقنى بضابط سخيف أو لجنة ما تقرر إيقافى بسبب أو لآخر.. الثانية الواحدة تمر علينا ببطء ثقيل للغاية، بينما يخيم الصوت فى السيارة القديمة إلا من صوت القرآن المنبعث من هاتف د. جلال..
بعد فترة قصيرة فى الواقع وطويلة للغاية فى المشاعر وصلنا إلى مكتبه..
شعرت أخيرا ببعض الراحة.. غالبا نحن الآن بعيدون عن كل شر ممكن..
ثم بدأ بحثنا فى قلب الكتاب!
لم ننتظر حتى نلتقط أنفاسنا، ففى قلب هذا الشىء اللعين يكمن خلاصى من كل هذا الهم..
فى البداية يجب أن نفهم ماذا يريدون منا بالضبط.. لو كنت أثق فى شىء فأنا أثق أن الحل فى هذا الكتاب اللعين فحسب..
هل أنت مستعد للأسوأ؟
إذن.. تعال معى!

** ** ** ** **

وفى مكان ليس بعيدا عن القاهرة، ربما فى أحدى المدن الجديدة الفارغة التى تمتلىء بالأثرياء ونرى إعلاناتها فى رمضان فقط، وقفت سيارة دورية أمام منزل التقطوا منه إشارة استغاثة منذ قليل.. الأمور هنا أفضل بمراحل من المناطق العشوائية التى تملأ البلاد.. السكان هنا دفعوا مبالغا مهولة فى مقابل أن يحصلوا على أمان نسبى وخدمات شبه غربية.. رفاهيات بسيطة نفتقدها فى بقية

المناطق ولكن لكل شيء ثمنه كما تعلم! ومن هذه الرفاهيات أنهم يستطيعون إرسال استغاثة للشرطة عند الخطر، ووقتها يمكن اللحاق بهم ونجدتهم!
تخيل!
لم يكن متاحا فى ذلك الوقت إلا الضابط (خالد) والضابطة (مروة) فحسب لينتقلا للمكان، وهو ماحدث.. و- نعم – ضابطة! وهو أمر ضرورى فى حالات النزاع الأسرى أو الخلافات القوية التى يكون فيها طرف نسائى.. لا يمكن لضابط رجل الاقتراب من امرأة ثائرة أشبه بنمر مفترس!

- هل تظنين أن شيئا هاما حدث هنا؟
- لا أعتقد.. ربما بعض الخلافات أو الجموح فحسب..
- المنزل مظلم.. يبدو أنهم أثرياء جدا لأن الفيلا ثمينة للغاية..
- أنت وغد حقود.. هيا ندخل ثم لنر ما بالداخل فيما بعد.

أنهت كلامها ثم ترجلا من السيارة بحذر، وسارا نحو المنزل، الذى كان مفتوح الباب! دار الضابط حول المنزل، بينما دلفت الضابطة مباشرة للداخل.. كان الجو مفعما برائحة ما، خليط من العطور ومحلات الجزارة!
خطوة بحذر تلو أخرى، كانت (مروة) تسير بحذر وخوف نوعا، الظلام الكثيف الذى يشمل كل شيء جعل أعصابها تلتهب مثل أعصاب قط حذر فى أزقة مليئة بالكلاب..
سمعت حركة خفيفة خلف أحد الجدران القريبة، اقتربت منها بهدوء واستدارت وهى تنظر للأمام مباشرة..
مع استدارتها اصطدمت قدمها بشيء طرى على الأرض جعلها تتعثر رغما عنها وسقطت فوق الشيء ثم ندت منها صرخة مروعة خائفة رجت البيت رجا..
كان يرقد أمامها جسد ميت.. جثة صارخة تحدق فى عينيها مباشرة، ومع ضوء الفلاش فى يدها كان التأثير موقفا للقلب!
رفعت اللاسلكى الصغير بيد مرتجفة، ونادت على زميلها:

- (خالد).. لقد وجدت جثة هنا، أين أنت؟

لكنه لم يستجب.. كررت اتصالها مرة ومرة أخرى، ولكن الصمت الاستاتيكى فحسب هو الذى أجابها، إلى أن سمعت صوتا غريبا قادما من الداخل..
أشاحت بنظرها عن الجثة المخيفة ونهضت من مكانها..

كانت تتحرك فى قلب الظلام وقلبها يدق فى خوف، وحتى الضوء الذى ينبعث من الفلاش كان ضعيفا رديئا للغاية، والرؤية تكاد تنعدم.. وضعت الفلاش فى جيبها وأضاءت كشاف الهاتف كى ترى ما أمامها..
وياليتها لم تفعل ذلك!
رأت زميلها متجمدا كالتماثيل أمامها ينظر نحو شىء ما بتركيز وهو يصوب نحوه سلاحه..
كان ينظر نحو كرسى متحرك وخلفه شمعة متقدة.. أجواء فيلم رعب ردىء لو أردت رأيى!
كانت ترتجف وهى تهمس له:
- (خالد).. ماذا تفعل.. لماذا تقف بهذا الشكل؟
ساد الصمت للحظات قبل أن يرد بصوت مرتجف:
- هنا.. (مروة) يجب أن نهرب من هنا فورا.. يجب أن نخرج!
وكأن كلامه لم يكن مخيفا بما يكفى، فما أن قالها حتى سمعا ضربة قوية من جهة الباب.. نظرت نحوه فى رعب لتجد شيئا ما يسير على الحائط أمامها، شىء ضخم بحجم إنسان! وامتلأ الهواء بصوت.. صوت يشبه صوت القرض أو كأن هناك ملايين النمل يأكلون فى الخسب، صوت همس عجيب غريب لا يمكن وصفه..
انتفضا فى عنف وهما يوجهان الضوء نحو الحائط الذى وجداه خاليا فى جنون بحثا فى كل مكان بلا أى جدوى، كانا يسيران مع الصوت بضوئى الكشافين حتى انتهى الصوت عند ملاءة بيضاء منتفخة نوعا لا تدرى ما إذا كان تحتها شىء أم لا.. الصوت يزداد!
الملاءة تستطيل وكأن تحتها شخص ينهض!
الذعر يدوى داخل قلبيهما وأذنيهما بعنف بالغ الآن..
الخوف فى أبشع صوره!
ودون أن تشعر (مروة) بنفسها حقا سارت خطوتين نحو الشكل الواقف والذى يبدو الآن كأنه ملاءة بيضاء يقف تحتها إنسان.
- سيدى أو.. سيدتى.. هل أنت بخير؟
كان هذا صوت (خالد) المرتجف والذى لم ينجح فى إقناعه هو شخصيا.. لكن الجسد لم يتحرك.. تقدما نحوه بخطى مرتجفة وبدأت (مروة) تجذب الملاءة

ببطء.. ملاءة عادية ظهر من تحتها رويدا رويدا جسد فتاة ترتجف.. قال (خالد) بصوت حاول أن يسيطر عليه:

- سيدتى.. نحن الشرطة، ونرجو منك أن ترينا وجهك وترفعى يديك بحيث يمكننا رؤيتهما..

لكن الفتاة لم تتحرك.. ظلت تهتز من البكاء فحسب!

- من الأفضل أن تطيعيه يا فتاة.. لا نريد أن نستخدم العنف غير الضرورى!

رفعت الفتاة يديها ببطء ثم همست بشىء لم يتبيناه جيدا.. (إبراهيم) أو.. لم يكن صوتها واضحا، فسألها:

- لا اسمعك.. ماذا تقولين؟

فجأة دار رأسها للخلف وجسدها ثابت لم يتحرك بطريقة مستحيلة، ونظرت لهما بعينين وحشيتين وصرخت بصوت متحشرج:

- **أقول اذهبا للجحيم!**

** ** ** ** **

انتفضا عندما حدث المشهد الرهيب، قبل أن يبدأ جسدها فى التشنج والتلوى وأذرعها تلوح فى الهواء، ثم بدأت تسير نحوهما بسرعة..

وبصوت مخيف قالت:

- **نحن نعرف من أنت..**

والتقطت شيئا ما من جوارها وانهالت بها على الضابطة بقوة أسطورية، رفعت (مروة) يدها بشكل غريزى تحمى نفسها فانغرس الشىء فى يدها مسببا ألما رهيبا ثم انتزعته بقسوة..

صرخت (مروة)من فرط الذعر والألم، انتزعت سلاحها من جرابه وأخذت تطلق النار على جسد الفتاة المسكون بالشر.. كان دوى الرصاص مخيفا وعاليا للغاية وكأنه انفجار قنابل داخل المكان المغلق، لكن الفتاة لم تتأثر كثيرا! ربما توقفت للحظة قبل أن تحاول استكمل هجومها قبل أن يدوى صوت سلاح قوى آخر صاحبه انفجار رأس الفتاة وتناثر أشلاءا صغيرة فى المكان..

كان الضابط (خالد) هو الذى فعل ذلك!

ساد الصمت إلا من صوت لهاثهما المحمل بالألم ورائحة الدم..

- ما كان ذلك؟

قبل أن يجيب (خالد)، نهضت الفتاة ببقايا رأس تصرخ صرخات مروعة ودفعت الضابط بقوة ليلتصق بالحائط الذى كان معلقا عليه بعض الأغراض البارزة، لتخترق صدره على الفور وتندفع الدماء غزيرة من فمه مع نظرة ذهول ارتسمت على عينيه وهو يدرك الحقيقة التى لا فرار منها ، أنه سيقابل خالقه بعد دقائق من الآن..

نظرت الفتاة الممسوسة بالعين الوحيدة من جانب الرأس الأيمن للضابطة (منى)، وأخذ تتلوى وهى تسير نحوها وتصرخ:

- **ستموتين.. سأقطعك إلى أجزاء صغيرة..**

ثم انفجر الجزء الأخير من رأسها مع انطلاق رصاصة الضابطة.. عندها انغلقت كل مداخل البيت وساد الصمت والظلام إلا من ضوء كشاف هاتفها فقط..

صمت..

نرجو أن يستمر الصمت قليلا.. ومن المفروض أن تخرج من هنا قبل أن تلحق بصديقها، نظرت للهاتف الملقى ثم التقطته من على الأرض لتنظر لجثة (خالد) لكنها لم تجدها على الحائط!

اختفت!

ربما استطاع النجاة بشكل ما من كل هذا الجنون؟

أخذت تبحث عنه بعينيها فى حيرة لكن..

التقطت أذنها صوتا من خلفها فاستدارت بسرعة لكنها لم تجد شيئا!

الصوت يأتى من خلفها مرة أخرى لكن..

لا شىء أيضا!

الصوت قادم من فوقها، فرفعت نظرها لتجد جسد (خالد) يزحف على سقف الغرفة!

** ** ** ** **

دعنى أصارحك أنى لا أحب العبث الشيطانى.. أنا قلت هذا الكلام من قبل، وأكرره.. لو يريدون القضاء على شخص ما، فلماذا لا ينتهون منه فقط.. نهاية سريعة نظيفة خالية من الخوف..

لكن الخوف لعبتهم واستمتاعهم..

ثم أما لهذا الخوف من نهاية!

** ** ** ** **

انقض عليها (خالد) فجأة من السقف بكل ثقله، مما أدى إلى وقوع سلاحها على الأرض وتهشم الهاتف تقريبا.. فى غمرة ذعرها المجنون أخذت تضربه بكعب حذائها فى وجهه وتزحف إلى المسدس القريب وتلتقطه لتصوبه تجاه (خالد) لكن جاءها صوته المستعطف:

- مهلا..

توقفت.. رأته يحمى عينيه من الضوء وهو يئن.. هل ظلمته بشكل ما؟

أردف (خالد) :

- أرجوك.. أنا صديقك..

لا نطلقى على النار..

أريد.. فقط أريدك أن..

توقف كلامه للحظات، فقالت هى فى تعجب تستحثه على الإكمال:

- تريدنى أن؟

رفع إليها عينين مظلمتين وهمس بصوت بارد:

- أريدك فقط أن تموتى!

هنا رفعت مسدسها ولم تتحمل كلمة أخرى لتنسف رأسه نسفا هذه المرة.

** ** ** ** **

فى ذلك الوقت كان لدى مهمة!

قام د.(جلال) بتحصينى وإغراق ملابسى بماء وملح وأشياء لا أفهمها.. أعتقد أن هنا جزء من السحر مهما قال هذا الرجل، أنا صرت مطمئنا نوعا لأن أسرتى فى هذا المكان الحصين مع د. (جلال) ويمكننى التحرك والتعامل بحرية نوعا دون أن يقتلنى الخوف عليهم، ثم طلب (منى) د.(جلال) أن أذهب لرجل اسمه (مجدى).. رجل كبير السن لا يفهم فى التكنولوجيا ولا يرد على الهاتف.. أى أن من يريده يجب أن يذهب إليه مباشرة، ثم.. الباقى غير مفهوم نوعا لأنه طلب (منى) أن أذهب إليه فحسب ليساعدنا على الترجمة!

وحدى!

حسنا..

يجب أن تعرف فقط أن مقر د.(جلال) فى ضاحية بالغة الهدوء فى المعادى.. فيلا أنيقة صغيرة يجاورها عدد من المنازل صغيرة الحجم، وعندما تخرج تجد جارته العجوز ترعى الزهور كما يحدث فى الأفلام الأجنبية.. لولا الحالة النفسية السيئة التى أعيشها لقلت أن المنظر يبعث الارتياح فى النفس!

كانت جارته هذه المرة تجلس فى هدوء تنظر للعالم الخالى، وتبتسم فى هدوء..
سرت بضع خطوات نحو سيارتى حين..
الهواء صار عنيفا فجأة..
هواء جاف بلا غبار ولا حرارة لكنه سيء! ومن خلفى سمعت الهمس.. نفس الهمس الذى سمعته (مروة) فى البيت.. أو تقريبا مثله!
تجمدت..
لا أفهم..
ببطء استدرت لأجد السيدة اللطيفة تحدق فى وجهى مباشرة وتهمس:
- **ستموت!**
أطلقت صرخة قصيرة وأغمضت عينى وفتحتها لأجد كل شيء طبيعيا.. المرأة تجلس هناك والعصافير تزقزق وكل شيء على ما يرام..
مرحى.. الجنون يدق بابى الآن، وإنه لخبر رائع!
** ** ** ** **
كنت أفكر فى طلب المساعدة من أى شخص يمكننى الوثوق به.. ولم لا؟
لماذا لا آخذ معى صديقا يساعدنى؟
أعرف أن هذا يعد توريطا سيئا لكنى بحاجة حقا للمساعدة.. اتصلت بصديقى (أحمد مصطفى) ثم عرجت عليه تحت منزله لآخذه معى.. إنه لم يتزوج بعد ومازال شابا قويا ويمكنه بالتأكيد أن يساعدنى.. هو لا يصدق فى مثل هذه الخرافات وبالتأكيد يمكنه أن يساعدنى.. هل يمكنه مساعدتى؟
اللعنة!
أنا متوتر حقا.. سأعرض عليه الأمر وأترك له حرية الاختيار..
كان فى صالة الألعاب الرياضية القريبة من منزله عندما كلمته للمرة الثانية، وطلب (منى) أن أدخل وأنتظره قليلا حتى ينتهى مما يفعله.. أنا متعجل فعلا لكنى بحاجة للحديث معه قليلا لأى ماذا سوف يفعل، فالاحتمال كبير أن يكون مشغولا أو يرفض لأى سبب..
دخلت، ولحسن الحظ كان المكان خاليا إلا من العجوز صاحب المكان.. كان رجلا كبير السن حاد النظرات متجهم الوجه كئيبا! اتجهت نحو (أحمد) الذى كان يؤدى تمرينا للذراع وقلت مباشرة:
- تعرضت أنا وأسرتى لهجوم شيطانى وظهر عندى كتاب ملعون أريد مساعدتك فى الخلاص منه!

نظر لى لثوان قبل أن ينفجر فى الضحك ملء فيه وهو يربت على كتفى ويضع الثقل على الأرض، لكنى لم أغير تعبيرات وجهى..

- أنت تمزح؟
- أنا لا أمزح!
- أنت جاد؟
- مائة بالمائة..
- .....
- لك حرية الاختيار.. أن تأتى أو تترك الأمر برمته.. صحيح أنى محتاج إليك لكن..

لم يجبنى فورا وإنما سرحت نظراته خلفى للحظات فالتف أنظر لأجد فتاة! فتاة جذابة تمارس تمرينا ما فى هدوء حتى أنى لم أنتبه إليها بادىء الأمر!

- فتاة يا (أحمد)؟!

قلتها باستنكار نوعا.. من الغريب أن يرتبط هذا الفتى بفتاة ولا تسألنى لماذا! هو شاب طبيعى للغاية ووسيم ، لكن لطول الفترة التى كنت أراه فيها وحده بلا أى ارتباط تقريبا بدأت اشعر بالاستغراب لو نظر لأى امرأة .. حتى فى خروجنا معا لم يكن ينظر لأى مخلوقة على الإطلاق اللهم إلا إذا كانت قطة فى الشارع ربما أو لمحلات الحيوانات الأليفة فحسب، لذلك تفهم سبب تعجبى مما رأيت..

- قصة حب؟
- لا.. ربما استلطاف نوعا.. هى مغتربة تعيش هنا..كانت تمارس الرياضة فى بلدها ثم جاءت للدراسة فى القاهرة وبدأت تلعب هنا.. أنت تعلم.. فتاة قوية معتدة بنفسها..

مططت شفتى فى تفهم.. حسنا، يبدو أنه لن يأتى!

** ** ** ** **

<u>الضابطة (مروة):</u>

كانت جالسة فى مقهى قريب من قسم الشرطة بعدما روت فى التحقيق المبدأى ماحدث لها.. طبعا الحكاية لا يمكن تصديقها، والآن لا يدور حولها إلا شكوك الجنون فقط، ولولا أى تسجيل نداء الاستغاثة كان مسجلا لاتهموها بقتل كن فى المنزل!

أمامها كوب من مشروب ساخن وعقلها يدور فيما دار!

عندما رفعت عينيها لترى الناس من حولها اصطدمت بوجوه مخيفة ملطخة بالدم، فعادت تنظر لكوبها وهى ترتجف.. فى الحقيقة تساءلت هى نفسها عن نفسها، وأنها ربما كانت مجنونة بالفعل!
كان ذلك حين شعرت بعدها بيد تربت على كتفها لتجد امرأة جذابة للغاية تسألها:
- هل أنت بخير؟
ابتسمت فى إرهاق وهى تنظر ليدها المصابة وتقول:
- ربما.. أنا فقط أمر بأزمة..
- وربما ليست أزمة.. أحيانا ما ترينه هو حقا ما يحدث من حولك.. انتبهى لنفسك يا (مروة)!
قالت كلامها وهى تسير لتبتعد عنها!
كيف عرفت اسمها؟
التفتت خلفها لتجدها قد اختفت وسط الزحام ولم يعد لها وجود..
** ** ** ** **
مازلت جالسا أنتظر ما ستسفر عنه الأمور.. لقد قام ليتحدث معها قليلا، بينما ظللت فى مكانى.. قررت أن أتمشى فى المكان لأزجى الملل فى الداخل كان ركن المقويات، وجوارها تماثيل صغيرة لعظماء كمال الأجسام فى العالم.. تماثيل صغيرة دقيقة مبهرة، هى للأدق (دمى) غالية لها مفصلات ويمكنها التشكل فى أوضاع كثيرة حسب ماتريد.. كنت أشاهد إعلانات لدمى مماثلة لأبطال خارقين، وهذه أول مرة أعرف أنهم صنعوا دمى مماثلة لأبطال رياضيين!
أمسكت إحداها أتأمله فى انبهار نوعا.. على الرغم من أنى قد كبرت إلا أنى أحب الدمى المتقنة للغاية.. ذات مرة كدت أشترى دمية للجوكر من التى أخبرتك عنها منذ قليلا إلا أن ثمنها كان مبالغا فيه جدا! ومع ذلك فالتفاصيل الدقيقة هذه تثير انبهارى.. قربت الدمية من وجهى لأتأملها أكثر وأتأمل تفاصيل عضلاته، حين تحرك الذراع فجأة ليضرب عينى بقوة!
ألقيت الدمية فى هلع وأنا أصرخ، بينما اعتدل التمثال على الأرض بشكل غريب ونظر لى بعينين حمراوين.. نظرت له بكل رعب الدنيا.. الآن انتقل الاستحواذ للدمى؟
ببطء سار نحوى ومن فمه الصغير قال:
- **ستموت.. لن تنفعك الحماية..**

ثم قفز تجاه (كاتر) قريب (الشىء الذى يقطعون به الورق وحاد للغاية) وأمسكه يصوبه نحوى.. كنت متجمدا تماما حين قرر أن يعدو فجأة ناحيتى بسلاحه الحاد حين..(طاااخ)!
انهالت عليه إحدى الأوزان الثقيلة لتسحقه وتحطمه تماما.. ومن حولى ارتفع الهسيس الغاضب.. رفعت نظرى، وكان (أحمد مصطفى) الذى ألقاه عليه! صاح لاهثا:

- ماذا كان هذا؟ ما هذا الشىء؟

رفعت رأسى وقلت فى خفوت:

- هذا ما أريد مساعدتك فيه!

** ** ** ** **

كان الجو مكفهرا.. السحب تتجمع منذرة بعاصفة قريبة، وربما تمطر.. أنت تعرف أن الجو السىء مصاحب دائما لقصص الرعب الرديئة، وربما كنت أعيش الآن إحدى قصص الرعب الرديئة!
أما فى الداخل فقد كان (أحمد) جالسا يتأمل جثة الدمية (لو جاز لنا أن نقول على الدمية أنها أصبحت جثة)! سألته:

- هل تؤمن بالشر؟ وجود قوة طبيعية خارقة تتعامل مع الأشياء والموت بشكل سىء؟
- ربما.. أحد أقربائى كان يعمل فى السحر وكل هذا الهراء.. عندما كنت صغيرا قال لى لا تخاف من الشر، وقتها هو الذى سيخاف منك!
- أحد أقربائك ساحر؟
- نصاب.. ساحر نصاب لا يفقه شيئا، كما أنه كان فاشلا! لا أعتقد أنه فعل فى حياته شيئا ذا قيمة غير تدخين الممنوعات والجلوس متأملا فى الفراغ.. كما أن كل من قصده يوما لعمل حجاب أو فك سحر أو غير ذلك عاد خائبا! لم أفهم أبدا من أين يأكل ذلك الرجل!
- وأنت تذكرت مقولته هذه لأنه....؟!
- لأنه الساحر الوحيد الذى أعرفه!

أخذت نفسا عميقا ونظرت للسماء.. لإن لم يرحمنى ربى فسأموت بجلطة قريبا وقبل أن ينال (منى) هؤلاء الشياطين!

- حسنا، أفهم أنك لا تستطيع القدوم معى الآن..

نظر لى ولم يعلق، فنهضت متثاقلا وخرجت من المكان لأبتعد من هنا.. الجو فعلا غريب بالخارج، إذ أن الغيوم تكاثرت بشكل مخيف والهواء عاصف ينذر بالشر.. ركبت السيارة وانطلقت وفى أعماقى تتنامى العديد من المشاعر السيئة!
أما فى الداخل، كان (أحمد) يقف ناظرا فى الاتجاه الذى رحلت منه.. ربما كان يشعر بالذنب قليلا؟ هو لم يرفض رفضا قاطعا وإنما أعطى تلميحات فقط.. أفاق على تأملاته على صوت الفتاة من خلفه ترفع صوتها بالكلام فى الهاتف تنادى على أبيها، ومن الواضح أنه لا يستجيب.. ملامح وجهها تنم عن قلق عنيف!
ثم وجدها تحدثه، يبدو أنها مكالمة فيديو.. كان يقول أن هناك شىء فى غاية الغرابة يحدث.. شىء لا يمكنه تحديد ما إذا كان جيدا أم سيئا، لكن رائحة الفطائر تفعم أنفه، وربما كان سعيدا بشكل ما!
كان يقول أنها هنا.. عادت!
من هى التى عادت؟
صرخت الفتاة بجنون تتساءل من تلك التى عادت، فأدار الأب الهاتف لمكان ما لترى ظل شخص يقف على الباب لتصرخ وتكتم صراخا بيدها!
الأمور خرجت عن السيطرة بشكل لا يمكن تخيله أبدا، والفضول يكاد يقتله!
- ماذا رأيت؟
كان السؤال من (أحمد)، فأجابته الفتاة دامعة العينين بذهول :
- كانت أمى.. التى توفيت منذ ستة أشهر!
طبعا لك أن تتخيل حاله! كان يفكر أن الجنون صار يسيطر على العالم بأكمله الآن! لكنها لم تدع له فرصة التفكير لأنه كانت ترتجف بشدة، ثم قالت بصوت مهزوز أنها ستذهب لأمها الآن!
أمسك يدها وقال:
- لا لن تذهبى وحدك..دراجتى البخارية فى الخارج هيا سأوصلك بها.. هل تستطيعين تشغيلها؟
أومأت برأسها أن نعم، فأردف وهو يعطيها المفاتيح:
- إذن اخرجى وأديريها وسآتى خلفك حالا!
خرجت المسكينة بينما دخل هو ليبدل ملابسه المبتلة بعرق التمرين بأقصى سرعة، وفى الخارج كان الجو قد ازداد سوءا، والمسكينة تحاول مع الماكينة العملاقة بلا جدوى تقريبا! (هكذا النساء تدعى أنها تعرف كل شىء وفى الواقع هن لا يعرفن أى شىء على الإطلاق!) هذه الماكينة إحدى وحوش هامر، والتى

طالما حلم بها (أحمد) كثيرا.. كلفته مبلغا أسطوريا فعلا، لكن قلبه كان يرقص عندما يهز الشارع بصوت المحرك القوى..
ثم..
من نهاية الشارع برز شيء مخيف!
لا نستطيع أن نفهم ماهو تماما، يشبه دخانا أسودا كثيفا يدور حول نفسه بلا توقف، وكان شريرا! لا يمكن أن يحمل هذا الشكل إلا كيان بالغ الشر، وبسرعة بالغة طار فى أجواء الشارع لينقض على الفتاة المذعورة!
فى ذلك الوقت خرج (أحمد) يعدو وفى يديه خوذتين للدراجة ألقى إحداهما إليها وهو ينظر تجاه المنظر المخيف، ولا تسألنى كيف التقطت الفتاة الخوذة ووضعتها على رأسها وأزاحت نفسها للخلف، بينما قفز هو على الدراجة العملاقة أمامها، وبحركة واحدة من قدمه هدر المحرك مزلزلا أسفلت الشارع ثم انطلق بسرعة مروعة مثيرا سحابة من الدخان ورائحة مطاط الإطارات المحترقة.. ومن باب المركز الرياضى خرج صاحب النادى الرياضى لا يكاد يفهم ما يحدث لتصطدم به كتلة الدخان الأسود وتغوص فى أعماقه مباشرة!

** ** ** ** **

الجنون يعصف برأس الضابطة (منى).. كانت فى حيرة وارتباك لا يمكن تخيله، هل ماحدث قد حدث فعلا أم لا! لابد أنها تعرضت لعقار هلوسة أو ماشابه.. هل قام أحد الظرفاء فى القسم بوضع شيء فى مشروب لها؟ إنهم قد فعلوها من قبل مع أحد الضباط لكن الأمر لم يتعد المزاح الخفيف وبعض الضحك.. إن ماحدث لها لا يمكن تصديقه! رفعت رأسها عاليا وأخذت نفسا عميقا وزفرته فى حرارة..
هزت رأسها وقررت أن تعود للمنزل الذى كانت فيه من قبل!
منزل الجريمة!
فى الواقع أنا لا يمكننى فهم دوافعها النفسية!
ربما مازال فى عقلها جزء يقول أن ما حدث لا يمكن أن يكون قد حدث فعلا..
هذه أحداث تعود للأفلام الرديئة فحسب، ولا يمكن أن تحدث فى الواقع..
استقلت سيارتها وسارت على مهل إلى حيث موقع الجريمة.. لم يكن أحد من الجنود هناك.. فقط الشريط السخيف الذى يحذرك من العبور ولا شيء آخر..
المنطقة معزولة عن العالم فعلا، حتى أنك لا تسمع شيئا تقريبا غير صفير الهواء المنذر بالخراب!

بخطوات غير ثابتة وريق جاف كالحطب دلفت للمنزل مرة أخرى وهى تستعيد ذكرياتها الواضحة..
من جديد تسير على مهل وهى تتحسس خطاها..
قلبها يدق فى عنف..
لا شيء هنا يدل على أى جريمة حدثت أو أى أذى حدث لها أو لزميلها الضابط غير بقعة دماء واسعة على الأرض! عدة بقع من الدماء فى الواقع، ثم قطعة من قميص زميلها!
وضعت يدها على فمها تكتم صرخة تجاهد كى تنطلق، ثم تراجعت بأقصى سرعة لتفرغ ما بمعدتها فى الخارج!
كل هذا التوتر!
ما حدث قد حدث بالفعل..
ماحدث قد حدث..

** ** ** ** **

كان(أحمد) يطير طيرانا بدراجته القوية حتى أن الفتاة لم تكن تفتح عينيها تقريبا..
فى هذه الأثناء اتصل بى وعرف موقعى.. كنت قد عدت لشقتى القديمة!
لا تتعجب.. هناك غرض هام أريده بشدة من هذا المنزل لا يمكن أن أتحرك بدونه، وهو غرض يخصنى وحدى.. قد تبدو الأمور تافهة لكنى نسيت (سبحتى) هناك.. ربما أحكى لك حكاية هذه السبحة فى وقت آخر!
صاحت (إيمي) تغالب الهواء العنيف:

- أين أنت ذاهب؟ قلت لك أنى أريد أن أذهب لأبى..
- سنذهب لصديقى، ولن نتأخر أكثر من خمس دقائق فقط.. ثقى بى هذا الرجل يمكنه مساعدتنا!

سرعان ما وصل تحت بيتى وأوقف ماكينته ثم جذب يد (إيمي) يعدو بها طيلة الطوابق الستة حيث شقتى اللعينة! معذرة يا فتاة فهم لم يركبوا عندنا المصعد بعد..
كنت أستعد للخروج حين سمعت الطرق على الباب وفتحته لأجد الشابين يلهثان فى عنف.. دعوتهما للدخول متوترا سعيدا.. ربما سأحظى بمساعدته أخيرا؟

- هذا هو؟

قالتها الفتاة بلهجة ربما حملت شيئا من الاستنكار، وألقت نفسها على إحدى الأرائك، فلم يرد (أحمد) عليها وإنما قال لى:

- أمها عند أبيها!

ياللرعب.. أنه شيء مخيف حقا، لكن أين المشكلة؟

هكذا تساءلت، فقال لى:

- أمها الميتة عند أبيها الحى!

رائع.. العالم يتجه للجنون حتما! هل فتحنا بوابة الجحيم أم ماذا؟! قامت الفتاة من جلوسها ولوحت بلباقة ناحيتى وهى تتجه للنافذة من أجل بعض الهواء فى المكان المكتوم.. طبعا الملح المتناثر على النوافذ غير واضح جدا، لم أنتبه لحظتها لخطورة ما سوف تفعله الفتاة، مدت يدها وفتحت جزءا يسيرا كان كافيا جدا ليتناثر بعض الملح على الأرض وينكسر جزء من الخط بشكل يسمح لدخول أى شيء.. وفى نفس اللحظة ارتجفت الكهرباء بعنف وامتدت يد قذرة من خلف النافذة تقبض على عنقها!

فى الطابق السادس!

صرخ (أحمد) وانقض على اليد يجذبها بعنف لكنها كانت فولاذية.. يد صلبة على وشك أن تفصل عنق الفتاة عن جسدها.. كنت متجمدا للحظات ثم أفقت.. جريت على السيفين المعلقين على الحائط أجذب أحدهما.. لطالما استنكرت زوجتى وجود هذين ورأت أنى أنفق نقودى على الكلام الفارغ ولكنى كنت أحب شكلهما وأفخر به جدا.. ليتها رأتنى الآنى وأنا أنقض على اليد بالسيف الحاد بأقصى قوة لينفصل الذراع الشيطانى على الأرض ويلوث السجاد بدم أسود قذر! لم تكن ذراعا آدمية حتما، ولكنى لا أذكر شكلها!

ثم بدأ كل شيء يرتجف..

المنضدة والكراسى والستائر.. رجفة خفيفة وكأن قطار يمر أسفب المنزل الآن مع صوت غاضب.. صوت زئير غاضب تعالى رويدا رويدا.. كانت الفتاة على شفا انهيار عصبى فصرخت:

- كفى.. كفاااااااااااااااااا.. يكفى هذا القدر.. يكفيييييييييييييي!

العجيب أن الصمت ساد فجأة ولم يعد هناك شيء..

لا صوت ولا حركة ولا شيء!

همس (أحمد) :

- هل.. انتهى كل شيء؟

- لا.. إنهم يستعدون للدخول فقط!

** ** ** ** **

بسرعة ألقيت سيفا لـ(أحمد) وقلت:
- اضرب أى شىء بهذا وحذار أن تقتلنى!
التقطه من الهواء ووقف كأبطال الإغريق يواجه الهواء بالملبد بالشياطين القادمة من أجل أرواحنا!
وضعنا ظهرنا لظهر بعض حين بدأت اشكال سوداء تتكون من ناحية النافذة ومن ناحية الباب..
أشباح! هل تؤثر السيوف الحديدية فيهم كما رأيت فى الأفلام الأجنبية؟
ابتلعت ريقى فى صعوبة بينما تتقدم الأشباح نحونا.. أشعر بهواء بارد يعصف بنا والظلام يشتد حين تقدمت نحو الشكل الشيطانى الأول وانهلت عليه بالسيف فى الهواء فتلاشى كدخان السجائر.. صحت فرحا:
- رائع.. الأمر حقيقي!
نظر (أحمد) نحوى فى دهشة مذهولة بينما يضرب الهواء بسيفه وهو يصيح عاليا فتلاشى الشيطان أمامه وهو يصرخ..
ظهر واحد عند الباب فانهلت عليه بالسيف، وسمعت صوت سيف (أحمد) يصفر بجوار أذنى فشعرت بالرعب! هناك شبح جوار الأريكة تلاشى عندما ضربته وشققت الأريكة من المنتصف بينما سمعت صوت زجاج ينكسر قرب السفرة!
اللعنة!
غضب زوجتى لن يقل عن غضب هؤلاء الشياطين..
أخذنا نضرب فى الهواء يمينا ويسارا ونقاتل كما لو كنا نلعب ألعاب الفيديو المجسمة.. ظللنا على هذا الحال بضع دقائق مخيفة مليئة بالصراخ واللهاث والعرق وأصوات الشياطين الذائبة فى الهواء!
ثم انتهى الهجوم..
وقفت للحظات ألهث..
- هل.. هل رحلوا؟
لم أرد وإنما ابتسمت.. أنا رأيت فى أحد البرامج التلفزيونية أن الأشباح تتألم من الحديد وتخاف من الملح.. الملح أعطى نتيجة، فلماذا لا يكون موضوع الحديد حقيقيا؟!
كانت (إيمي) تختبىء وراء جدار تتأمل أحمد فى انبهار وكأنى بلا وجود! لو عددنا عدد الأشباح لكانت محصلتى أكثر!
المهم..

وقفنا للحظات نستجمع شتات أفكارنا وأرواحنا المضطربة.. هذه الهجمات المتتالية لا تترك لك وقتا لتتنفس.. من يقول أن كل ما حدث إلى الآن لم يتجاوز بضع ساعات فحسب؟

نظرت للشابين وقلت:

- الآن.. يجب علينا أن نرحل من هنا..
- هل سنذهب لأبى؟ (أحمد) قال أننا ربما سوف نذهب إلى إبى لأنه يواجه مشكلة غريبة.. أمى ماتت منذ شهور والآن يقول أنها تعيش معه!

نظرت لها للحظات.. لا أعرف كيف أرد، لكنى لا أملك وقتا لهذا الهراء، فقلت بصوت متردد:

- عذرا يا فتاة.. أود الذهاب له مباشرة لكننا فى مهمة أكبر.. أنا لا أفهم بالضبط ما الذى يحدث لكن يبدو أن كل شيطان فى الكون قرر الهجوم علينا فى وقت واحد.. ومما قلتيه عن أبيك فالهجوم لا يشملنى وحدى..

نظرت لى فى توسل.. أكره هذه النظرة، لكنها لا تفهم أنى بصدد إنقاذ كل العالم، وطبعا يشمل أبيها، فقالت لى:

- أنت لا تفهم.. أمى ماتت منذ..
- أفهم.. وسنذهب إليه أعدك، بمجرد أن..

قاطعنى صوت طرقات عنيفة على الباب.. يا إلهى ليس مرة أخرى!

طرقات عميقة ثقيلة سخيفة سمجة، ثم انهار الباب ليظهر من خلفه جارنا العتيد عم صلاح..

كانت ملامحه تبدو شرسة للغاية وعيناه.. لم تكن هناك عينان، إنما كرتان بيضاوان فحسب! صرخ الرجل فى صوت رهيب وانقض علينا بسرعة بالغة، لم أشعر إلا ونحن متكومون على الأرض نئن.. وبصوته الذى يشبه.. لا أعرف.. لا أعرف شيئا يشبه هذا الصوت.. تخيل دبابة تتجشأ مثلا أو تخيل صوت فيل يتكلم داخل برميل.. صوت عجيب للغاية.. المهم أنه قال:

- أنت.. نحن رأيناك.. نحن نعرف مكانك.. أنت ستموت، والكل سيموت.. سترى أحباءك يموتون.. سترى الـ..

لم يكمل جملته لأن (أحمد) نهض وأطار رأسه بضربة واحدة! تدحرجت الرأس على الأرض بينما انبثقت من عنقه نافورة دماء.. وقبل أن نفهم ماحدث، حدث التالى.. دعنى أصفه لك بدقة لأنه سيتكرر كثيرا بعد ذلك..

فوق منتصف الجثة ظهرت دوامة سوداء صغيرة حجمها لا يتعدى حجم كرة التنس، بقوة هائلة شفطت جسد الحج صلاح ورأسه للداخل مثيرة عاصفة صغيرة ثم اختفت وانتهى كل شيء! وكل هذا خلال ثوان معدودة.. من الآن أنت تعلم ما يحدث لأجساد الممسوسين فلن أصفه لك مرة أخرى.. سأكتفى بقولى أنه اختفى فحسب!

والحاج صلاح؟

أعتقد أنه كان فى عداد الموتى على كل حال! لا بأس لأنه كان وغدا ولم أكن أطيقه أصلا!

وقفت.. نظرت للشابين المذعورين، وقلت لهما:

- أعتقد أننا يجب أن نتحرك سريعا الآن.. لا وقت للانتظار!

** ** ** ** **

-2-

ونحن نستعد للنزول حكيت لهما القصة باختصار:

- أبى كان يهوى جمع الكتب القديمة وكان عنده مكتبة عملاقة.. وكنت أهوى العبث بها كثيرا فى غيابه، إلى أن وجدت كتابا ملفوفا بشكل غريب.. عندما فتحته أصابنى شيء ما.. شر أو شيطان كاد أن يتلبسنى لولا أن أنقذنى (عبد الباقى) قريب والدتى والذى كان يفهم فى هذه الأمور.. ولكنه ربط الكتاب بى، أو هو ربما صار مرتبطا بى بشكل ما.. لا أنتقل إلا به ولا أذهب مكانا لفترات طويلة إلا به.. ثم كان فى يوم أسود أن فتحته إحدى بناتى بشكل لا أفهمه جيدا وقرأت منه شيئا، فانفتح علينا باب جهنم كما ترون! بالمناسبة ما اسمك؟

نظرا لى فى عدم فهم للحظات.. أنا كنت أحدثهما وأعرف (أحمد) جيدا لكنى لا أعرف رفيقته، فرأيت أن من المناسب أن أعرف اسمها كى أناديها!

رد (أحمد):

- اسمها (إيمي).. لكن أليس من المناسب أن نذهب لأبيها أولا؟ إنه فى محنة ويبدو أن عنده شيطان فى منزله أيضا!

يا سلاااااااااام.. القلب يعمل بكفاءة ويستطيع أن يظل فى حالة حب حتى فى مثل هذه الظروف.. والحقيقة أن اسمها لم يعجبنى! هناك أسماء ذات رونق أو لها بريق ما، وهناك أسماء (مايصة) لا تشعر معها بأنها أسماء أصلا!

(إيمي)؟ كيف يكون هذا اسم أم أو زوجة تخرط البصل وتشهق مع طشة الملوخة؟ كيف يمكن لـ(إيمي) أن تنشر الغسيل وتغير حفاظات الطفل؟
الحق أن (إيمي) هذه مكانها فعلا داخل صالة الألعاب الرياضية، أو مقدمة برامج تلفزيونية من تلك البرامج التى لا لزوم لها على الإطلاق!
التفت لهما وقلت:

- انظرا.. أعلم أنك تحاولين إنقاذ والدك، لكنى أحاول إنقاذ كل الآباء فى كل مكان! هناك شيء ما يحدث.. لو أن صياغتى تبدو فى غاية السخافة ولكن جزء من الجحيم قرر أن يحتل الأرض، فلو انتهينا منها سيتم إنقاذه تلقائيا..

بدا عليها أنها اقتنعت.. نوعا ما خاب أملها لكنى مقنع.. من الصعب أن يقف أحد ما أمام منطقى القوى وكلامى المنمق.. طوال عمرى أحظى بهذه الهبة، وهى السيطرة والتأثير على الآخرين.. أشعر بالزهو، خصوصا عندما قالت يصوت خافت أنها ستهبط لتنتظرنا فى السيارة..
ابتسمت وأحضرت سيفى وسيف (أحمد) والكتاب اللعين الذى وضعه (أحمد) فى حقيبة الظهر التى كانت معه والتى كان يحملها عائدا من صالة الألعاب الرياضية والسبحة وأغلقت الباب ورائى جيدا، لأجد جارتى الفضولية تنظر لى بحقد..

- ما كل هذه الضجة يا أستاذ (أحمد)؟

ابتسمت فى لزوجة وأخبرتها أنها ليلة جامحة بعيدا عن زوجتى والأطفال.. أنت تعلمين طيش الشباب!
مصمصت شفتيها وأغلقت الباب فى وجهى.. يالها من شمطاء، أرجو أن يتلبسها شيء ليكون من دوافعى التخلص منها للأبد، وتأهبنا النزول حين سمعت هدير الدراجة البخارية ينطلق و(أحمد) يصرخ أن (إيمي) سرقت دراجته البخارية!
يبدو أنها ذاهبة لتطمئن على أبيها رغما عنا جميعا!
تبا! إنها لم تقتنع!
لم يكن (أحمد) مهتما جدا بالدراجة قدر ماكان مهتما بالفتاة نفسها.. كان يهتف فى حنق أنها لا يمكن أن تذهب لهناك بمفردها تلك الحمقاء!
قلت لـ(أحمد) وأنا أهز رأسى بحكمة:

- أرأيت؟ لا يمكنك الثقة بأحد هذه الأيام.. هذه فتاة حمقاء وترغب فى أن تفعل ما يحلو لها فقط.. هيا بنا نسوى مسألة الكتاب ثم نعود لها بسرعة..
- احم.. بشأن الكتاب..

- ماذا به؟
- إنه فى الحقيبة التى على على ظهرها وليس معى! لقد أخذته!

نظرت له.. لم أستوعب جيدا، فسألته:

- أخذته؟

ابتلع ريقه وقال:

- نعم.. أعطيتها الحقيبة كى تحملها بينما أركز أنا فى القتال لو ظهرت شياطين!

نظرت له فى غيظ ولم أعلق.. لو نطقت فسأقول كلاما لا يجب أن أقوله هنا وسيعاقب القانون عليه حتما، إلا أنه استدرك فى خجل:

- إلا أنى.. يمكننى تتبع هاتفها لو أردت! لقد ربطت هاتفها بهاتفى!
- اللعنة! وأين يعيش أبوها هذا؟
- لا أعرف تحديدا.. كل ما أعرفه أنها مغتربة هنا!
- مغتربة؟ إذن سنسافر خلفها لمحافظة أخرى؟

سنسافر؟

سنسافر!

** ** ** ** **

جلسنا فى السيارة نطوى الطريق.. الفتاة تنطلق خارج القاهرة بالدراجة مما يدل على أنها ليست بعيدة لهذه الدرجة.. أعتقد أنها تعيش فى الفيوم مثلا لأنها تسير فى طريق يتجه إلى مابعد الأهرامات وهو طريق الفيوم إن لم تخنى الذاكرة! ويمكننى أن ألتقى بها فى الطريق لو أسرعت قليلا.. سألنى (أحمد):

- هل تعتقد أن أمها عادت للحياة حقا؟ أعنى أن هذا أمر غير معقول وينافى كل منطق طبعا، لكن الشيطان يتمثل فى جسد أمها مثلا؟

ابتسمت وقلت:

- الموتى لا يعودون للحياة هكذا يا صديقى.. هذه مجرد خدعة أو مصيبة يدبرها لى الشياطين، أعتقد أنهم يضايقون من حولى فحسب حتى ولو لم يكن لى بهم علاقة! شرك تلو شرك وكلهم يجتهدون من أجل الظفر بى..

كان هذا عندما امتدت يد من خلفى مباشرة لتقبض على عنق (أحمد) مع صراخ مزعج.. التفتُّ خلفى لأجده صاحب النادى الرياضى الذى كان يلعب فيه (أحمد).. ممسوسا!

كان يصرخ وهو يحاول خنق أحمد بشكل مبالغ فيه وكأنما يريد اقتلاع رأسه!

ترنحت السيارة نتيجة هذا الهجوم الشيطانى المباغت.. كيف وصل إلى سيارتى؟ وكيف لم أنتبه له؟ إن سيارتى صغيرة أصلا ولو وضعت فيها كيسا بلاستيكيا فحسب لانتبهت له فورا، فكيف اختبأ فيها رجل كامل!
ثم تلقيت ضربة عاتية على مؤخرة رأسى جعلتنى أترنح ويزداد معى ترنح السيارة، وفى المقابل كانت شاحنة صغيرة تصرخ فى ذعر بأقصى قوة بصوت النفير.. كدت أرتطم بها وهى قادمة من الجهة المعاكسة، أى أننا كنا سنتحول فورا إلى كومة معلبة من اللحم المفروم، لكن الله سلم وتفاديتها بشكل شبه إعجازى..
اندفع الرجل الممسوس من الخلف يمسك المقود وبدا أن هدفه الوحيد هو قتلنا جميعا فى السيارة! جميعا هذه تشمله أيضا! لا بد أنه شبح (كاميكازى) انتحارى مثل جنود الكاميكازى اليابانيين الذين كانوا يفضلون الدخول بطائراتهم فى قلب الهدف مباشرة بدلا من إطلاق النيران عليها..
صرخ (أحمد) وهو يضربه بقوة وبلا تأثير تقريبا، بينما استعدت أنا روعى ورفعت قدمى من على دواسة البنزين ومع ذلك فقد كانت سرعة السيارة بالغة..
أنا لا أستطيع التركيز حقا..
مشوش..
وفجأة سمعت صرخة الممسوس المزعجة مع صراخ (أحمد) وهما يسقطان فى الخلف عند دواسات الكنبة الخلفية.. استعدت السيطرة على السيارة نوعا وضغطت الفرامل لتتوقف السيارة.. حان الوقت لأتعامل مع هذا الوغد!
التفت لألتقط شيئا أضرب به الممسوس، لكن عيناى اصطدمتا ببقعة سوداء تلتهمه ومن خلفها ظهر (أحمد) وفى يده السيف الملوث بالدماء..
لقد صار بارعا فى الطعن على مايبدو، ومع ذلك كان بادى الذعر.. يلهث فى غضب وخوف.. إن منظره يبدو رائعا مع عضلاته البارزة والسيف.. يصلح كأفيش فيلم لو أخذت رأسى، ثم تردد الهمس من حولنا:

- أنتم فشلة..
أنتم خاسرون..
موتا تموتون..
موتا تموتون!

** ** ** ** **

عبارات مبتذلة أليس كذلك؟

يبدو أن الشيطان ليس له قدرة على تذوق الجمال الأدبى فى صياغة الجمل!

** ** ** ** **

كانت الضابطة (منى) تتحرى عنى فى ذلك الوقت، والسبب الذى ربط بينها وبينى هو شكوى جاءت من جارتى الشمطاء.. لقد اتصلت بالقسم خصيصا لتتحدث عن كل شىء..

تحدثت عن ضجيج كثير وتكسير وصراخ وعواء قادم من شقتى.. كما أنها ترى أنى أبدو وغدا، حيث كان معى شاب قوى وفتاة رقيعة مراهقة (هى التى قالت ذلك) بالإضافة لاختفاء الجار الكريه الذى يجب أن يكون فى الجحيم الآن - على ما أتمنى -!

وصل هذا الكلام إلى (منى) من خلال أحد الحمقى المترددين اللزجين من القسم ليخبرها هذا الكلام.. فى رأيه يبدو أن هناك رابط بين الجنون الذى عانت منه وكل يحدث فى شقتى، لذلك انتقلت لشقتى ودخلت وحدها!

كانت على علم بهذه الطريقة السحرية لفتح الأبواب باستخدام مشبك شعر أو مشبك ورق، الطريقة التى يجيدها كل الناس تقريبا فيما عداى، والتى يمكنهم بها دخزل أى منزل وفتح أى قفل!

فتحت الباب ودخلت إلى شقتى..

توجد آثار معركة قوية هنا..

ضربات على الحائط وزجاج منثور وبقع دماء..

إذن..

(أحمد زكى)! لا بد أن هذا الوغد له علاقة بكل ما يحدث..

لابد أن تصل إليه!

** ** ** ** **

أنا و(أحمد مصطفى) جالسان فى السيارة نتتبع الفتاة، والتى كانت قريبة منا بشكل لا يصدق..

منزلها قريب، وسرعان ما تبدى لنا فى الأفق يحيط به مزارع خضراء جميلة..

سرت ببطء كى أملأ عينى من هذا الجمال ثم توقفت ببطء قريبا من المدخل، ورغما عنى لم أستطع كتم دهشتى.. صفرت بفمى وقلت:

- إنها ثرية.. لم يبد عليها هذا الثراء!

نظر لى ولم يعلق إنما ابتسم ابتسامة بلا معنى وهو يراقب الطريق، ثم اتسعت عيناه وهتف:

- ماذا لو أصاب الشيطان (إيمي)؟ هل سنقتلها هى الأخرى لتختفى فى الـ.. أيا كان المكان الذى يختفون فيه؟

حركت رأسى وقلت له :

- اهدأ.. اهدأ فقط، ودع السيف يتحدث!
- سيف؟ أى سيف؟ إننا لن نقتلها.
- نعم.. طبعا.. لن نقتلها هذا أكيد، سأقول لك شيئا بسيطا، خطتنا كالتالى، سنقتحم المنزل بقوة، ونستولى على كتابنا، أو للأدق نستعيده، ثم نرحل سريعا، موافق؟ هكذا لن نضر أحدا!

بدا عليه عدم الرضا، وعلى مايبدو أنه كان معترضا.. تبا لهرمونات الشباب!

صمت بضع ثوان قبل أن يقول:

- لابد أن هناك حلا.. لا يمكن أن يستحوذ الشيطان عليها.. إنها أرق وأجمل من أن يتم الاستحواذ عليها..
- تبا لهرمونات الشباب!
- ماذا قلت؟
- لا شىء.. هيا لننزل وننتهى من هذا الأمر!

نزلنا من السيارة نحو المنزل القريب.. منزل كبير يبدو كمنازل الأثرياء الأوغاد فى الأفلام.. لابد أن أباها تاجر مخدرات على الأقل ليمتلك هذا المكان الجميل، وبصراحة أنا لا أفهم لماذا تركت الفتاة كل هذا الرخاء من أجل الدراسة؟ لو كنت فى موقفها لاشتريت الشهادة فحسب، فهم على ما يبدو قادرون على ذلك!

وقفت أمام المنزل، ونظرت لـ(أحمد) نظرة خطرة، ثم – بكل قوتنا- ضربنا الباب بقدمينا فانهار ودلفنا للداخل صارخين كمحاربى الفايكينج وأنا أهتف:

- أين كتابى أيها الشياطين الملاعيييييييييين؟!

** ** ** ** **

الخجل..

عندما يغزو كل ذرة من خلايا جسدك فلا تستطيع أن تفعل شيئا وتتحول إلى أحمق بالكامل!

هل تعرف هذا الشعور السخيف؟

عندما دخلنا وجدنا أسرة سعيدة لطيفة تنظر لنا بذعر! تجمد الموقف للحظات قبل أن يتنحنح (أحمد) قائلا:

- احم.. هاى (إيمي)..

صاحت الأم بذعر:
- (إيمي).. هل تعرفين أيا من هذين؟
ابتسمت الفتاة فى حيرة.. لمحت فى عينيها الغدر، أعتقد أن من مصلحتها حتما أن تنكر معرفتها بنا، لكنى قلت محاولا كسر الجليد قبل أن تتهور وترد ردا سخيفا:
- نعم.. نحن صديقان لها وفكرنا أن نمر بها ونلقى التحية فحسب.. ربما بالغنا قليلا؟
ابتسم (أحمد) وهو يغلق الباب المهشم فى أدب:
- نعم.. نحن بالغنا فقط.. بيتك جميل حقا يا سيد... آآآ إنه رائع.. عذرا على ماحدث للباب عذرا عذرا!
نظر الأب لنا فى شك مصحوب بالازدراء والخوف، قبل أن يسأل:
- ولماذا أنتما مغطيان بالدماء هكذا! دماء من هذه؟! وما هذه السيوف التى معكما؟ هل يجب على أن أتصل بالشرطة؟
ياله من رجل مهذب، هل يستأذن فى طلب الشرطة أم أن هذا الكلام الراقى نوع من أنواع التهديدات؟ أى تهديد هذا!
نظر لى (أحمد)، فقلت:
- لقد ارتطمنا بثعلب برى.. أنت تعلم، كان يعبر الطريق حين ارتطمنا به، وعندما هبطنا لنتفقد الأمر (بوم).. انفجر الوغد علينا! يبدو أن بطنه كانت منتفخة بشىء ما.. كان شيئا غريبا فعلا..
نظر لى الجميع نظرة: أنت – كاذب – ردىء، ثم عقب الأب:
- انفجر؟ كيف ينفجر حيوان؟ أنا لم أر حيوانا ينفجر من قبل..
ابتسمت منتصرا وأنا ألوح بيدى فى تعجب وقلت:
- أرأيت؟ وأنا أيضا ياسيدى لم أر من قبل شيئا مماثلا.. لقد كان الأمر غريبا صدقنى ولكن..
نظرت للأم وأكملت:
- ربما هذا ليس أغرب شىء فى الوجود.. أليس كذلك؟
قلت الجملة الأخيرة بنبرة ذات مغزى.. لا يجب أن تحدثنى عن الغرائب من فضلك بينما تقف هذه المخلوقة إلى جوارك.. لو كان بيتك زجاجيا فلا تلق الطوب على الأبرياء، حينها قالت (إيمي) لأبيها:

- أستئذنك يا أبى للحديث معهما منفردين لدقائق، فأومأ لها بالموافقة فى شك ووقف بعيدا بحيث يراقف الموقف.. لا يمكن أن يثق بمخبولين مثلنا.. واقتربت منا ثم همست موجهة الكلام لى:
- أنت ترى.. أمى على قيد الحياة وبصحة جيدة، لقد كانت فاقدة للذاكرة وتعيش فى ملجأ قريب.. بالأمس عادت لها الذاكرة فعادت للمنزل! الأمر منطقى كما ترى!

منطقى.. حكاية منطقية، وقبل أن أفكر فى رد مناسب اقتربت الأم خطوتين ناحيتنا، فالتفتت إليها (إيمي) وقالت:

- أمى.. أعرفك.. هذا (أحمد مصطفى) صديق عزيز.. كنا نتمرن سويا ويساعدنى فى قضاء وقت لطيف فى التمرين.. وهذا أستاذ (أحمد زكى) وهو.. شخص ما! ربما لم أتخيل وجوده هنا فى المنزل! شخص رأى الكثير من الأمور الجنونية والخارقة فأصبح يشك فى كل شىء!

لم تعجبنى نبرة التهكم فى صوتها، فقلت بصوت يحاول أن يكون هادئا:

- أهلا.. أنا بالفعل رأيت الكثير من الجنون، أنت كنت فى عداد الموتى أليس كذلك؟

اتسعت عيون الجميع من فرط جرأتى وسرت همهمة غاضبة.. فى الحقيقة أنا لا أصدق هذه الحكاية.. لابد أن فى الأمر شىء سىء.. شعورى الداخلى يخبرنى أن الأمر ليس كما يبدو عليه على الإطلاق وقد تعودت أن أصدق شعورى دائما، لكن الأم لوحت بيدها لتصمتهم قبل أن تجيب بصوت رقيق:

- لابأس.. يمكنك أن تعتقد ذلك، فأنا نفسى لا أذكر الكثير.. ربما كان ما مررت به صعبا، فقد وجدونى أهيم على وجهى فى الشوارع وأبناء الحلال أنقذونى وأودعونى فى ذلك المكان.. وبالأمس عادت لى الذاكرة فجأة.. هذا كل شىء!
- واو.. قصة مؤثرة فعلا!

قالت (إيمي) بصوت ناعم:

- حسنا.. تشرفنا بكما حقا لكننا سوف..

قاطعتها بسرعة:

- تتعشون.. هذا رائع لأنى أتضور جوعا.. نحن نقبل الدعوة على العشاء!

اتسعت عينا (أحمد) ومال على أذنى يهمس:

- ماذا تفعل..

لكنى لم أجب.. أنا لن أرحل من هنا بدون كتابى، فلتكن هذه الأم فاقدة للذاكرة أو (زومبى) أو حتى كائنا فضائيا.. أنا أريد كتابى لأرحل من هنا وهذه اللصة (إيمي) لم تعرض أن تعطينى إياه.. لقد صغت كلامى بأكبر قدر من التهذيب لدرجة خدعت الأب الذى ظن أنها دعتنى بالفعل! هذا الرجل ساذج على قدر مبالغ فيه من الرقى والتهذيب.. من أين يأتى هؤلاء القوم؟
المهم، سوف أحصل على كتابى لأحل مشاكلى ثم سوف أتركها مع أبيها المخبول وتلك الـ.. (زومبى) لتفعل بها ماتشاء.

** ** ** ** **

فى ذلك الوقت حدث شيء تافه لا يجب أن نعلق عليه كثيرا لكنه قد يكون مؤثرا فى الأحداث وهو ما سنفهمه لاحقا، فقد تم اتهام الضابطة (منى) بالتورط فى إطلاق نار ربما أدى لمقتل مدنيين.. لا شيء حدث بالفعل إلى الآن، لكن التأثير النفسى عليها كان كاسحا..
هذا كل شيء..
والآن فلنعد لمنزل السيدة اللطيفة العائدة من الموت.. كانت (إيمي) تنظر إلينا نظرة كلها يأس مصحوب بأمل فى أننا قد نرحل ونتركها وشأنها لتستمتع بأسرتها اللعينة.. اقتربت منا باضطراب واضح، ثم همست:

- يجب أن تنظرا للأمر من جانب صحيح.. إنها أمى.. لا أعرف كيف عادت من الموت لكنها أمى.. ياشباب بالله عليكما كفا عن خلط الأوراق قليلا.. ليس كل مايدور حولنا شريرا لهذه الدرجة.. إنها أمى وأنا تأكدت من هذا الكلام..

كنا صامتين لا نرد.. طبعا أنا مستحيل أن أقتنع بهذا الكلام الفارغ لأنى قلتها مرارا: الموتى لا يعودون أبدا للحياة إلا يوم القيامة، الحكاية الأخرى قد تكون منطقية بشكل أكبر، لكن لا تدخل القلب.. لا يمكن تصديقها، وعلى ما يبدو فـ(إيمى) نفسها لا تصدق.. ما يحدث ماهو إلا شيء غريب مخيف لا أحب التفكير فيه ولا التعامل معه.. أنا لا أصدق قصة عودة الأم هذه.. كيف يموت إنسان وندفنه بإيدينا ثم يعود بعد سنين ليخبرنا أنه كان تائها، ولكى تؤكد الفتاة قصتها ازدردت لعابها وهمست برجاء:

- الحقيقة أنها لم تمت أبدا.. ربما نحن أخطأنا التشخيص أو.. لا أعرف، لكنها طيلة الفترة السابقة كانت تعيش فى ملجأ للمشردين.. كان حظها

جيدا لأن هذه الملاجىء لاتوجد فى بلادنا إلا قليلا، لكنها فجأة تذكرت من هى وعادت إلينا.. ربما قمنا بدفنها حية من قبل.. مسكينة..
نظرت لها نظرة كلها شك وقلت:
- رائع.. كلام مقنع تماما..
بينما شهق (أحمد) بانبهار وعينين متسعتين.. لا يكف هذا الفتى عن إبهارى بمدى سذاجته أحيانا.. على كل حال أنا غير مهتم، فقط لن أغادر المكان بدون كتابى..
كنت أنظر لها وهى تفسح الطريق بعينين دامعتين كى ندخل مرة أخرى لمنزل السيدة الميتة هذه..
مالى أنا وهذا الجنون كله!
** ** ** ** **
فى الداخل قام الأب بكرم حقيقى وعرض علينا استبدال ملابسنا بملابس نظيفة والاستحمام قبل أن نتناول عشاءنا.. ربما كانت زوجته شيطانة لكن الرجل ذو أخلاق عالية حتما، فقبلنا الدعوة شاكرين..
للأمانة فقد تنامى داخلى شعور بالخجل مما يحدث الآن.. أنا لم أكن وغدا أبدا طوال حياتى، وإنه لشعور مقيت سخيف..
بعد الانتهاء من تغيير ملابسنا – كانت ملابسى ضيقة قليلا لكنها أوسع ماعند الأب.. أنت تعلم أنى بدين قليلا – وقف (أحمد) جوارى يهمس بخجل:
- أنا.. أريد أن أخبرك شيئا لابد أن تفهمه.. (إيمي) لم تأخذ الكتاب!
- ماذا؟ أرجو أن تكون مازحا!
- لا.. أنا لا أمزح.. أنت لن تساعدها مالم تعتقد أن الكتاب معها، لكن فى الحقيقة.. الكتاب عندك فى تابلوه السيارة!
نظرت له فى غيظ!
تبا للشباب وقلوبهم الـ.. الـ.. لا أدرى بم أصفه.. لقد كذب على متعمدا، ربما الهدف نبيل لكن.. لكن! اللعنة!
استطرد:
- على الأقل سنحصل على عشاء مجانى؟!
لم أرد، ومن الأفضل قطعا ألا أرد.. وجهت تركيزى للأم التى كانت تملك ندبة كبيرة على جبينها.. لم تكن ندبة قبيحة بشكل خاص، ولكنها كبيرة وواضحة..
كانت تقول بصوت رقيق ونحن نستعد للطعام:

- فى الواقع أنا لا ألوم (إيمي) على اعتبارى ميتة هذه الفترة على الإطلاق.. ربما كنت ميتة بالفعل! كل ما أذكره أنى..

تحسست جبينها فى ألم وعيناها تشردان:

- كنت أقود سيارتى.. الجو بارد وهناك الكثير من الأمطار.. فى الحقيقة أنا لا أذكر الكثير فعلا.. لا أعرف ماذا حدث بعدها..

ابتسم الأب وأمسك بيدها فى حب حقيقى.. هذا نموذج للرجل المخلص.. يكفى أنه لم يتزوج غيرها طيلة هذه الفترة، وقال:

- قالوا أنها غرقت.. قالوا أن سيارتها جنحت إلى بحيرة قارون وابتلعتها المياه للأبد، لكننا لم نتخل عن الأمل أبدا!

رغما عنى قلت ساخرا:

- يالها من قصة مؤثرة!

نظر لى الجميع فى استهجان.. أنا وغد!

أعترف أن أعصابى متوترة للغاية، لكن.. يجب أن أتمالك نفسى قليلا!

** ** ** ** **

فى ذلك الوقت:

كنت لا أعلم أن الشرطة حاصروا مكان الحادث، ثم أن هناك أشخاصا وقفوا مع شرطى يعرضون عليه صورة على جهاز تابلت.. كانت صورتى التى لا أدرى من أين حصلوا عليها! ربما من كاميرا مراقبة أو ما شابه.. الأمر يتعقد شيئا فشيئا.. كانت صورة كبيرة وتملأ الشاشة بوضوح كاف للغاية، على حين اقتربت (منى) من الذى يحمل الصورة واستأذنت منه برقة..

كانت تنظر للصورة فى كراهية حقيقية.. لابد أنها لو رأتنى الآن فسوف تمزقنى بأسنانها تمزيقا..

انتبه أحد الضباط لوجودها فاقترب منه بتؤدة وقال:

- (منى)؟

رفعت عينيها إليه ولم تنبس ببنت شفه، فاستطرد هو بحزم:

- تعرفين أنك لا يجب أن تكونى هنا.. أنت متورطة فى إطلاق نار على شرطى..
- ولكن..
- لا لكن.. أرجوك لا تؤذى نفسك أكثر من هذا!

أومأت برأسها فى إحباط ثم ابتعدت.. نظرة عينيها تقول أنها تنوى شرا.. يبدو أن العالم كله ينوى الانتقام مني هذه الايام!

** ** ** ** **

فى بيت (إيمي) همست لـ(أحمد) بغيظ مكتوم:

- أفهم أنك تتحرك بناءا على مشاعرك الخاصة لكن لا يجب أن تخدعنى.. أفهم مشاعرك وأفهم أنك ترغب فى مساعدتها..
- لو لم أفعل ذلك فلن تأتى..
- طبعا.. يا صديقى هذه الـ.. شياطين.. هذه الشياطين خادعة للغاية، إنها تنتظر منك أن تأمن لها تماما ثم تضرب ضربتها فى أضعف وقت أنت فيه.. كنا فى غنى تماما عن هذه الرحلة الحمقاء.
- أنت تشك فى الأم؟
- طبعا..
- لا أظن أنها ملبوسة أو شىء ما..
- ولو أنها منهم فأنا على استعداد تماما.. لا تقلق..
- أنا لا أظن أنها غير طبيعية.. سوف أتقدم لها ليلا.. ما رأيك؟

نظرت له فى غيظ أكبر.. رحماك يا الله، كيف يفكر هؤلاء الشباب بالضبط؟

لم أرد حتى جلسنا حول مائدة الطعام.. طبعا جلس (أحمد) جوارها وسألها عن أحوالها فأخبرته أنها سعيدة للغاية.. مرة أخرى أقول تبا لهرمونات الشباب هذه.. جاءت الأم حاملة طبقا شهيا للغاية مليئا باللحم المشوى وعليه نوع من أنواع الصلصات.. لست أدرى ماهى ولكنها تشبه الدم المتخثر إلى حد كبير!

يجب أن أكف عن التفكير فى كل هذه الأمور المقرفة والمثيرة للتوتر والاشمئزاز حتى لا أجن.. ليست كل الأمور فى الدنيا منبعها الجن والشياطين وكل هذا الهراء.. أخذن نفسا عميقا ونظرت للسقف فى حين قالت (إيمي):

- أمى.. اللحم يبدو رائعا..
- صنعته من أجلك خصيصا.. أليست هذه وجبتك المفضلة؟

تنحنحت ونظرت لها ثم قلت:

- بالنسبة لامرأة فقدت ذاكرتها فأنت تحملين ذاكرة قوية للغاية.. منذ عشرين سنة وتذكرين تحديدا نوع اللحم الذى تحبه ابنتك؟

هل بدا عليها الارتباك أم أنى مازلت فى خضم شكوكى؟ لكنها أجابت بعد تردد:

- لا أعرف.. أعتقد أن الذاكرة يجب أن تعود لى رويدا رويدا.. أليس كذلك؟ ألا يقولون أن الذاكرة انتقائية وتختار بوضوح ما تحب أن تعرضه لنا فى الوقت المناسب؟

قالتها وارتجفت عينها فارتجفت الإضاءة من حولنا للحظات!
نظرت للجالسين، لكن لم يلاحظ أحد شيئا..
إما أنهم كلهم حمقى أو أنا الأحمق الوحيد..
كانت الأم تمضغ الطعام ببطء بطريقة تشبه طريقة مضغ الجاموس أعزكم الله!
الأب ينظر لنا جميعا ببلاهة سعيدة، و(أحمد) هائم مع (إيمي)...
بينما الأم جالسة هنا..
إذا كانت الأم حقا..
سأجن!
ولكن لو لم تكن هذه هى الأم وكانت أى شىء لعين آخر، فما خطتها بالضبط؟
هكذا سألتها:

- وما خطتك بالضبط؟

ارتجفت الإضاءة مع ارتجافة عينها اليسرى مرة أخرى وبشكل أوضح هذه المرة، وصاحبها التماع البرق فى الخارج.. لو كنا فى فيلم رعب لكان هذا مشهدا مبتذلا بكل تأكيد! لكنها التفتت لى وقالت بهدوء:

- عذرا.. لم أسمعك، ماذا كنت تقول؟
- خطتك.. ماخطتك؟
- أن يعود كل شىء لما كان عليه..
- كيف؟
- سأهتم بالأسرة والعمل..
- ماذا كنت تعملين؟
- مدرسة لغة انجليزية..
- وما كتابك المفضل؟
- العجوز والبحر..
- ولونك المفضل؟
- الأزرق الهادىء..
- هل تحبين الصيد إذن؟
- **أنا أحب الصيد..**

الذى قال الجملة الأخيرة كان الأب، فقلت له فى شراسة لا مبرر لها:
- لا داعى لأن تجيب على سؤال ليس موجها لك..
هنا فقدت (إيمي) أعصابها قليلا، فقالت لـ(أحمد):
- صديقك الوقح يفسد علينا العشاء ويفسد استمتاعى بجوى الاسرى.. أمى، من فضلك تجاهليه تماما..
ابتلعت الإهانة ونظرت للأم التى ابتسمت فى انتصار وهى ترفع حاجبها الأيسر.. حاجب التحدى، ثم أردفت وهى تضع شيئا من الطعام فى فمها:
- الآن يمكنك الاستمتاع بالعشاء، أم أن لديك أسئلة أخرى؟
أخذت نفسا عميقا ونظرت لها بحدة، ثم قلت:
- نعم.. فى الواقع لدى سؤال واحد.. أو، رد فعل وحيد!
ثم – بأقصى قوة – أعطيتها لكمة أطارتها من على الكرسى لتقع فى نهاية الصالة!

** ** ** ** **

نهض الجميع فجأة وسط صراخ متشابك من الكل.. (إيمي) صرخت وضربتنى على وجهى قبل أن تهرع لأمها، والأب صرخ قبل أن يطمئن على الواقعة أرضا، و(أحمد) صرخ فى ذهول مما فعلته!
وقفت منتظرا أراقب الكهرباء المتراقصة من حولى.. أخذت أتنفس بسرعة وأنا أرمق الواقعة على الأرض.. كانت هامدة تماما ويبدو أنها عادت للموت من جديد، ثم تجمد الموقف على هذا الحال..
لحظات من اللوعة والصراخ والهيستريا، قبل أن تتحرك المرأة ويظهروجهها الحقيقي..
الوجه الدميم!
يصرخ الشيطان من داخلها بصوت هز المكان حرفيا:
- **لاااااااااااااااااااا..**
رغما عنى ابتسمت.. من الرائع أن تكون على حق.. لقد بدأ أشعر وكأنى وغد وحيد وحقيقى هنا..
اقترب الأب من هذه الـ.. (زومبى).. كان لا يصدق والذهول الحزين يسيطر على مشاعره وهمس برجاء يذيب القلب:
- كيف؟

صرختُ فيه أن يبتعد، وأن هذه ليست زوجته، لكن الشيطانة التقطت شوكة بسرعة من على المنضدة لتغرسها بكل قوة فى عين المسكين قبل أن تضرب رأسه بالمنضدة لتخترق الشوكة مخه مباشرة..
فى لحظة ارتجف جسده قبل أن يلفظ نفسه الأخير ممزق القلب على زوجته التى لا يعرف ماذا حل بها..
عزائى الوحيد أنه ولابد لم يشعر بشىء..
صرخت (إيمي) بانهيار رهيب، بينما أخرجت مسدسى القديم من جيبى وأطلقت علي الشيطانة الرصاص.. لكنها طارت فى الهواء لتلتصق بالسقف وتجرى بعيدا وتختفى عن أعيننا فى لحظة..
أى فيلم رعب ردىء أعيش أحداثه هنا؟
التفت لـ(أحمد) و(إيمي)، لكنى لم أجد (إيمي)..
اين ذهبت هذه الحمقاء؟

** ** ** ** **

لم تستطع السيطرة على مشاعرها فهربت من لتوها إلى حجرتها وأغلقت الباب وانهارت فى بكاء عنيف ألهب مشاعرها وكيانها كله.. مدت يدها لتشعل أضواء الغرفة لكن المصباح انفجر فأطلقت صيحة فزع..
أجهشت فى البكاء من جديد لا تدرى على من.. أمها التى عادت ورحلت، أم على أبيها الذى مات منذ قليل، أم على نفسها وقد صارت وحيدة بلا أهل تقريبا، قبل أن تسمع صوت غناء رقيق..
ميزت صوت أمها فى الظلام! وانتبهت فى تلك اللحظة أن هناك شبحا ما يجلس على فراشها..

- أمى؟

قالتها بصوت خائف مختنق.. لايمكن أن تكون هذه أمها لأن التى عادت لم تكن أمها من الأساس..
لكن الشبح اقترب منها بهدوء لتتبين ملامح أمها الرقيقة.. قالت:

- أرجوك يا صغيرتى لا تهربى.. أرجوك ساعدينى.. أنا..
- لكنك قتلت أبى!
- أنا.. أنا فقدت وعيى للحظات.. أنا لا أريد ذلك.. أنا أقاوم..

ساد الصمت للحظات.. كلتاهما تنظر للأخرى ولا أحد يعرف ما ستسفر عنه اللحظات القادمة، ياترى هل تصدقها؟ وأى سيطرة هذه التى لا يمكنها أن تتخلى عنها!
وفجأة انكسر الباب ليدخل رجلان أحدهما بدين مسلح بمسدس والآخر مفتول العضلات مسلح بسكينين.. أنا و(أحمد)!
قلت لـ(إيمي) بصوت يحمل تصميم الدنيا على قتل الأم:
- ابتعدى..
لكن الفتاة صرخت:
- لا.. انتظر.. يمكننا مساعدتها، إنها تحاول المقاومة.. ألا تريان أنها تحاول بجدية؟
- إنها ليست أمك..
مست الأم كتفها وضمتها لصدرها برقة قبل أن تهمس:
- لا بأس.. لا بأس.. المهم أن تعرفى أن لم تكن هناك أى حوادث.. لقد ألقيت بنفسى للموت هربا منك أيتها اللعينة!
- !
صرخت الفتاة وهى تتلقى الضربة المعنوية فى صدرها قبل أن تطيح بها الشيطانة التى حملت وجهها القبيح الحقيقي..
هجمتُ عليها أطلق عليها الذخيرة، لكنها قفزت لأجدها بشكل ما فوق كتفى تطوق رقبتى لتخنقنى، وتجذب مسدسى بقوة خرافية ليصير تحت ذقنى تماما مصحوبا بضحكاتها الشيطانية القميئة.. لو أن إصبعى ارتجف لأى سبب فسأكون قد مت قبل حتى أن أدرك أنى قد مت!
المكان يهتز ويرتجف وكأن الشياطين تعبث بكل شىء.. انحنيت للأمام محاولا إسقاطها وهى تتشبث برأسى وكأنها تريد اقتلاعه، وفى هذه اللحظة انقض (أحمد) عليها بالسكين يغرسه بقوة خرافية فى منتصف رأسها بالضبط!
ساد الصمت وتجمد الموقف للحظة، ثم تركت رقبتى ووثبت واقفة على الأرض أمامها..
عيناها بيضاوان تماما، ووجهها لا يحمل أى تعبيرات..
ببطء مدت يدها وبدأت تستخرج السكين من رأسها وسط نافورة دماء متدفقة، الأمر الذى لم يتحمله الشابان من خلفى فانطلقا يصرخان بفزع رهيب، لكنى جئت

من خلفها وبآخر رصاصة فى مسدسى أطلقت النار على الرأس الشرير ليصمت للأبد..

** ** ** ** **

يالى من بطل رائع!

** ** ** ** **

من ميزات أن تملك رقعة شاسعة من الأرض كهذه أنه بإمكانك دفن من تشاء وبلا رقيب تقريبا غير الله وضميرك.. هكذا كنا واقفين نحن الثلاثة أمام قبرين يحويان جسد الأب وجسد الشيطانة.. لقد دفناهما هنا كى لا نثير مزيدا من التساؤلات نحن فى غنى عنها تماما.. كما أن الفتاة لن تقلق على الميراث لأن كل شىء ملكها بحكم أنه يوجد غيرها الآن.. ربما كان (أحمد) وغدا محظوظا رغم كل شىء.. لو تزوجها لاستمتع بكل هذا وبلا شك..

قالت (إيمي) وهى تبكى:

- هذا الشر.. هذا الذى جعلى أمى تبدو حية لتقتل أبى.. أنا أكرهه جدا..

همست لها بتردد:

- إذن.. ربما لا ينبغى أن تكونى وحدك الآن.. ربما كان من الأنسب أن تأتى معنا؟ كما أنك تذكرينني بنفسى وأنا صغير..

نظرت لى نظرة مستنكرة، فقلت:

- ليس فى الشكل طبعا.. أقصد أنى كنت ساذجا.. أرجو أن تقبلى قضاء بعض الوقت معنا من أجل حمايتك.. هذه الأشياء ربما لن تتركك وشأنك بعد الآن وقد تكون حمايتك الوحيدة فى البقاء معنا.. ما رأيك؟

لم ترد، وإنما انخرطت فى بكاء على كتف (أحمد) الذى لابد وأنه يستمتع الآن بكل هذه المشاعر الصبيانية المختلطة بالدموع والمخاط.. لا بد أنها موافقة، وعلى ذلك توجهنا للسيارة كى نذهب لوجهتنا التى نريدها..

محل الكتب..

ولكنى لم أكن أدرى أن الضابطة (منى) وجدت الكارت المدون عليه اسم المحل، وكانت متوجهة إليه أيضا فى هذا الوقت بالذات!

** ** ** ** **

-3-

عندما رحلنا عن المنزل الفاخر صار المكان خاليا بالطبع إلا من جثتين فى الفناء الخلفى بعيدا عن أعين الفضوليين.. الحق أننا قمنا بعمل رائع فى حفر هذين القبرين ودفن الأب والأم فيهما لأنك لا تكاد تلمح شيئا واضحا هنا.. لاتوجد آثار تقريبا أو علامات على وجود أى قبور لأن الأرض بطبيعتها غير ممهدة..
الصمت يخيم على الوجود، بينما تعبث رياح خفيفة بالاشجار المحيطة فتتحرك فى كسل أقرب للحزن على صاحب البيت الذى مات بدون ذنب غير أنه ساذج!
ثم قطع الصمت هدير سيارة غالية الثمن.. أنت تعرف هذا الهدير الذى يخبرك بوضوح لأن صاحب السيارة لص حتما، كى يستطيع اقتناء سيارة لها محرك يصدر هذا الهدير الجميل!
فى الخارج فعلا توقفت سيارة بالغة الأناقة.. سيارة رياضية حديثة، ربما هى مرسيدس أو بى إم.. لا أعرف تحديدا لأن الظلام كثيف كما ترى، ومن السيارة ترجلت امرأة بارعة الجمال ووقفت تتأمل الموجودات بعينين مهتمتين بكل شىء..

نحن تحدثنا عن هذه المرأة من قبل لكنك لا تتذكر الآن أو ربما أنت غير منتبه!
المهم أنها كانت ترتدى ملابسا عملية للغاية، جينز وحذاء خفيف وسترة غير واضحة المعالم، وهو ما زادها فتنة وجمالا.. الملابس البسيطة تجعلك لا تنتبه لشىء إلا للجمال الصارخ الواقف أمامك، ممزوجا بشىء من القسوة.. ترى ما الذى جاء بها إلى هنا؟
ببطء أخذت تتجول فى المكان وتتشمم كالكلب البوليسى.. إنها تبحث عن شىء ما كما هو واضح، ولكن لايبدو أنها لصة على الإطلاق..
ترى أنها تقترب رويدا رويدا من القبرين وكأنها تعرف مكانهما!
تقف أمامهما للحظات وتتأمل، فى حين تحركت الشجرة القريبة بتأثير رياح غير محسوسة..
انحنت المرأة تنظر للأرض باهتمام، وكان ذلك عند قبر الأب.. كانت تفكر بعمق حين انقضت عليها يدان من تحت الأرض فجأة تمسكان ذراعيها بقوة مدهشة!

** ** ** ** **

انتفضت الحسناء بعنف وتراجعت للخلف بقوة لم تفلح فى الإفلات من اليدين الجهنميتين، ومن تحت التراب انجذبت جثة الأب مفقوء العين.. جثة تموج بالحيوية.. جثة بشعة لأن أحدنا لم يجسر على نزع الشوكة من عينه!
الأمر مخيف للغاية، لكن الأكثر إثارة للفزع أن المرأة بدا عليها ربطة الجأش، وبقوة بالغة لفت ذراعيها حول ذراعى الجثة ثم دفعتها دفعا نحو الأرض واعتلتها بقوة ساحقة وسط زمجرات وصياحات غير بشرية على الإطلاق.. من أين يأتى هؤلاء القوم!
ثم سألت بصوت هادىء:
- هل كان الكتاب وصاحبه هنا؟
من تحتها تعالت ضحكة متحشرجة.. لا يمكننى الجزم ما إذا كان الأب قد عاد للحياة بشكل ما، أم أن الشيطان الذى كان فى جسد الأم غادرها ليسكن جثة الأب؟ لا يهم..
المهم أنه قال بصوته المتحشرج البشع:
- لن تعرفى شيئا.. اذهبى للجحيم وربما أخبرناك هناك أين الكتاب..
ضحكت المرأة فى استهزاء، ثم أخرجت من نطاقها خنجرا غريب الشكل.. كان يبدو كتحفة فنية مصنوعة من العظام مع نصل بلون الفضة البراقة، ثم أردفت:
- لن تجيب.. هذا متوقع..

الأغرب أن الشيطان من تحتها بدت عليه مخايل الخوف والهلع، خاصة عندما بدأت تسير على وجهه بطرف السكين مسسبة له على ما يبدو ألما أسطوريا، وكتمت صرخاته الهائلة بيدها الأخرى..
ما الذى يحدث بالضبط؟
لا أعرف.. أنا فى مكان آخر أفعل شيئا آخرا الآن، فدعنا من هذا العبث ولنر ماذا كنت أفعل!

** ** ** ** **

توقفتُ بالسيارة أمام متجر الكتب القديم.. كان الجو مشمسا رائعا مع بعض الغيوم اللطيفة فى السماء.. تبدو كل الأحداث التى مررنا بها من الماضى الآن، كما تبدو سخيفة للغاية مع كل هذا الضياء..
كانت (إيمي) تجلس فى الخلف حزينة دامعة العينين شاحبة الوجه، وصدق أو لا تصدق فقد زادها هذا الشحوب جمالا.. الجمال الحزين! هناك وجوه تبلغ أوج جمالها فى الحزن، ويبدو أن هذه الفتاة تملك وجها من هذه الوجوه..
أخذتُ نفسا، ثم قلت:

- حسنا.. أعرف أن صاحب هذا المكان غريب الأطوار نوعا.. أنتما لن تدخلا معى بالطبع، فأنا لن أستغرق إلا بضع دقائق، ولكن تحسبا للظروف فحسب ولو قابلتماه بأى شكل كونا على علم بأنه ليس طبيعيا.. لا ينظر أحدكما إلى عينيه، ولا تتعاملا معه تعاملا غير مدروس.. لن أتأخر.. ناولنى الكتاب من عندك..

أومأ (أحمد) برأسه إيجابا ثم فتح درج التابلوه وأخرج الكتاب.. هل أتخيل أم أن الطيور طارت بعيدا وظللتنا غمامة فجأة مع خروج الكتاب للنور؟
احتضنته جيدا ثم خرجت من السيارة تاركا الوغدين بمفردهما قليلا، ثم دلفت إلى المحل مباشرة..

** ** ** ** **

كان المحل عجيبا للغاية! قديم جدا ملىء بالكتب بشكل يفوق خزانة الكتب العامة ذاتها، كما أنه ملىء بـ.. لست أدرى كيف أصفها، لكنها تبدو كتحف سحرية بغيضة من كل مكان فى العالم!
نعم! هذا ماتبدو عليه! لا عجب أن المكان يعانى الركود.. لا أحد يحب الدخول لهذا المكان بالتأكيد! كيف يوجد مكان كهذا أصلا فى مصر؟ لو أردت الحق

فالمكان يحمل طابعا غجريا أوروبيا مثل مانراه فى الأفلام الهابطة.. الغجر فى أوروبا افتتحوا محلات سحرية للنصب على البسطاء تشبه هذا المحل جدا..
وقفت للحظات أنادى على صاحب المكان.. ثوان ثم برز لى من خلف باب مفتوح.. كان رجلا ضئيل الحجم منمق الملامح للغاية ويبدو أنيقا جدا على غير ما توقعت، ومن خلفه ظهرت امرأة ما.. لم أكن أعرف أنها الضابطة (منى) وقتها.. كانت تنظر لى نظرات عجيبة، لو أنصفت القول لقلت أنها تبدو كنظرات طفل وجد مأربه بعد بحث طويل فى محل الحلوى.. أومأت برأسها للبائع بحركة لم أفهم مغزاها ثم خرجت مباشرة من المكان وهى تتابعنى بطرف عينيها، ورأيتها فى الخارج تتصل بشخص ما على الفور.. العالم لن يكف عن إبهارى بكم المجانين الذين يعيشون من حولنا!
نظر لى الرجل وقال:

- عذرا، كنت أعالج بعض الأمور القانونية فحسب.. تحت أمرك..

بدون كلمة أخرجت الكتاب ووضعته على المنضدة أمامه فاتسعت عيناه وفغر فمه كالأبله! ثم قال بصوت مرتجف:

- هل.. هذا حقيقى؟ إنه يبدو حقيقيا..
- نعم.. إنه حقيقى.. عرفت أن بإمكانك إبطال ما فيه من شر أو أنت قلت هذا الكلام فى وقت ما، فهل يمكنك فعل هذا الآن؟

كان انبهار الرجل بالكتاب بالغا فيبدو أنه لم ينتبه لكلمى من أصله.. كان يتحسس وجه الكتاب بذهول، ثم قال:

- هل تعلم أن هذا الغلاف من الجلد البشرى فعلا؟ هل تعلم أنه يبدو كالوجه لأنه مصنوع من وجه حقيقى؟ هل تعلم أنه..

قاطعته فى ضجر:

- نعم نعم.. من فضلك أريد الانتهاء من ما جئت إليك كى تنهيه.. ألم يحدثك دكتور (جلال) أم ماذا؟
- هل يمكننى أن أفتحه؟

تبا! إنه يبدو أحمقا للغاية! أرجو ألا يزيد الأمور سوءا بعدما ينتهى، فأشرت إليه أن: (تفضل)! كيف سيتعامل معه إن لم يفتحه!
فتح الكتاب بانبهار.. وفى نفس اللحظة ارتجفت أضواء المحل بشكل مخيف بينما بدأ الرجل يتأمل الكلام والرسومات التى بداخله، وشعرت بأحشائى تتقلص.. أنا لا أحب هذا الكتاب، وكل مرة ينفتح فيها غالبا تحدث مصيبة!

أما فى خارج المكان:
الشابان يجلسان جوار بعضهما الآن، و(أحمد) يتحين الفرصة كى يقول أى شىء.. إنه يتمزق من أجل هذه الفتاة ولا يدرى ماذا يفعل، فقال:
- (إيمي).. بم تشعرين الآن؟
نظرت له وابتسمت ابتسامة مريرة قبل أن تقول:
- أشعر بالسوء.. أسوأ شىء يمكن أن تشعر به أنا أشعر به، ولكن.. هناك شىء واحد مضىء فى حياتى الآن..
خفق قلبه فى عنف، وهمس:
- وهذا الشىء هو؟
- أنت.. أنت يا (أحمد).. أنت مثل أخ حقيقى جئت فى وقتك تماما..
عقد الفتى حاجبيه فى ضيق، ورغما عنه قال:
- أخ؟ لالالالا.. أنا لا أصلح للأخوة إطلاقا! ربما بعد كل شىء لا يمكن أن أكون أخا لك أصلا!
كانت عيناها تنظران للخارج فى انتباه وأشارت له أن ينظر.. كانت الضابطة (منى) تغلق باب سيارتها وتحمل مسدسا فى يدها وتدخل إلى المحل الذى أنا فيه الآن!

** ** ** ** **

هكذا.. بينما أنا واقف أتحاور مع البائع المذهول عن مدى روعة هذا الكتاب، سمعت فجأة صوتا ناعما حازما ظافرا يهتف:
- أرفع يديك عاليا ولا تقم بأى حركة مفاجئة وإلا.. أنت مقبوض عليك..
ثم سمعت:
(طاك)..
ثم **(طراخ)!**
نظرت من خلفى لأتبين مصدر كل هذه الضجة العنيفة لأجد (أحمد) واقفا بجوار فتاته مبهور الأنفاس، وبيده شىء ما من المتجر، ويبدو أنه ضرب (منى) بقوة على رأسها فوقعت دون حراك على الأرض! وبتردد قال:
- هل.. هل قالت شرطية؟ أو قالت مقبوض عليك؟ أنا ضربت شرطية؟ هل من ورائها قوة ما؟ شرطية؟
كان يبدو عليه أنه متعجب من فكرة شرطية امرأة أكثر من فكرة أنه ضرب شرطية، وكلا الأمرين يثير ذعره..

- لا تقلق.. هيا لنضعها فى الخلف..

جررنا الفتاة وقيدناها بأصفادها فى عامود معدنى ثقيل فى الخلف كى لا تثير اهتمام أو ضجة، بينما خرجت أنا وأغلقت المحل تقريبا من الخارج.. لانريد فضوليين الآن، ثم عدت لأتابع الموقف السخيف..

طلبت من (إيمي) أن تظل بجانب الشرطية قليلا ريثما ننتهى من أمر هذا الكتاب فى الخارج..

- رائع.. مستقبلى مشرق حتما، فما أجمل أن تستيقظ هذه لترى وجهى أول ماترى..

نظرت لها دون تعليق ثم اصطحبت (أحمد) للخارج.. كان البائع الأنيق يقف بانتظار ما ستسفر عنه الأحداث.. كان يعرف جانبا مما حدث كما أخبره دكتور (جلال)، فقلت له:

- والآن.. هل يوجد فى الكتاب شيء يمكن أن يوقف كل هذا العبث أم أننا غرقنا فى بحر الشياطين هذا للأبد؟

فتح الكتاب مبهورا مرة أخرى فارتجفت الأضواء مرة أخرى! سمعته يتمتم: التحويل .. صناعة الذهب.. السيطرة على العقول.. السفر عبر الزمن.. القتل عن بعد.. القوة..

كنت أنظر للصفحات وفي داخلي طفل صغير يتمنى أن يجرب كل هذا الكلام..

هذا الكتاب خطير فعلا! سألنى وهو يرفع عينيه إلي:

- هل تعرف ما هذا الكتاب أصلا؟

رددت فى ثقة:

- طبعا.. أقصد أنى بالطبع أعرف ماهذا الكتاب ولكن.. لو أحببت فيمكنك أن تشرح ما تريد شرحه من أجل صديقى هذا..

أخذ نفسا عميقا ثم قال:

- هذا الكتاب قديم للغاية ولكن لا يتعدى ألف وخمسمائة عام على أقصى تقدير.. أنت لا يمكنك أن ترى مدى قدمه لأنه محصن ضد الزمن نفسه.. يعتقد البعض خطأ أنه شمس المعارف الكبرى، أو النيكرونوميكون، لكن الحقيقة أن هذا الكتاب ليس له اسم.. إنه يشار إليه باسم (الكتاب) فقط.. أوراقه الداخلية مأخوذة من جلود صدور رجال أحياء، قصوا جلودهم وصنعوا منها الكتاب، وغلافه هو وجه كاتبه الأول!

قديما كانت هناك جماعة قليلة من المخلوقات، ليسوا بشرا وليسوا من الجن أو الشياطين، وإنما هم مخلوقات قوية بين العالمين.. كانوا موجودين من القدم سوف يبقون للأبد، لكنهم محرومون من الكثير مما نتمتع به هنا.. وفى عالمهم يوجد الكثير من أمثالهم.. كتبوا هذا الكتاب وألقوه لنا، فصارت الدماء تجرى أنهارا كلما فتحه أحد الحمقى.. بالطبع ليس الكتاب شريرا فى حد ذاته، ولكنه يعتبر (معبرا) لهذه الكيانات نحو الأرض.. يمكنهم من خلاله الدخول إلينا بقوة بالغة ليعيثوا فسادا كما يشاءون.. ومن أجل هذا الهدف صارت السياطين تخدم الكتاب وحامله.. إنهم لا يريدون إلا الخراب لنا..

- ألا يمكنهم المجىء فحسب بدون دعوة أو رموز وقراءات وكل هذه الطلاسم؟
- ليس كلهم.. الأقوياء والكبراء والسادة محظورون عنا، ولكن باستخدام هذا الكتاب يمكنهم المجىء.. كل شياطين الأرض كانت تبحث عن حامل الكتاب ليأخذوه منه ويعطوه لمن يستطيع فتح البوابات كاملة.. ولكنهم يخفون الأمر عن بعضهم، ولولا ذلك لوجدت جيوشا تهاجمك بلا رحمة!
- وماذا سيحدث لو فتحت البوابات كاملة؟

رفع وجهه المصفر وقال:

- طبعا ستكون النهاية! نهاية كل شىء.. ربما سيكون هذا هو يوم القيامة نفسه!

** ** ** ** **

فى هذا الوقت كانت (منى) قد أفاقت.. نهضت من جلستها وهى تشعر بآلام عنيفة تجتاح رأسها عندما وجدت (إيمي) أمامها، فصرخت غاضبة وحاولت أن تنقض عليها لتفاجأ بالأصفاد تكبلها..

- فكى هذه الأصفاد حالا!
- لا!
- أنا شرطية.. آمرك أن تفكيها حالا!

لوحت (إيمي) بالمسدس ثم قالت:

- وأنا معى هذا وأقترح أن تهدئى قليلا..

أخذت (منى) أنفاسها وتطلعت لـ(إيمي) تفكر، ثم قالت:

- إن الرجل بالخارج مجرم، وربما لا تحبين أن تتورطى معه..

- ربما..
- لماذا تدافعين عنه؟ ماذا تعرفين عنه على كل حال؟

رفعت (إيمي) حاجبها.. حقا، ماذا تعرف عنى أصلا؟

** ** ** ** **

- وماذا سوف نفعل؟
- لا أدرى.. دعنا نبحث فى الكتاب..

رفعت عينى أتأمل السقف فى حنق وزفرت من قلبى.. يبدو أن هذا الرجل أحمق أو نصاب ولا يعرف أى شىء على الإطلاق، إلا أنه ربما كان قادرا على فك بعض طلاسم ورموز الكتاب.. ربما كان من الحكمة ألا أتركه وأرحل الآن.. كما أنى لا أملك أى خطة بديلة.. فلأنتظر إذن!

هنا قال (أحمد) متهكما:

- مادمت لا تعرف كيف تنهى الأمر، فلنقم بتحضير شيطان من قلب الكتاب ولنجبره على الاعتراف إذن..

نظرت له مفكرا للحظات ثم صحت:

- عبقرى.. أنت عبقرى.. فلنحضِّر أضعف شيطان فى هذا الكتاب..

نظر لى فى هلع غير مصدق للجنون الذى أنطق به، بينما انطلق البائع يبحث:

- لكنى لا..
- اصمت.. سوف نقوم بجلسة تحضير لشيطان أبله، وسوف نستجوبه! لابد أنهم يعرفون كيف يمكن أن ينتهى كل شىء!

** ** ** ** **

من المتجر القريب اشتريت كل ما استطعت حمله من أكياس الملح وأعواد البخور حسب طلب هذا الرجل الغريب فى المتجر.. كنت أتمنى أن ينجح الأمر هذه المرة، صحيح أن القراءة من هذا الكتاب هى التى سببت المشاكل منذ البداية، ولكن.. أعتقد أنه لابأس بالقراءة مرة أخرى، فلن يزداد الطين بلة أكثر لو كنت تفهم قصدى..

عدت للمتجر وبدأنا الرسم.. دائرة كبيرة غليظة، مرسوم داخلها النجمة الخماسية اللعينة، وعلى حواف الدائرة نفسها رسم البائع كلمات أو حروف لا أدرى ماهى..

كان (أحمد) يبدو عليه التوتر كما ينبغى لأحد يحضر شيطانا لأول مرة فى حياته أن يكون متوترا!.. شعور غريب أن الظلام يكتنف المكان هنا بينما الشمس تلتهب فى الخارج.. لو يعرف الناس مايدور على بعد خطوات منهم فحسب!

انتهى الرجل مما ينفعله ونهض لاهثا ينفض ملابسه من أثر الملح وهو يقول:

- الآن نحن – نظريا – فى أمان تام! مادام الشيطان داخل الدائرة فلا خطر علينا من أى نوع على الإطلاق.. أرجو فقط أن تحتفظوا بربطة جأشكم! أنا اخترت واحدا يبدو سهل الانقياد نوعا..
- لكن.. هل هو ضعيف؟ أعني هل هو شيطان بسيط يمكننا التعامل معه أم هو مخيف؟ هل هو شيطان جبان يمكن أن.. أنت تعرف!

كان المتسائل هو (أحمد).. غريب أمر هذا الفتى.. ألم يواجه مواجهات عنيفة منذ قليل؟ ألم يقتل بيده شياطينا منذ قليل؟ لست أدرى مم يخاف على الإطلاق!

تابع الرجل:

- حسنا، لا أعرف ما إذا كان ضعيفا أو لا، لكن.. فى الحقيقة لا يوجد شىء يقول أنه شيطان جبان، لكنه صغير مقارنة بالشياطين، اسمه (أليجوس).. يملك قدرة على معرفة الاشياء المخفية وهو شىء جيد، كما يملك القدرة على التلاعب بالعقول وهو الشىء المخيف.. يجب أن نكون حذرين! كما أنه يتغذى فعليا على ضعفاء الروح، أو المجروحين عاطفيا، أو على الخائفين.. يستمد قوته من هؤلاء، لذلك يجب أن نتمالك أنفسنا..

أومأنا برؤوسنا.. لا شىء غير ذلك يمكننا فعله على كل حال، ثم نظرنا للرجل وهو يبدأ..

أشعل البخور عند زوايا الغرفة، واضاء عددا من الشموع، ثم بدأ يقول بصوت خفيض أثار هلعي:

- أبيجور..

خامناه..

سونياه..

إيتاهاه..

شوباتوباشالاه..

زوماه..

إيتاهاه..

شوباتوباشالاه..

زومراه..

لست متأكدا، لكن.. أقسم أنى رأيت رأسا محنطا يتحرك ناظرا نحونا.. الأشياء تهتز، وكأن الجو امتلأ بالكهرباء الاستاتيكية فجأة.. طنين سخيف ملأ سمعى، وكلمات الرجل تختلط فلا أكاد أفهم شيئا..
كل شيء يهتز من حولنا، وفجأة انفجر المصباح الضئيل الذى كان فوقنا، لكن البائع لم يتوقف، بل تعالى صوته أكثر واكتسب ثقة وحشية فى الاستدعاء..
المكان يرتجف بنا، وصوت الزجاجات فى الركن وهى ترتجف يثير لدى كل مشاعر الخوف..
رباه.. ماذا فعلنا!
فجأة بدأت الشموع تنطفيء تحت تأثير رياح ساخنة خفية هبت على المكان فجأة.. الأوراق صارت تتطاير فى المكان كله مسببة فوضى عارمة، وصرت لا أعرف من أين يأتى الخطر.. لست أعرف أى خطر هو القادم، لكن أخذت أتلفت حولى بتوتر بالغ..
ودون أن أشعر رفعت سلاحى تجاه منتصف الدائرة الفارغ!
وفى الخارج لم يكن الأمر أفضل حالا، إذ أن السحب تكاثفت فجأة فى السماء وصار دوى الرعد يصم آذان الناس بشكل لايمكن أن يحدث فجأة على الإطلاق، وبدا وكأن البلاد تواجه إعصارا مقبلا..
وفى الداخل كانت الضابطة (منى) تحاول إقناع (إيمي) أنهما فى نفس الفريق وأنى قاتل شرير، وأخذت تثرثر حول زميلها الذى مات!
عجيب أمر النساء!
ثم لاحظتا تغير الجو فجأة والظلام الذى زحف على ضوء الشمس من خلف زجاج نافذة صغيرة فى نهاية الحجرة.. ومع دوى انفجارات الرعد المتتالية والرجرجة التى حدثت فى المكان صاحت (منى) بصوت مرتجف:

- ما الذى يحدث فى الخارج؟
- لا أعرف.. كنت أظن أنهم يحاولون إصلاح هذا الأمر.. لكنه ليس خيرا على الإطلاق!

كان ذلك حين بدأت بعض الأشياء تتطاير حولهما فى عنف وتتكسر..
أما البائع فكان يكمل كلماته فى إصرار غريب:

- ماليداى..
بوفيماه..
كونشيساهاه..

بوراتيماه..
سألنى (أحمد) بصوت خائف:
- هل ما يحدث هنا طبيعى؟
أجبته بكل ثقة:
- لا فكرة لدى على الإطلاق! ولكن على سبيل الاحتياط دعنا نسجل هذا الكلام بالهاتف!
ابتعد عنى وملامحه تنم عن رعب ويأس، بينما أخرجت هاتفي وسجلت كلامه..
لا أعرف إذا احتجته مرة أخرى فى موقف آخر!
ولاحظ (أحمد) أن أحد الحيوانات المحنطة فى الفورمالين تتحرك حركة ضئيلة..
اقترب منه فى حذر لكن البرطمان تحرك وسقط وانكسر، ثم تحرك الشىء الذى بالداخل ليتلوى على الأرض، فصاح (أحمد) مذعورا وركله بقدمه بعيدا..
بينما كانت (منى) تقول لـ(إيمي) وهما تتفاديان الأشياء الطائرة والمكسرة من حولهما:
- انظرى، أنا بإمكانى مساعدة أصدقائك لكن ليس وأنا مكبلة هكذا.. فكى قيودى..
- لا يمكن..
- أعدك لن أقترب منهم بسوء.. أعدك، انظرى.. إنهم فى ورطة، ونحن أيضا ربما نكون فى ورطة.. ألا ترين؟
وفى الخارج، كان البائع يواصل الصراخ بكلماته حتى تكونت دوامة سوداء فى منتصف النجمة، وعندها صرخ بأعلى صوته:
- **ليخرج آآآآلييييييجووووووووووس!**
ومع جملته انفجر كل ماهو زجاج من حولنا مع تشكل المخلوق البشع أمامنا!
** ** ** ** **
صار الملح على الأرض أحمر اللون للحظات وكأنما هو حديد يتوهج، ومن قلب الدائرة ظهر فجأة.. يصرخ فى وجوهنا صراخا عنيفا..
كان مخيفا للغاية.. لا أستطيع أن أصفه بالتحديد لكن دعنى أقرب لك الصورة:
تخيل رجلا مفتول العضلات، ومن جذعه لأسفل لا توجد أقدام إنما هو ذيل كذيل جنى علاء الدين، ولونه رمادى تماما أقرب للسواد، ورأسه بلا عيون إنما هى كرة جلدية قبيحة ذات فم مشوه ملىء بالأسنان القبيحة أيضا!
وكان يهتز طوال الوقت..

يهتز ويرتجف كأنه صورة سيئة فى تلفاز قديم أو.. لا أعرف، لكنه يهتز بشكل لا أستطيع وصفه، هل تعرف الاهتزاز السريع الذى لايمكن لعينيك رؤيته ولا تحديد الحدود الخارجية لما أمامك من فرط الاهتزاز؟
إنه من هذا النوع!
تراجع (أحمد) فى رهبة بينما تطلع البائع له فى انبهار بينما تجمدت أنا تماما..
صرخ البائع:
- ابتعدوا عن الدائرة.. مهما فعلتم ابتعدوا عن الدائرة.. لا تقتربوا منها!
وقف المخلوق يزأر، ثم قال بصوت يشبه الفواق:
- لماذا استدعيتمونى؟
ابتلعت ريقى وقلت:
- أنا.. أقصد نحن استدعيناك لكى نعرف.. حسنا، نحن فعلنا شيئا خاطئا بالكتاب أو استدعينا شيئا ما، ونريد أن نعكس العملية، فكيف يمكننا إيقاف كل شىء؟
اهتز الشيطان أكثر وقال بلزوجة:
- حررنى وسأخبرك بكل شىء..
هززت رأسى ثم قلت محاولا استجماع شتات نفسى:
- محاولة جيدة.. لكنى أريد معلومات مفيدة يمكننى استغلالها..
- مُتْ سريعا..هذا أفضل شىء يمكنك فعله.. وهذه نصيحتى الوحيدة!
قالها ثم صار على حافة الدائرة بنظر لى مباشرة بدون عينين..
رباه، إنه مخيف للغاية.. ومع ذلك قلت موجها كلامى للبائع:
- لا فائدة منك، أعد هذا الحقير من حيث جاء..
عندها انفتح الباب فجأة لتدخل علينا (منى) حاملة المسدس وتصرخ من هول ما رأت وخلفها الحمقاء (إيمي).. ورغم الموقف صرخت (منى) علىّ:
- ضع سلاحك جانبا وإلا فسأطلق عليك النار..
- سيدتى، أرجو أن تلتزمى الهدوء قليلا.. كما ترين أنا مشغول الآن..
- الآن..
قالتها وأطلقت رصاصة فى الهواء أصابت شيئا ما معلق فى السقف، فسقط على الأرض فوق دائرة الملح..
ركل الشيطان الشىء الذى وقع، فزحف على الأرض متسببا فى قطع الدائرة..
وتحرير الشيطان!

**   **   **   **   **

اللعنة على غباء النساء.

**   **   **   **   **

نظر لى الشيطان ثم مد يده لقدمى يجذبنى لأزحف على الأرض وأنظر إليه من أسفل.. لقد حصلت على الرعب كاملا كما ينبغى أن يكون، وصرخت بيأس على البائع أن يعيده الآن.. الآآآآآآآآآآآآآآآآآآن!

كان البائع يحاول أن يفعل شيئا ولكنه فى حيرة تامة، بينما الشيطان يمد يده ليخترق جبهتى وأشعر بأصابعه فعليا تعبث بخلايا مخى.. آآآآآآآآآآآآآآآه، يالالألم.. أشعر بأعصابى تتمزق والكهرباء تسرى فى جسدى.. أشعر بنار تجرى بدلا من الدماء فى عروقى، وأصرخ..

لكن (منى) أطلقت على رأس الشيطان رصاصة اختفى على إثرها فى الهواء.. وللحظات تجمد الموقف على هذا النحو ونحن لا نعرف ماذا نفعل..

وفجأة ظهر أمامها ليطيح بها نحو الحائط وتسقط فاقدة الرشد.. هنا نهضت أنا سريعا والتقطت مسدسى محاولا إطلاق النار عليه، لكن هل يتأثر بهذا الكلام أصلا؟

كان منظر المحل يبدو وكأن آلاف المراوح تعمل هنا.. الهواء يعصف بكل شىء، ولا يمكننى أنى أرى بوضوح لأن كل المصابيح أصابها الجنون فصارت تضىء وتظلم وحدها..

(أحمد) جالس فى ركن وخلفه (إيمي) تحتمى به، وصوت فحيح الشيطان الغاضب يملأ الاسماع من حولنا..

فجأة ظهر أمامى واختفى..

وظهر عند الحائط البعيد واختفى..

وظهر أمام الشابين واختفى..

إنه يعبث بى، وربما لو أطلقت النار لأصبت واحدا من الموجودين..

على الجانب الآخر من المحل ارتفع صوت البائع يتمتم بشىء ما.. أخيرا يحاول إعادته للجحيم!

لكن اللعين ظهر جوار إحدى الأماكن التى تعج بالزجاج المحطم، ورفع يده فتطايرت القطع الحادة فى الهواء، وبأقصى سرعة انطلقت قطع الزجاج نحو البائع المسكين لتخترق كل جزء من جسده ويصمت إلى الأبد!

صرخنا جميعا.. صراخ خوف ويأس وألم..

عندها ظهر الشيطان أمامى وبدأ يمس رأسى من جديد وانطلقت الآلام تعبث فى جسدى بحرية..
سأموت الآن..
كانت (إيمي) خلف (أحمد) تشعر بالذعر.. ترتجف، ثم سألته:
- ما هذا بالضبط؟ وما هذا المخلوق؟
- إنه استدعى شيطانا..
- استدعى ماذا؟
- نعم.. يجب أن نساعده..
- هذا شيطان.. نعم.. كيف؟ وستساعده والكتاب لا يمكننا قراءته؟!
لم يرد وإنما نهض من مكانه والتقط مسدس (منى) ثم أطلق النار على رأس الشيطان الذى اختفى على الفور..
وقفت ألتقط أنفاسى بصدر يئن..
هل انتهى كل شىء؟ سرت بضع خطوات نحو (أحمد).. أنا ممتن له حقا، وقلت له وأنا أربت على كتفه:
- أحسنت.. إصابة موفقة يافتى..
لم يرد، لأن الشيطان ظهر من خلفنا ومد يديه فى رأسينا معا وبدأ الألم يجتاحنا معا..
الألم.. فى كل عصب وكل خلية..
ألم لا يطاق.. ألم ألم ألم ألم..
نهضت (إيمي) من مكانها بيأس نحو الكتاب المفتوح وهى تحاول فهم أى شىء، لكنه كتاب سحر يافتاة.. لا جدوى مما تفعلينه على الإطلاق!
هكذا صرخت وأمسكت الكتاب وبأقصى قوة نابعة من اليأس انهالت به على رأس الشيطان، وللمفاجأة تبخر مصدرا صوت فرقعة قوية!
وطارت (إيمي) لتسقط على الأرض وجوارها الكتاب.. الكتاب الذى كان ينبض بضوء أحمر دموى!
تهالكت أنا و(أحمد) على الأرض.. لو استمر الأمر لعدة ثوان لكنا متنا حتما..
جسدى كله يرتجف وكأنى موصل بالكهرباء، ولا أستطيع التنفس بشكل صحيح، لكن الأمور تبدو هادئة ويبدو أن الموقف قد انتهى..
اعتدلت (إيمي) وأخذت تتلفت حولها.. نهض (أحمد) من جوارى واتجه نحوها ثم التقط يدها كى تنهض!

يبدو أن الشيطان قد رحل أخيرا! توجهت نحو الضابطة التى كانت تسترد وعيها رويدا رويدا، ومددت يدى لها كى تنهض، ثم قلت:

- والآن.. هل يمكنك أن تسمعينى قليلا؟

أمسكت بيدى وابتسمت ثم وضعت القيد فيها!

غادرة!

لا يجب أن تثق بالنساء على الإطلاق، ولكنى بسرعة سحبت يدى قبل أن تغلقها عليها تماما مستغلا بطء حركتها من بعد الإماء البسيط الذى أصابها، ووضعت القيد حول عامود قريب.. نظرت لها فى خيبة أمل ثم خرجنا وهى تحاول النهوض فى غضب صامت!

** ** ** ** **

فى الخارج:

كنا نسير نحو سيارتى، حين تساءلت (إيمي):

- أين (منى)؟

نظرت لها فى غضب، ورفعت حاجب السخرية قبل أن أقول:

- (منى) نعم، لقد قيدتها بالداخل، لكن لو أردت الدخول وفك قيدها فلتتفضلى..

بدا عليها الحرج وهى تقول:

- لا تغضب، لقد خدعتنى.. إنها خدعتنى! قالت أنها ستساعد!

ابتسمت.. أحب جدا لعب دور الحكيم العالم ببواطن الأمور.. فنظرت لها وقلت:

- لا بأس يا فتاة، ما حدث قد حدث وانتهى.. أعتقد أنك تعلمتِ درسا مهما للغاية، أنه لا يجب أن نثق فى أى شخص على الإطلاق.. كل من حولنا أغبياء محتالون ونصابين ولا عهد لهم إلى أن يثبت العكس! والآن هيا قبل أن نجد زملاءها فوق رءوسنا..

قرنت كلامى بأن أدرت المفتاح ليرتفع هدير المحرك ثم بدأت أتحرك بالسيارة.. ساد الصمت قليلا، قبل أن أقول:

- ثم ما معنى أن الإجابة داخلى؟
- من قال هذا؟
- لا أعرف، أنا أفكر فى ذلك فقط.. لقد سمعت أو عرفت شيئا كهذا، أن الحل كله داخلى! كيف يكون الحل داخلى؟ لا بد أنى أهلوس!

نظر أحمد للخارج وهو يحك لحيته قليلا، قبل أن يقول بصوت متردد خافت:

- احم.. أعتقد أنى أعرف شخصا قد يساعدنا..

نظرت له متسائلا.. فأردف:

- أحد أقاربى.. إنه له علاقة بكل هذا الهراء، يقول أنه روحانى وماشابه، لكنى لا أعرف.. ربما رأيت عنده شيئا غريبا أو اثنين، لكن.. ربما يكون نصابا فى النهاية، أو ربما هو يعرف شيئا ما.. لو أحببت فيمكننى أن أدلك على الطريق إليه!

صمت قليلا أفكر قبل أن أحسم قرارى، سوف نذهب إليه، فما الضرر الذى يمكن أن يحدث على أى حال! فى كل الأحوال الأمور فى غاية السوء، وتحركنا المستمر أفضل بمراحل من وقوفنا هنا!

- أين يعيش هذا الرجل؟

أخذ هاتفي ووضع وجهة على برنامج تحديد المواقع قبل أن ننطلق.. الحقيقة أني أشعر بالامتنان لهما معا.. غلبتني المشاعر للحظات فنظرت لهما وقلت:

- شكر جزيلا يا شباب.. ربما لولا وجودكما لم أكن حيا الآن.. شكرا جزيلا.. الآن أرغب فى دعوتكما للغداء ثم لنذهب لهذا النصاب!
- الروحانى.. إنه عمى!
- نعم نعم.. هيا بنا..

** ** ** ** **

فى داخل المحل كانت (منى) تقف فى غيظ تبحث عن طريقة تفتح بها القفل، حين سمعت فجأة صوتا غريبا قفزت لها دقات قلبها للضعف.. صوت همس وتأوه.. شىء يتحرك فى الظلام! (هذا عنوان رواية شهيرة لستيفن كينج بالمناسبة)، ومع كل هذه الأمور الخارقة فما سوف يأتى لن يكون خيرا أبدا..

ثم، وعلى الجانب المواجه لها لمحت جثة صاحب المكان تتحرك حركة خافتة!

هل هو لم يمت؟

هل مازال حيا؟

ترجو من صميم قلبها أن يكون حيا.. لا تحب الموتى الذين يتحركون!

إنه ينهض ببطء..

يقف موليا إياها ظهره، ثم..

يلتفت إليها بعينين بيضاوين تماما ويضحك بينما يقترب منها..

** ** ** ** **

أحسن!

** ** ** ** **

4

كنت أتمنى أن أقول أن الضابطة (منى) ماتت وانتهى الأمر! لا تعتقد أنى قاسى القلب، لكن العالم يصبح أفضل بكثير لو رحل منه الأوغاد والأغبياء وخائنى العهود، وهى خائنة.. وربما غبية أيضا!
أماحدث فهو كالتالى:
نهض بائع الكتب المنمق ولكنه لم يعد بائع الكتب المنق! لقد صار شيطانا يحتل الجسد.. أى أن الشيطان يستخدم جسد البائع كرداء فقط!
طبعا كان يبدو فى غاية البشاعة مع كل هذا الزجاج الذى يخترق عنقه ووجهه وجسده، وبدأ يزمجر ويضحك وهو يتقدم نحوها ببطء..
أخذت تتلفت حولها فى هلع مجنون تبحث عن شىء ما تدافع به عن نفسها.. ما الأداة التى يمكنك بها محاربة شيطان فى محل كتب؟
كان مسدسها قريبا منها نوعا، فمطت قدمها كراقصات الباليه واجتذبت السلاح النارى، وسرعان ما انحنت ليصير السلاح المعدنى فى يدها لتطلق منه الأعيرة النارية على البائع الملبوس، لكن..
طبعا لم يتأثر كثيرا، فقط يرتد جسده للخلف مع كل رصاصة ليسيل من أثرها بعض الدم، لكنه مازال يتقدم ثم ضحك بصوته الذى يشبه الفواق وقال:
- رائع، يبدو أنك ستقتلين شرطيا آخرا!
نظرت له فى ارتياع وهى ترتجف.. كيف وصل إلى علمه هذا الأمر!
لم ينتظر حتى تفكر وإنما تحرك فورا لينقض عليها مزمجرا بصوت عال..

فى نفس اللحظة انكسر باب المكان بدوى صاخب لتظهر من خلفه المرأة بالغة الأنوثة والجمال وكأنها بطلة من أبطال السينما!
نفس المرأة التى كانت موجودة عند منزل (إيمي).. قل أن يمس بائع الكتب (منى) التفت نحو المرأة وصرخ فى غضب، لكنها - دون كلمة - التقطت عامودا معدنيا من الذى يستخدم كحامل لرفوف الكتب كان ملقى على الأرض واندفعت تدفعه فى صدر البائع، وبقوة خرافية دفعته أمامها حتى ارتطم بحائط خشبي، فاخترق العامود صدره ونفذ من ظهره لينغرس فى الحائط ويثبت البائع على هذا الوضع..
تراجعت للخلف لاهثة ونظرت للشيطان الغاضب وهى تحمل نظرة فخر..

- من أنت؟

قالتها (منى) المذعورة، فردت عليها :

- يمكنك اعتبارى صديقتك الجديدة!

** ** ** ** **

فى الطريق إلى قريب (أحمد)..
كان يعيش فى مزرعة صغيرة فى مدينة العبور، مزرعة متطرفة لا يبيع فيها شيئا ولا يزرع أو يربى أى نوع من الحيوانات.. ربما بضع ماعزات وبضع دجاجات فحسب..
إنه لا يريد شيئا من الدنيا كما يقول (أحمد)..
على المقعد الخلفى كانت (إيمي) ممددة بالكامل تنظر لسقف السيارة بلا أى تعبير على وجهها.. لولا أنى أعرفها لقلت أنها مجرد مانيكان نائم فى الخلف.. مسكينة جدا، فمن الذى يتحمل ما مرت به فى الايام السابقة؟
فجأة اعتدلت وقالت بصوت مريض أن أقف جانبا، ولم تنتظر فعليا إنما أنزلت الزجاج وأفرغت ما فى جوفها مباشرة..

- هل أنت بحاجة للذهاب للمستشفى؟

كان هذا (أحمد) بالطبع، لكنها أومأت برأسها نفيا وقالت:

- لا.. ربما مجرد ارتجاج خفيف أو هو التوتر.. سيمر كما يمر كل شىء، لا تقلق..

أومأ برأسه فى تفهم وتعاطف..
إنه يريد أن يصل لهدف أعتقد أنه مستحيل.. فتاة فى مثل نفسيتها إما أن تبحث عن رجل لتلتصق به فورا تلتمس منه الحماية، أو تنغلق على نفسها ضاربة كل شىء بعرض الحائط، وهذا الاحتمال الثانى أقرب للواقع فى رأيي..

بدأنا نتحرك من جديد، وكى أزيل التوتر قليلا وضعت بعض الموسيقى على الكاسيت.. موسيقى هادئة لتزيل التوتر الذى يخيم على الجو..
لكن..
بعض قليل بدأ الكاسيت يصدر (خروشة) و(تقطيع)!
غريبة!
سألنى (أحمد) عن مشكلة السماعات، فقلت أنها على مايرام.. فقط كأى سيارة فاخرة يجب أن أضرب الأزرار بقوة عدة مرات! إنها تقنية لم تفشل أبدا!
لكن الأمر لم يقتصر على الكاسيت فقط، إذ فجأة بدأت كل عدادات السيارة تتراقص بجنون.. الأضواء كلها تتلاعب أمامى.. الزجاج يصعد ويهبط وحده، هل هناك شىء ما فى الدينامو أو البوجيهات؟ أنت تعلم أن البوجيهات دائما لديها حركات سخيفة!
لكنها لم تكن البوجيهات للأسف!
فجأة انغلقت علينا السيارة تماما، وفى المرآة الجانبية رأيتها.. سحابة ترابية سوداء لها شكل غريب، وتبدو كثيفة للغاية، وكانت تجرى على الطريق فى اتجاهنا مباشرة!
اللعنة..
إن هذه الشياطين لديها مخيلة خصبة بالفعل!
دست على دواسة الوقود بأقصى ما أستطيع فانطلقت السيارة تزمجر اعتراضا على المجهود العنيف، وفجأة جاءت الصدمة من الخلف..
طاااااااخ.
ارتطمت بسيارتى سحابة الدخان لتكاد تطيح بنا واختلت عجلة القيادة فى يدى لكنى تماسكت وعدت للطريق.. أى دخان هذا الذى يسبب مثل هذه الصدمة!
وفجأة ظهرت أمامى سيارة قادمة فى الاتجاه المعاكس!
بالكاد تفاديتها لتعبر من جوارى وتصطدم بالسحابة المخيفة وتطير فى السماء كأنما صدمت شاحنة عملاقة وليست مجرد سحابة فحسب!
ولتزداد الأمور سوءا بدأ دخان أبيض يتسرب إلينا من فتحات التكييف.. السيارة العجوز تنهار وتعلن سخطها..
كان الشابان يصرخان بلا توقف ليعطيانى تأثيرا دراميا رائعا، وفجأة قال (أحمد):
- انعطف هنا.. مزرعته هناك..

هذا الفتى لا يكف عن إبهارى.. مع كل هذا الرعب مازال يركز فى الطريق!
بصراحة كان اليأس يملأ جوانحى، فماذا سيفعل ساحر نصاب فى مواجهة هذه القوة الهائلة إلا إذا..
إلا إذا كان الرجل قويا بالفعل ويعرف ما يفعل؛ وهذا الذى يحدث الآن يحدث لمنعى من الوصول إليه!
هكذا انعطفت بأقصى قوة حتى شعرت أننا نكاد ننقلب، وبأقصى سرعة دخلت للمزرعة، وعلى البوابة تلاشى الدخان وسمعت زئيرا غاضبا ثم هدأ كل شىء..
يبدو أنه ليس نصابا..
سنرى!
كانت (إيمي) تصيح فى هيستريا:
- هل ذهب؟ اين هو؟ اين رحل هذا الشىء؟ أين ذهب..
بينما كنت أفكر، هذا الدخان والتغيير العام فى الجو يشبه جدا ما رأيته من قبل خارج صالة الألعاب الرياضية.. لا أعرف معنى هذا ولكنها ملحوظة فحسب!
أما المزرعة، فكانت أغرب مكان يمكنك زيارته على الإطلاق.. هذا الرجل يمكنه تحويل هذا المكان لمتنزه مخيف وسيجنى أموالا طائلة بلا شك، إذ أن الأشجار تتدلى منها عظام مختلفة الأشكال والألوان والأحجام، كما يعج المكان بتماثيل خشبية وصخرية مبهمة ومخيفة، وأيضا يوجد تعاويذ كاملة معلقة على أخشاب فى أماكن مختلفة، والكثير من الدمى والريش وأشياء لا أعرفها، باختصار يبدو المكان وكأنه موقع تصوير فيلم رعب مبتذل للغاية..
أعترف بقوة الرجل؛ لأن الشر الذى كان يلاحقنا لم يتعد حدود بوابته، وهذا أمر مبشر للغاية.. فلنأمل أن يكون لديه حل لكل هذا الجنون!
كانت (إيمى) جالسة فى الخلف تمسك رأسها وتتأوه فى ألم.. أرجو ألا يكون مكروها قد اصاب هذه الفتاة.. يجب أن ننتهى مما سنفعله هنا ثم نذهب معا إلى أقرب مستشفى!

** ** ** ** **

فى محل الكتب:
كانت (منى) تشعر بلاشىء فى الوقع، كل مشاعرها امتزجت لتصبح خاوية تقريبا، ومع ذلك قالت:
- إنهم يدخلون الأجساد بعد موت أصحابها.. كنت أعتقد أن هذه الاشياء تحدث فى السينما فقط، وأنت.. ألم نتقابل من قبل؟

- نعم.. رأيتك من قبل.. ربما لم تنتبهى وقتها، لكنى أريد أن أقول لك شيئا هاما..

قال كلماتها واقتربت منها فى جاذبية حازمة وأردفت:

- هذا الذى نسعى خلفه، صاحب الكتاب..
- (أحمد زكى)؟
- نعم.. إنه ليس كما تعرفين.. إنه السبب فى ظهور كل هذه الاشياء، وكان السبب فى موت أبى وأختى.. إنه شرير بما لايقاس ومخادع للغاية، إنه يمكنه التأثير على العقول ويمتلك قوة إقناع غير طبيعية.. إنه السبب فى معاناتى، ومن وقتها أبحث عنه من أجل الانتقام..

اتسعت عينا (منى) لأن الكلام صادف هوى فى قلبها طبعا، فنظرت للجثة المتراخية وقالت:

- إذن هو السبب فى هذا؟

ورفعت يدها تشير للجثة، لتتحرك يد الجثة وتضربها فجأة.. انتفضت (منى) وتراجعت للخلف خطوة، بينما اعتدل صاحب المحل نوعا فى وضعه الصعب وضحك فى خلاعة شيطانية، ثم نظر للمرأة وقال:

- نحن نعرف من أنتِ وسوف..

لم يكمل كلامه لأنها أطاحت برأسه بضربة قوية للغاية بخنجر صغير فى يدها لتتناثر الدماء كنافورة من العنق المبتور.. رباه هذه المرأة قوية بشكل مخيف!

اعتدلت وقالت لـ(منى) وكأنما لم تفعل أى شىء:

- أنا وأنت فى نفس الفريق، وكلانا يريد الانتقام، فهل أنت معى؟

ترددت (منى) للحظات قبل أن ترفع يدها وتصافحها..

أما الرأس المبتور فلم يصمت!

حاول أن يقول كلاما لم تتبينه (منى) تحديدا لأن المرأة عاجلته وداست عليه بعنف لينسحق كبطيخة تحت حذائها الرقيق!

أى قوة هذه!

ثم استدارت لتخرج من هذا المكان وخلفها الحمقاء.. أعتقد أن تحالف هاتين معا لن يسبب أى خير، آمل فقط أن تموتا أو تأخذهما داهية قبل أن تصلا إلى!

** ** ** ** **

تقدمنا بخطوات فيها من الارتباك مافيها، وكنت أتأمل التماثيل الموجودة حولنا.. تماثيل غجرية مخيفة لنساء تنظر نحو الأرض، تشبه أيقونات السيدة العذراء مريم ولكن بشكل مخيف، ويحيطها أشواك حادة..
وعلى باب منزله ظهر الرجل.. بصراحة خاب ظنى قليلا لأنى كنت أتوقع ساحرا وخرزا ملونا وجلبابا مهلهلا وكل هذه الاشياء.. لابد أيضا من الكثير من البخور و يصرخ: (حيييييييييي)، لكنى رأيت رجلا وسيما ذا ذقن مهندمة، يرتدى ملابسا عصرية عادية جدا.. لو رأيته فى الشارع فلن يلفت انتباهك بأى شكل..
نظر الرجل نحو (أحمد) وهتف بصوت صاخب:

- كنت أعلم أنك قادم.. سمعتهم يهمسون باسمك بالأمس!
- نعم نعم.. أنا أنوى الحضور من الأمس فعلا!
- هل غيرت رأيك وتريد أن تساعدنى؟
- لا.. فى الواقع نحن نريد منك خدمة..

وبينما نحن منتبهون للمحادثة اللطيفة، جذب انتباه (إيمى) شىء ما فتحركت نحوه ببطء..
كان تمثالا مخيفا لامرأة مغطى بقماش وردى قذر.. هل هذا صوت همس ما؟
وقفت أمامها للحظات تستمع.. إنها تسمع همسا بكل تأكيد.. همس سىء يسيطر على روحك وقلبك، همس يصيب الرأس بصداع وكأن قدما دنسة دنست خلايا عقلك..
لا تفهم هذا الهمس، لكن عيناها استعتا فى ذعر وصرخت وهى تقفز للخلف!
نظرنا نحوها فى عجب، بينما رفع الساحر حاجب الخبرة، قبل أن يهتف (أحمد) بجزع):

- هل أنت بخير؟

تلفتت حولها قليلا، قبل أن تهمس أنها ظمأى وتريد أن تشرب.. هنا رفع الرجل إصبعا وقال بصوت غليظ:

- هذه الفتاة ليست على ما يرام.. انتبهوا لها!

ثم نظر لى وقال:

- تعال.. أنت تريد شيئا ما، ويمكننى أن أقول.. أنت خائف متردد.. صحتك ليست على مايرام وداخلك هم ثقيل.. أينما حللت تأتى الكوارث بسبب فضولك..

وأشار لـ(حمد) وهو يرفع رأسا متعالية:

- أنت لست على ما يرام أيضا..

وعاد يحدثنى فى ترغيب:

- تعال معى، سوف أنظر داخلك!

سوف ينظر داخلى؟ ما معنى هذا الكلام؟

ما معنى هذا الكلام؟

اللعنة!

** ** ** ** **

فى داخل منزا الساحر الذى ربما يكون نصابا رغم كل شىء، كان الجو أغرب بما لا يقاس، تسيطر على الأجواء أضواء برتقالية تشبه الضوء الناتج عن نشر ستارة أمام ضوء الشمس، وفى كل ركن تتناثر الكثير من الشموع الغليظة المشتعلة والتى لا أدرى متى أشعلها!

والمكان يعج بالأقنعة الحجرية المخيفة التى لا أعرف طرازها بالضبط.. أقنعة حجرية كبيرة الحجم خشنة الملمس وبشعة المنظر.. كنت أود أن أتباهى بثقافتى وأقول أنها تنتمى لحضارة الزولو مثلا أو حضارات جنوب غرب المكسيك!

كما تنتشر رؤوس تماثيل كثيرة خشبية أو حجرية وكلها تنظر تجاه منتصف الحجرة التى أنا فيها الآن..

موقف غير مريح على الإطلاق!

عندما تتخيل هذا المكان لن يكون أى شىء تتخيله مخطئا لأن هنا يوجد كل شىء بوفرة، بخور وريش ودم وحيوانات محنطة وزجاجات مليئة بأشياء غريبة وأعضاء مقززة أو عيون تسبح داخل سوائل مجهولة..

الحقيقة أنى كنت فى قمة تعجبى، هل السحر منتشر لهذه الدرجة؟

هل لكل إنسان منا قريب يعمل فى هذا الهراء؟

لا تقنعنى أن من محض الصدفة وجود هذا الرجل من ضمن أقرباء صديقى!

ثم كم أنفق من وقت ومال فى التحضير لهذا المكان ليكون بهذه الصورة المبهرة!

جلست فى الحجرة بينما أولانى الرجل ظهره وبدأ يفعل شيئا غريبا نوعا..

أحضر (صدفة) من الأصداف البحرية الكبيرة، وفتح مرطبانا كبيرا وأخذ يصب داخلها بعض الدود قبيح الشكل!

دود فى مرطبان!

ثم وضع بعض المكونات داخل.. حسنا، هل تعرف (الهون) الخشبى القديم؟ شىء كهذا.. وضع فيه الدرد وعليه أعشاب جافة وأعشاب طازجة أخرى تشبه

الماريجوانا لو كنت تعرف شكلها – أنا أعرف شكلها لأنى رأيتها فى حلقة على اليوتيوب - وفى النهاية أخذ يطحن كل شىء بشكل دائرى بطىء..
شعرت بالاشمئزاز والحمض يتحرك داخل معدتى فوجهت نظرى بعيدا.. بدأت أتأمل بعض الحيوانات المحنطة الغريبة..
فأر له جناحا خفاش!
ثعبان له أذنا فأر وأقدام سحلية!
لا أدرى ما الفائدة من هذه المسوخ، وفجأة قاطع تفكيرى صوت الساحر الغليظ:
- **احكِ..**

تنحنحت وارتبكت قليلا قبل أن أقول بصوت متردد:
- الأمر أن لدى كتاب.. كنت أظنه شمس المعارف لكن اتضح أنه شىء آخر.. ربما فتحه أحد من عندى.. ابنتى! فصارت الشياطين تهاجمنا طوال الوقت، ثم اكتشفت أننا فتحنا بوابة لدخول كبار الشياطين إلى الأرض، فصار الخطر عالميا.. على ما أعتقد! ونريد أن يتوقف كل هذا..
- أنت أحمق!
- عذرا؟
- أنت لاتدرى ما الذى بيدك ولامقدار القوة التى تتعامل معها.. انعدام الوعى الذاتى سيصعب إيجاد الأجوبة التى تريدها..
- **هه؟**

لم يرد.. قال جملته الحكيمة التى لم أفهمها ثم أغمض عينيه ورفع كفيه فوق الهون وأخذ يتمتم بأشياء غامضة! شعرت بضيق تنفس ورغبة فى الرحيل من هنا!
أنا لا أفهم شيئا من هذا الرجل منذ أن أتيت إليه.. ومع ذلك ظللت مكانى أراقبه..
لحظات من الهمس المريب قبل أن يتناول كوبا فيه مايشبه القهوة، وأخذ شيئا من المزيج المقرف ووضعه داخلها.. أمسكها للحظات قبل أن يمد يده بها إلي ويقول:
- علينا أن نحاول.. اشرب!
- نعم؟
- اشرب..
- أنا لن أشرب هذا القرف.. ثم مم يتكون مشروبك هذا على كل حال؟
- **إذن ارحل!**

ترددت للحظات.. كم هو عنيف هذا الرجل!

نظرت للكوب باشمئزاز.. رباه، هذا الكوب مخيف أكثر من الموتى الأحياء!
تقلصت أمعائى من فرط الاشمئزاز المتزايد..
يجب ألا أفكر فى شىء..
تناولت الكوب فى اشمئزاز، ونظرت إليه فى اشمئزاز، ثم رفعته إلى شفتى فى اشمئزاز!
سمعته يقول فى حكمة:
- سوف يساعدك فى النظر داخل الأماكن التى تحتاج منك إلى أجوبة!
- طبعا طبعا!
وضعت الكوب على فمى، ثم تجرعته دفعة واحدة دون أن أشعر بمذاقه.. أرجو ألا يكون مسمما!

** ** ** ** **

أما (أحمد) فقد تركنى لأكون وحدى مع الرجل قريبه وانتهز الفرصة ليختلى بفتاته قليلا!
اصطحب الفتاة إلى حجرة خلفية كان يعيش فيها قديما! يبدو أنى لا أعرف الفتى جيدا رغم السنين التى عرفته فيها..
حسنا، هو لم يصطحبها لأى شىء مما قد يدور برأسك الآن، وإنما أعطاها بعض المسكنات لآلام رأسها الفائقة، ثم بدأ يريها المكان ويثرثر عن طفولته.. طبعا نحن لا يهمنا هذا الأمر فى شىء، ولكن يهمنى حقا ما يحدث مع (منى) ورفيقتها..
عندما خرجتا من المتجر كان الجو صحوا جميلا لا يدل على عاصفة كانت موجودة منذ قليل.. كانت (منى) تشعر بالحيرة والتوتر، لكنها كانت حمقاء كفاية كى تظل فى قلب هذا المكان وهذه الأحداث وبصحبة هذه المرأة!
لذلك سارت مع السيدة الجميلة إلى سيارتها الأنيقة لتتبعانا.. الغريب أنى لم أفهم كيف كانت تتبعنى وتعرف مكانى بدقة كل مرة، لكنى لم أكن معهم لأرى ما رأته منى.. فى الحقيقة لقد سألتها نفس السؤال:
- كيف تعرفين مكانه بدقة؟
ابتسمت وهى تفتح باب السيارة وتدعوها للدخول وتلف لتجلس جوارها من الناحية الأخرى، ثم فتحت درج القفازات وأخرجت علبة خشبية طويلة، وعندما فتحتها كانت تستقر داخلها يد آدمية مع جزء من ذراع مبتور!
شهقت (منى) (فى المعتاد كانت ستصرخ لكنها صارت أقوى) وسألت عن كنه هذا الشىء.. قالت المرأة:

- إنهم يسمونها (يد المجد).. إنها يد لص مشنوق تمت معالجتها ببعض العمليات السحرية المعقدة لتؤدى غرضا معينا.. غالبا ما يستخدمونها عموما للسيطرة على الأفكار أو للسيطرة على ضعاف العقول لأداء مهمات أو الحصول على المال.. وأيضا يمكن استخدامها كبوصلة ترشدنا لمن نريده بشرط أن نحصل على شيء من مقتنياته، وهذا الرجل كان لديه علبة تعج بالخواتم.. كما ترين..

نظرت (منى) نحو اليد مرة أخرى لتنتبه إلى وجود خاتم حول إصبعه الأوسط فعلا.. دققت النظر لتتشنج الأصابع فى عنف وتنقبض فجأة قبل أن تشير نحو مكان ما!

- إنها تتحرك!
- نعم.. إنها حية يا فتاة، والآن دعينا ننطلق عسى أن نلحق بهم هذه المرة!

** ** ** ** **

ومازلت جالسا مع الشخص الغريب الذى أشعل سيجارا غريبا مثله، إذ أنه كان يطلق بخارا كثيفا للغاية.. أليس من المفترض أن يقوم المشروب الذى شربته منذ قليل بأى مفعول؟ قلت له أنى لا أشعر بشيء على الإطلاق! ربما كان أحد المكونات منتهى الصلاحية أو ماشابه؟

- ركز.. هذا العقار يمكنه إعطاءك التركيز ويمكنه أيضا تدمير عقلك! يمكنك النجاة أو يمكنه حبسك داخل شخصيتك للأبد!
- رائع..

أنا لا أفهم غالبية كلام هذا الرجل! أما ماحدث بعد ذلك لا يمكن وصفه بأى شكل ولكنى سأحاول.. كان الرجل يتمتم بأشياء غامضة وهو ينظر لى مباشرة، حين بدأت أرى حاجبه ينزلق لأسفل وأنفه أيضا تتلوي.. فى الواقع وجهه كله كان يذوب ويتعجن فى بعضه، فمسحت وجهى بيدى لأراه يتحدث ويتمتم، وفى فمه عين!

نبتت له عين ثالثة فى فمه يتحدث من خلالها، ثم..

سيل من الذكريات هاجمنى..

البيت المسكون وعبدة الشيطان مع (حسن)..

تجربة الحوت الأزرق اللعينة..

أول يوم فى الممدرسة وأنا صغير..

حديقة الحيوان ثم المراكب فى أسوان..

الكتاب الحقير وأنا مع (جلال)!
أنا يدور بى المكان وأرى أمى تتناقش معى حول أهمية الحديد فى المسقعة، لكن أبى غاضب لأن قبره لا يصل إليه ضوء الشمس ويريد مني أن أحل المشكلة حالا!
الشمس نفسها لا تريد أن تأتى معى، لكنى ظللت هادئا والطبيب يكشف على ويخبر أمى ألا تعطينى المزيد من اللبن الصناعى!
ثم جاءت الإعلانات.. (شيكولاتة جيرسى واكلة الجو) (من عبد الرحيييييييم عمرو) (يبقى هيتجوز ويهيص) (لابس أميجو بينور؟ وأنا عليها بدور!)
ما هذا!
لم أدر بنفسى إلا وأنا أسقط على الارض فاقد الوعى تماما..
لا لم أفقد الوعى، أنا نائم فى حفرة وهناك من يهيل علي التراب..
أسمع صوت ضحكات شريرة..
ضحكات كاهن الشيطان..
حاولت فتح عينى لكنى شعرت بخيوط تغلقهما فى قوة، فنهض وصرخت..
أين أنا؟
وضعت يدى على عينى لأصطدم بالخيوط فعلا..
أنا لا يمكننى الرؤية!

- **(أحمد).. لكى تعرف كل شىء يجب أن تشعر دون أن ترى..**

كان هذا صوت الساحر، لكن الذعر يملأ قلبى يا أحمق، فقلت له:

- الكلام سهل..

نهضت من مكانى.. أسمع أصوات مخيفة من حولى..
فحيح أقدام تسير نحوى وأنا لا أرى.. لا أرى!
وسرعان ما شعرت باليد الأولى تمتد على.. صرخت وأبعدتها عنى لأجد المزيد فى انتظارى.. أياد كثيرة تتحسسنى وكلها مغطاة بقماش أعرف ملمسه جيدا..
أقمشة أكفان..
أنا محاط بأكفان حية والله أعلم بما تحتها.. صرخت فى جنون:

- أخرجنى من هنا..
- **اعتمد على حواسك ولا تكن جبانا.. أشياء تهاجمك فماذا سوف تفعل.. أيقظ حواسك..**
- عليك اللعنة! ربما يجب أن أطلق عليهم النار!

- **إذن افعل ذلك!**

فجأة شعرت بملمس الحديد البارد يملأ كفى.. مسدسى! وفجأة أيضا ذابت خيوط عينى لتتحول إلى تلك الديدان المقززة تزحف حول رموشي وعلى وجنتي!
نفضتها من على عينى بسرعة وتقزز وأنا أنتفض من فرط القشعريرة التي ضربت جسدي وأنا أنظر حولى..
ليزداد خوفى بما لا يقاس..
كنت واقفا وسط مقابر ترابية مظلمة، والوقت يميل للغروب، وحولى تقف أكفان الموتى تتمايل وترتجف وتئن.. المسدس البارد في يدي رفعته على الفور لكني لم أطلق النار فورا لأنى سمعت الساحر يقول:

- **نحن بداخل عقلك.. أنت المسيطر، فماذا يمكنك أن تفعل؟**

لحظة..
بداخل عقلى؟
كل هذه المؤثرات المخيفة هى مجرد خيال؟
أنا غير مقتنع لأن الخيال لايبدو بمثل هذه التفاصيل الرهيبة، لكنى وسط التجربة..
إذن..
أغمضت عينى بقوة وتخيلت شيئا آخرا..
ثم – ببطء - فتحت عينى لأجد نفسى فى مكان آخر تماما..
مكان مفاجىء للغاية!

** ** ** ** **

وفى نفس الوقت: كان (أحمد) مازال يثرثر مع الفتاة، لكنها شعرت بالصداع يغزو رأسها فجأة وبعنف رغم المسكنات التي تناولتها.. يزداد بشكل بشع، فنهضت من مكانها واستأذنته أن تضع رأسها تحت الماء البارد قليلا.. لم يعترض (أحمد) وإنما نظر لها بدهشة كبيرة، ولكن من يفهم النساء على كل حال!
دخلت الحمام القريب، ونظرت للمرآة وهى تتمتم:

- ماذا يحدث.. ماذا يحدث..

جسدها يرتجف وهناك نيران تنبعث من جوفها.. لا تقوى على الوقوف، زاغت عيناها ثم هوت على الأرض..
فى الخارج سمع (أحمد) صوت الارتطام فنهض فى تردد يتساءل عما يحدث في الحمام، لكنها نهضت فى بطء.. بطء مخيف لو أردت رأيي!

أصابعها متشنجة تماما، ورأسها يعود للخلف بطريقة غير طبيعية، ثم نظرت تجاه الباب بعينين سوداوين تماما!

- (إيمي) هل أنت بخير؟

لم ترد، وإنما وجهت نظرها ببطء تجاه المرآة، ليطالعها من الجانب الآخر جسم ووجه (آليجوس) الشيطان!

لقد استولى على جسد (إيمي)!

- (إيمي) من فضلك ردى على.. هل أنت بخير؟ إن لم تردى فسوف أضطر للدخول..

قالها واتجه نحو الباب بخطوات بطيئة، لكن الباب انفتح فجأة لتظهر أمامه واقفة تنظر له وعلى شفتيها ابتسامة مخيفة..

انتفض الفتى وتراجع خطوات للخلف من فرط المفاجأة.. تمالك نفسه وقال:

- لقد أخفتينى.. هل أنتِ على مايرام؟

- نعم.. أشعر بتحسن كبير جدا الآن..

نظر لها فى شك.. ما الذى فعلته بالداخل بالضبط؟ من الأفضل أن يبتعد عنها قليلا الآن.. شىء فى أعماقه يخبره بذلك، شىء آلم قلبه وأخافه منها وتمنى لو يبتعد عنها فورا ولكن بأى حجة؟ فقال:

- دعينى أريكِ شيئا آخرا..

ابتعد عنها فورا وجلس جوار السرير يبحث عن شىء ما، وللأسف كان يوليها ظهره فلم يرها وهى تسير نحوه بشكل متشنج مخيف.. نظرت جواره نحو جهاز التسجيل القديم، وفجأة انتزعت السلك وجذبته لتمس به جسد (أحمد) وتسرى بداخله الكهرباء، فينتفض بعنف قبل أن يدوى انفجار بسيط ويسقط على الأرض ودخان خفيف ينبعث من شعره..

** ** ** ** **

كنت أجلس على الشاطىء أستمتع بوجبتى المفضلة ومش (كاميليا) المفضل وحدى تماما ولا يوجد أى شخص حولى على الإطلاق.. نسيت أن أقول لك أنى كنت على شاطىء من شواطىء (مرسى مطروح)!

بما أن الخيال ملكى فربما يجب أن أستغله فى شىء مفيد.. انتقلت من المقابر لمكان بهيج لطيف يمكننى فيه أن أشعر بالسعادة.. أليس هذا نجاحا؟

أخذت ألتهم قطع الدجاج المقلية وأشرب مشروبي الغازي الأسود، حين جاءنى صوت مبحوح قليلا من على يميني:

- ركز فى مهمتك وكف عن العبث إن أردت أن ينتهى كل هذا..

نظرت جوارى لأجد (شلبى) القط الأبيض الذى أملكه! هل هو من تكلم؟ إن الصوت يبدو كصوته ولكن..

- لا تتعجب، أنا هنا يمكننى فعل أى شىء.. إننا فى عقلك!
- رائع.. طالما وددت الكلام معك.. خذ هذه القطعة من الدجاج..

مددت يدى بالقطعة التى كانت ثقيلة نوعا لأجد أنى أقدم له الكتاب اللعين! ما الذى جاء به إلى هنا؟

- إنه الإجابة التى تبحث عنها.. سأقول لك الحقيقة، عليك أن تدفنه فى أعماق الكوخ الذى بدأ منه كل شىء، وفيه انتهى كل شىء!
- الآن آخذ نصيحتى من قط متكلم!

اختفى القط وصرت وحدى تماما على الشاطىء.. حتى الطعام اختفى، فنظرت للكتاب فى غيظ وألقيته فى الماء.. دوما ما يفسد على هذا الكتاب وقتى تماما!

** ** ** ** **

وفى أرض الواقع:

دخلت (إيمى) على الساحر فجأة تصرخ:

- النجدة.. إنه صُعق بالكهرباء أو ماشابه.. لا أعرف، عليك أن تتصرف!

نهض الساحر من مكانه على الفور وأشار نحوى قائلا:

- لاحظيه حتى أعود..

واندفع خارجا من المكان تاركا إياى مع الشيطان الذى يريد موتى أكثر من أى شىء آخر!

** ** ** ** **

اقتربت (إيمي) منى، ثم وقفت جوارى وامتدت أصابعها تحيط بعقلى.. كان وجهها يبدو مخيفا للغاية بالعينين السوداوين والأوردة التى برزت على جانبى صدغها..

أما أنا فى حلمى فقد بدأت الاشياء تتغير.. صار الجو منذرا بعاصفة، والسماء حمراء تماما فى حين بدأ البرق يلتمع متتابعا يتبعه صوت الرعد الكهربائى الذى يشبه فحيحا هائلا يدوى فى السماء.. ثم بدأ الظلام يزحف والموجودات تذوب وتتحول ويتغير المكان لأجد أنى فى كوخ قديم..

الصمت يسيطر على المكان إلا من صوت أنفاسي الثقيلة..

أسمع صوتا قادما من نهاية الردهة.. صوت فحيح مقترن بحفيف لو تفهم الفرق بين الكلمتين.. وأشعر بوجود ثقيل كريه يسيطر على المكان..
هذا الكوخ.. أعرفه، لكنى لا أذكر متى رأيته من قبل..
الصوت الكريه يتعالى، ثم بدأ (آليجوس) فى الظهور من خلف أحد الجدران القريبة!
ببطء تحرك نحوي وهو يهتز كذيل سحلية بتر لتوه.. يهتز بشكل مخيف..
تجمدت فى مكاني متسع العينين مرتجف الأوصال.. تقدم الشيطان القميء نحوى يهمس بانتصار:

- **أنا فى عقلك الآن.. لا مهرب..**

وعلى أرض الواقع:
كانت (إيمى) فوقى تغرس أظافرها فى رأسى وجسدى كله يتشنج وينتفض..
كانت تقتلنى!
وفى الحلم:
كان الشيطان يتقدم نحوى ببطء، لا أشك في أن حياتي سوف تنتهي بعد قليل..
أرجو أن يكون الأمر سريعا، وفجأة رأيت (شلبى) القط يظهر من لا مكان ويقول:

- أخرجه من هنا وإلا ستعلق فى هذا الكابوس للأبد.. ستموت!

ثم وجدت نفسى مجرد رأس بلا جسد داخل قنينة زجاجية من صف قنينات على أحد الرفوف وأمامى الشيطان يزأر!
أي عبث هذا!
وجوارى انفجرت القنينة الأولى فى الصف الذي أنا فيه، وتناثرت محتوياته على الأرض! اللعنة على خيال هذا الشيطان!
ثم انفجرت القنينة الثانية مع زئيره..
رباه ماذا سيحدث لو..
انفجرت القنينة الثالثة!
حاولت الصراخ لأتحرر من هذا المكان بأقصى ما استطعت من قوة، وفجأة تحررت.. فى الواقع كنت أهوى من حالق..
أهوى نحو الأرض!
أخذت أنظر حولي وأنا أسقط لأن الأرض مازالت بعيدة نوعا.. المكان يبدو عجيبا من حولى، مثل أليس فى بلاد العجائب ولكنى كنت أهوى نحو الجحيم!

النيران تقترب..
أغمضت عيني وحميت رأسي بذراعي قبل أن أرتطم بالأرض.. لم يكن الارتطام بهذا السوء.. مؤلم طبعا لكنه غير قاتل! فتحت عيني لأجد أني سقطت فى صالة الألعاب الرياضية!
غريبة! ليست أغرب شيء فى كل هذه الهلوسات لو أردت رأيي!
نهضت من على الأرض وجسدى كله ينتفض من الألم.. سرت خطوات بسيطة لأجد تلك الدمية..
هل تذكرها؟ تلك التي أرادت قتلي!
وجدتها تلتفت نحوى وتضحك..
- لا لا.. لست أنت مرة أخرى!
التفت كى أهرب لأجد الشيطان يزأر فى وجهى مباشرة.. شعرت وكأن تنينا نفث نارا فى وجهى، كما يبدو أنه لم يغسل أسنانه على الإطلاق! ما هذه الرائحة!
- **موتا ستموت هنا.. عودة لن تعود.. أنت أيها الفانى لن تعود!**
- لماذا تتحدث بهذه الطريقة!
مسنى بإصبعه لأطير نحو الحائط وسقطت على الأرض..
- إنه هذا الكابوس حالا وإلا ستظل هنا للأبد..
كان الجملة الأخيرة من (شلبى) الذى كان يصرخ، وأكمل:
- سيتحكم فى عقلك تماما وللأبد.. ستموت..
- ماذا تعرف على أى حال؟ إن عقلك بحجم كرة تنس الطاولة!
- مازال فى عقلك أنت.. إنه فى عقلك أنت.. أنت المتحكم!
عقدت حاجبي فى تأمل عميق.. هذا الكلام له دلالة خطيرة.. بما أنهم فى عقلي فيجب أن..
يلعبوا بقواعدي أنا!
كيف لم أفكر فى هذا؟
نهضت من مكانى ببطء، ورفعت يدى فى الهواء وأشير نحو الشيطان وأضم عليه قبضتى لأكبله تماما فلم يتطع التحرك..
أنا نفسي فوجئت أنه تجمد تماما.. بدا على وجهه الدهشة وهو يزمجر غاضبا ويتلوى محاولا التملص من قبضتى الوهمية، بينما قالت الدمية بصوت متوحش وهي تجري نحوي:
- سأشاهدك وأنت تموت..

رفعت يدى الأخرى مشيرا للدمية لتطير إلى قبضتى مباشرة، ودون تردد اعتصرتها فى يدى لتسيل على الأرض كالجبن الذائب..
هذه أرضي وهذه قواعدي!
ضحكت وقلت:
- هذا بيتى وأنا أتحكم بقواعده.. ما رأيكم فى هذا؟
الشيطان يحاول التملص بلا جدوى.. كنت أعتصره بقبضتى الخفية.. وللدهشة فى أرض الواقع كانت (إيمي) تعانى منى لأنى – فى غيبوبتي - أمسكت بعنقها وأخذت أعتصره فى جشع.. عيناها تكادا تخرجان والذعر يملأ ملامحها..
بيتى.. وقواعدى الآن!
فى الحلم أخذت أزيد الضغط وأستمتع برؤيته يتألم ويجاهد.. هل يتنفس مثلنا؟
جيد.. فليختنق إذن..
فى الحقيقة كانت (إيمي) تضرب يدى فى ذعر، لكنى تقريبا أحملها من عنقها بيد واحدة وأضغط بمشهد مخيف.. كنت أسير وأنا نائم، ولا فكاك من هذه القبضة..
لكنى لا أعرف أنى أقتلها..
أنا أرى فى حلمي أنى أتخلص من الشيطان فحسب!
فى هذه اللحظة - ومن أجل حظ الفتاة الحسن - عاد الساحر ومن خلفه (أحمد) ليفاجئا بالمنظر المروع.. أخذا يصرخان أن أتوقف لكنى لا أسمع، وهكذا تناول (أحمد) يد الهون الخشبية و..
طاااااااااااااااخ!
اسودت الدنيا فى عينى!
** ** ** ** **

5

- لقد كان يتحدث بلغة غريبة.. فجأة أخذ يتكلم بها ونهض من مكانه بسرعة، ثم مد يده لرقبتى وبدأ يخنقنى.. كان يقول كلاما كثيرا منها (أنا (أليجوس)..
- هل أنتِ واثقة من أنه قال أنا (أليجوس)؟
- نعم، وكان ذلك قبل أن تتحول عيناه للون الأسود تماما، ثم بدأ يخنقنى أكثر وأكثر..
- هذا أمر رهيب.. آخر مرة دخل (أليجوس) لشخص ما اضطررنا لتقطيعه قطعة قطعة ولكن الوغد لم يخرج من الرجل المسكين، هكذا اضطررنا

لقطع رأسه، ثم حشوتها بالرمال وعلقتها هنا كتذكار.. اللعنة عليه إنه يجيد التلاعب بالعقول..

- لا بد أنه دخل لرأسه فى محل الكتب عندما ظنناه هرب..
- نعم.. سوف نرى ماذا سوف نفعل به!

كالن هذا الحوار الشيق يدور أمامى وأنا مقيد لكرسى وكأنهم قبضوا على (هانيبال ليكتر) بنفسه، كما أنهم ربطوا قطعة قماشية بشعة اللون والرائحة والطعم حول فمى كى لا أتحدث.. كانت (إيمي) تنشر الأكاذيب والأحمقان يصدقانها، وهذا يدل على أن الرجل نصاب، فلو كان ساحرا حقيقيا لعرف أنى برىء على الفور.. هز رأسه فى تواضع مصطنع وهو يقول:

- لا بد أن الرؤيا التى وضعتها بداخله أجبرت الشيطان على الخروج..

استجمعت نفسى وقلت بصوت لا يكاد يبدو واضحا:

- أنا سليم.. لا أحد بداخلى..
- معك حق يا عمى، إنه ينكر أنه مستحوذ، وهذه علامة أكيدة على أنه مستحوذ.. أليس كذلك؟
- تبا!
- حسنا، (أحمد) أحضر لى من الخارج دلوا مليئا بالماء المغلى واحرص على أن فى غليانه عندما يدخل إلى هنا، وأحضر لى دجاجة من الخارج، وسأبحث عن سكينى الخاص..
- ماذا سوف تفعل به؟
- سأحاول طرد الوحش بداخله قبل أن يفوت الأوان!
- بالسكين؟
- لو تطلب الأمر نعم.. لا تقلق لن يشعر بشىء، كل الألم من نصيب الوحش بداخله! هيا.. وسأحضر أنا السكين!

خرج الاثنان بينما بقيت (إيمي) وحدها معى.. اسودت عيناها تماما وهى تقترب مني ثم قالت بصوت الشيطان:

- سيكون هذا ممتعا..

** ** ** ** **

دخل (أحمد) إلى حجرته، ومن خلفه دخلت (إيمي).. كان يبدو غاضبا متوترا، لا يقتنع بفكرة إيذائى ولا يقتنع بفكرة الماء المغلى والسكين وكل هذا الهراء.. كما أنه مستاء من طلبات الرجل منه وكأنه خادم عنده.. يبدو أن لديه مشاكل ما بسببه!

- اهدأ.. عليك أن تهدأ.. ألم يقم صديقك بتحضير الشيطان منذ البداية؟ إذن فلتدع الرجل يقوم بما يجيد القيام به، وعلينا فقط أن نهدأ ونتفرج على ما سوف يحدث..
- حسنا.. أنا خائف فعلا، لقد رأيت ذات مرة جلسة طرد أرواح وكان الأمر مخيفا جدا، ربما أنا لا أريد المشاركة فى شىء كهذا..
- اهدأ.. هل تعرف ما سوف نفعله؟

قرنت كلامها باستخراج كيس صغير فيه حفنة من المادة التى يدخنها الساحر، وقالت:

- سوف نجرب طريقة عمك فى الاسترخاء.. وعندما ينتهى من (أحمد زكى) سوف نكون فى أفضل حال ممكنة.. والآن احصل لنا على شىء نشعل فيه هذه الأشياء..

نظر لها متعجبا للحظات، ثم هز كتفيه وبدأ يبحث.. ربما كانت على حق، أو ربما لأنها جميلة فهى على حق! لابد أن يجد شيئا يصلح فى الحجرة المجاورة!

** ** ** ** **

كل الرجال حمقى أمام النساء الجميلات!

** ** ** ** **

بعد لحظات عاد (أحمد) ليجد منظرا غريبا بعض الشىء.. (إيمي) تجلس على الفراش، وبين قدميها بندقية قديمة من الطراز الذى نراه فى الأفلام الأجنبية ذات الماسورتين، والتى يجب أن نثنيها كل مرة من أجل تلقيمها.. كانت قد ثنتها ووضعت الأعشاب المخدرة فى الفوهة الفارغة، ومن الجانب الآخر أخذت تمتص الدخان بنهم!

- آآآ..مممممم.. ماذا تفعلين؟
- تعبت من الانتظار، ووجدت هذه فى أحد الأرجاء.. لا تقلق، لقد رأيتهم يفعلونها هكذا فى أحد الأفلام.. هذه ماسورة فارغة فقط..
- إنه.. يبدو خطيرا قليلا؟
- لا.. إنه ليس محشوا، وأنا.. لماذا لا تجلس جوارى؟

قالتها ورفعت حاجبها ومطت شفتيها فى إغراء..

- نعم؟
- تعال..

كان يمسك بيده شيئا كالغليون، ينظر لها بعينين متسعتين وأنفاس متلاحقة.. هل المخدرات فعلت شيئا بعقلها؟ لكنه لم يستطع التحرك، فقال بصوت مبحوح:

- أنا سوف أحضر شيئا نشربه.. يوجد هنا مياه غازية و..
- تعال.. لا تكن طفلا! خذ نفسا واحدا.. صدقنى إنه يستحق!
- آآآآآآ.. ولم لا.. حسنا!

ذهب وجلس على الطرف المقابل من الفراش.. فكر أنها فرصة مناسبة فقال:

- أنا.. ربما أعرف ما يحدث هنا، وأريد أن أقول.. يعنى أنا انتظرت طويلا من أجل فرصة اقتراب منك..
- اقتراب؟ كيف؟

قالتها بغنج شديد وهى تقترب منه، فرد:

- تعرفين.. اكثر من أصدقاء بقليل.. ألا تريدين مثل هذا الأمر؟
- نعم..

قالتها ونفثت دخانا فى الهواء على شكل دائرة كاملة، مما جعل الفتى يسمع موسيقى فى أذنيه.. ضحك وأشاح بوجهه فلم ير النظرة المخيفة التى ارتسمت على عينى الفتاة!

** ** ** ** **

- أخبرنى (أليجوس)، ما رأيك بهذا؟

قالها وهو يقرب بخورا فظيع الرائحة من وجهى، فأشحت فى ملل..إنه سخيف للغاية!

- غريب.. فى المعتاد يتسبب هذا فى غضب كبير.. أنت قوى، إذن إلى طقوس الدم!
- .....

** ** ** ** **

- هل فهمتِ ما أود قوله؟ أنا أريدك معى كحبيب وحبيبة.. هل تفهمين ما أقصد؟

كانت تتمايل وهى تمتص الدخان، ثم نظرت له بكل إغراء وقالت:

- نعم.. أود أن أكون معك..
- لأنك.. كما تعرفين أنا يمكننى رؤية ما بداخلك! ويجب أن تعرفى أنى أراه جميلا..

ضحكت باستهزاء ربما..

- ما بداخلى؟ إنه لا يكاد ينتظر كى يمزقك إربا.. والآن، كف عن تضييع الوقت..

وضعت (إيمي) الفوهة أسفل ذقنه وأشعلت القداحة بيد، وبيدها الأخرى سحبت خرطوشا ناريا فى الخفاء من حذائها وتريد أن تقم به الماسورة من أسفل وكأنها تضع المخدرات!

- هل تعلمين أنى أذكر أول يوم تقابلنا فيه؟ كنت تتمرنين كوحش صغير..
- أنت جميل.. خذ نفسا وبعدها فلنحك ذكرياتنا معا..

قرنت كلامها بأن وضعت يدها على شعره، كان يشعر بشىء غريب للغاية، فمنذ متى وهى تتمتع بكل هذا القدر من التحرر وربما قلة الحياء أيضا! فنظر للناحية الأخرى، عندها وضعت الخرطوش فى البندقية..

- حسنا.. سآخذ نفسا، ولكن ما رأيك أن أشغل موسيقى أولا؟

وضعت إصبعها على فمه قائلة:

- شششششششش.. لالا.. ضع فمك هنا أولا!

كانت حركتها اكتسبت شيئا من العنف.. لكنه اقترب من الفوهة بدافع الحياء، وهى أشعلت النار واقتربت من الخرطوش..

لكنه أبعدها وهز رأسه :

- أعتقد أنى لا أريد أن أفعل هذا الآن.. أريد أن أظل بكامل وعيى!

انتفضت الفتاة واسودت عيناها، ثم جذبت رأسه بقوة وصرخت بصوت (آليجوس):

- **امتص قضيب البندقية أيها الداعر..**

** ** ** ** **

اقترب مني الساحر بالسكين، وكنت أهتز بعنف حتى استطيع فك هذه الخرقة عن فمى، لكنه كان يصيح بطريقة أقرب للانتشاء:

- أيها الشيطاااااان.. آمرك بالخروج حالا وإلا..

عندها - بجهد رهيب وألم - استطعت تحرير فمى، وصحت:

- افهم أيها الغبى، أنا لست ممسوسا، (إيمى) هي الممسوسة وهى مع (أحمد) الآن.. افهم، كل حركاتك لم تفلح معى لأنى لست ممسوسا يا أحمق!

نظر لى للحظات بشك، ثم قال وهو يخفض يده ويرفع حاجبه:

- فعلا.. كنت اشك فى هذا لأن.. لا يستطيع أى شيطان أن يقاومنى!

وهكذا ببساطة فك قيودى!
إما أن هؤلاء القوم شديدو الغباء أو أنا شديد الإقناع!
وانطلقنا سويا لحجرة (أحمد) واقتحمناها لنجد الهول..
(إيمي) تنتقل بسرعة خارقة من حائط لحائط، و(أحمد) يصوب لها فوهة البندقية.. صحت فيه أن يتوقف، وعندها هجمت الفتاة عليه، فانطلقت القذيفة رغما عنه لتخترق الحائط القريب..
هجمنا عليها نحن الثلاثة وقيدناها بقوة، ثم سحبناها وهى تتلوى كثور بري للخارج حيث يمكننا التعامل مع الشيطان بداخلها..

** ** ** ** **

- **سيفيروس تنباولو تبيتاس موتياولوس.. آمرك أيها الشيطان بالخروج!**

قال هذه الطلاسم وذبح الدجاجة ورش علي الفتاة الدماء، فصرخت صراخا شنيعا لكنها أخذ تضحك بعدها.. كنت اشهر بشيء من الراحة ممزوجة بخيبة الأمل..
طقوس الدم يقصد بها دم الدجاجة! وأنا الذى ظننت أن هذه السكين ستنغرس فى جسدي بشكل ما!
اقترب الساحر من (إيمي) وفتح فمها بالقوة، وكان يحمل دودا أسودا قبيح الشكل.. صرخ فيها ثم صب هذا الدود داخله!
لا أفهم ما الذى يفعله.. أنا لم أر مثل هذا القرف من قبل! ثم لماذا يضع الدود فى كل أعماله؟
أخذت الفتاة تمضغ الدود وهى تنتفض، وعلى ذقنها تسيل أشياء وسوائل داكنة لا أريد معرفة ما هى، ثم بصقت الدود على الأرض لنجده يزحف كأنما لم يمسه سوء.. رفعت رأسها لنا تبتسم ثم أخذت تعبث وتحرك فمها بحركات تشنجية عجيبة، وسمعت شيئا ينكسر، ثم بصقت ضرسا مع قدر لا بأس به من الدماء فى وجه الساحر!
هذا كثير جدا..
هذا جنون لا أتحمله!
لكن الرجل تقدم منها، ثم قال:

- إذن.. ماء طاهر وملح سيؤديان الغرض..

كنت متعجبا.. ألم يفكر فى هذا الأمر إلا الآن؟
أحضر قنينة ماء، ثم طلب (منى) أن أتوضأ وآتى لأقرأ عليها.. يبدو أنه لا يمكنه فعل ذلك لسبب ما!، ثم أحضر قطعة قماشية وغمسها فى الماء وبدأ يقترب من

الفتاة التى أصابها الجنون والذعر، ووضع القماش المبلل على رأسها فصار صراخها يرج المكان.. أخذ يصب فوقها الماء ببطء شديد وهو يقول بصوت رهيب:

- **باسم الله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الواحد القهار، ذى القوة الجبار..**

كان بخار الماء يتصاعد من القطعة القماشية وكأن تحتها مكواة ساخنة..

- **باسم القدوس السلام.. باسم من خلق الأنام.. باسم المتكبر الكبير، أمرك بالخروج أيها الشيطان الحقير..**

لماذا كان كلامه مسجوعا؟ ألم يمكنه فحسب أن.. لا يهم، المهم أن الفتاة بدأت وتهدأ و.. احم، لقد فقدت السيطرة نوعا على مثانتها!

انتزع الرجل القطعة القماشية من على وجهها، ثم نظرنا لنجد وجه (إيمي) الرقيق الطبيعي بدون آثار الشر..

لحظات من الارتياح المشوب بالقلق.. لم ينته الأمر.. فى كل الأفلام التى رأيتها كانت هذه خدعة فقط من خدع الشيطان، وكان عندي حق، إذ سرعان ما عادت العينان لسوادهما الشيطانى.. وقال الشيطان بصوته:

- **كان أمر ممتعا.. هيا لنكرره..**

للحق كنت أشعر بعجز لا مثيل له، وكان الساحر يقف حائرا ويبدو عليه أنه استنفذ حيله.. اقترب (أحمد) منها وقال:

- (إيمي).. إنه أنا، استمعى إلي..
- **أنت.. اتريد أن تسمعها تتنهد؟**

ثم بدأت تقوم بإيماءات قذرة وتلعق شفتيها بلسانها بشكل فج، ثم بصقت عليه بصقة تشبه الحمض أحرقت جزءا من ملابسه! لا بد أنها علامة الشيطان التى كان يفعلها مع ساحرات القرون الوسطى..

وبدأت تضرب مؤخرة رأسها بقوة إلى العامود المقيدة فيها.. يريد الشيطان أن يلحق بها أكبر أذى ممكن! وبالفعل لمحت قطرات دماء على العامود!

صرخنا فى يأس، بينما قال (أحمد):

- (إيمي).. أعلم أنك تسمعينى.. يجب أن تقاوميه..أعلم أنك بالداخل، من فضلك قاوميه.. قاوميه..

صرخت بعنف ثم قالت:

- **لم تعد هنا.. إنها ذهبت بلا عودة.. الأمر منته أيها الأحمق، أنا فقط ولا شىء سواى..**

زاد الصراخ، وكاد (أحمد) أن يهجم عليها، لكن عمه احتضنه وسحبه للخارج كى يهدأ قليلا..
وللمرة الثانية بقيت معها وحدى..
فترة صمت، ثم رفعت (إيمي) التى أعرفها رأسها.. عينان جميلتان مليئتان بالدموع.. اخترقت نظرتها قلبي مباشرة.. لا توجد أى علامات على وجود الشيطان، لكنها قالت بصوت مرهق باك:

- (أحمد).. هذا الشيطان لن يخرج أبدا من داخلى.. من فضلك، توجد طريقة واحد لإنهاء هذا الأمر وأنت تعرفها..
- ماذا تقصدين؟
- عليك أن تتخلص منى.. سوف يقوم الشيطان بالتخلص مني على أى حال.. ربما كنت أنت أسرع واقل إيلاما!

مهلا.. هذا كلام لا يخرج منها أبدا أنا أعرفها.. ربما ليست معرفة قوية جيدا لكني أجيد الحكم على الناس.. لست متأكدا..
قررت أن أختبر المتكلم، فقلت فى ثقة زائفة:

- محاولة طريفة أيها الشيطان..

تجمد وجهها للحظات غير مصدقة لما تسمعه.. إنها تتحدث معى، فأى شيطان أتكلم عنه؟
ثم ابتسمت، وعاد السواد يغزو العينين.. ابتسمت فى كراهية وأنا أقول له:

- سحقا لك..
- **لا يمكنك لوم شيطان على المحاولة، أليس كذلك؟**

وفى الخارج، كان العم يتحدث مع (أحمد).. يخبره أن الشيطان قوى ويحاول قتل ضحيته بأقصى ألم ممكن.. يحاول أن يتمكن منه وينهى وجوده.. وهنا خطرت على رأس (أحمد) فكرة متهورة قليلا، ودون كلمة انطلق إلى مكان (إيمي) واقترب منها وصاح:

- أيها الشيطان.. اتركها وخذنى مكانها..
- ماذا تفعل أيها المجنون؟
- دعونى.. أنا جاهز.. خذنى أنا واتركها.. أنا أقوى وتستطيع استخدامى بشكل أفضل!

وأمام أعيننا المذهولة، بدأ جلد الفتاة يتحرك.. شيء ينتفخ تحت جلدها، يبدو كيد زحفت من تحت جلد صدرها حتى خرجت من فمها، وبسرعة خارقة اتقضت على عنقه وأمسكت به ثم أطاحت به بعيدا..
ومن فم الفتاة رأينا المشهد الرهيب.. نفس الشيطان الرمادى يخرج من رأسها ببطء.. وسرعان ما خرج مع الكثير من القيء من فم الفتاة التى غابت عن الوعى، وصار أمامنا (آليجوس) بكامل سطوته وجبروته!

** ** ** ** **

على الفور انقض الشيطان على الساحر يمسك رأسك مسببا له هذا الألم الأسطوري، لكنه اختفى عندما رفعت إليه مسدسى..
أخذت أبحث عنه لكنه ظهر مرة أخرى أمام الساحر ليعطيه ضربة أطارته ليسقط على سن مدبب لخشبة منتصبة على الأرض وتخترق كتفه وصدره فى مشهد بشع..
اتسعت عينا الساحر فى ألم وهو يرمق الوتد الخارج من صدره..
لا يصدق..
الموت قادم إليه ليحصد روحه هو بالذات!
لحظتها رأيت وجوه التماثيل من حولنا وقد تحدرت من عيونها قطرات دم..
تبكى!
امتلأ قلبي بالغضب.. أين هذا الشيطان.. أخذت أنتظر ظهوره من جديد..
اعصابي التهبت فى ترقب وتحفز..
فجأة ظهر أمامى مباشرة، ودون تفكير أطلقت النار على رأسه!
هنا سمعت صرخة مدوية، وتناثر دخان أسود حار فى كل مكان من حولنا قبل أن يهدأ كل شيء..
هل الشياطين تموت بأعيرة نارية؟
غريب!

** ** ** ** **

انطلقت نحو الفتاة التى بدأت تفيق، وكانت تتساءل عن مكانها.. لا تعرف أين هى ولا ماذا حدث، بينما ذهب الفتى لعمه.. بدا واضحا أنه ربما يكون بحاجة لإسعاف سريع لأنه فاقد الوعى فحسب ولم يمت كما ظننت وكتفه.. حسنا، لا أعرف كيف سيصلح الأطباء هذه المأساة..

اتصلنا بهم، وسرعان ما كانوا هنا (أى بعد ساعة ونصف).. فى هذه الأثناء كان قد أفاق نوعا.. وسط ألمه طلب من (أحمد) أن يأخذ قلادته.. إنه يشعر أن أيامه انتهت.. طبعا قلنا الكثير من (فأل الله ولا فألك) و (سوف تعيش لتدفننا جميعا) لكنه أصر..
رحلت به سيارة الإسعاف.. مازلت مصرا على أن هذا الرجل لن يعيش.. لا يمكن أن ينجو من طعنة نافذة كهذه، وبدأنا نحن نستعد أيضا للرحيل عندما شاهدنا شيئا غريبا.. كل التماثيل التى كانت موجودة فى الباحة الخلفية بدأت تشتعل من تلقاء نفسها، تشتعل بنيران صافية لا دخان لها وتذوب كأنها مصنوعة من الشمع، ونفس الشىء حدث مع المنزل..
وقتها انهار..
بكى (أحمد) وعرف أن عمه الساحر قد مات قبل أن يصل إلى المستشفى!

** ** ** ** **

فى الخارج ذهبنا لأقرب محل ملابس نسائية.. الفتاة كان قذرة الرائحة بشكل لا يمكن تصديقه، والأغرب أنها اضطرت للاستحمام فى المحل بعبوات من المناديل المبللة قبل أن تغير ملابسها بالكامل.. قبل ركوبها السيارة كنت قد فرشت شيئا لتجلس عليه طبعا! كنا نتمنى لو استخدمنا حمام المنزل لكنه ذاب وانهار..

كانت لا تذكر شيئا مما حدث، آخر ذكرياتها هى وصولنا للمكان ثم بعض الأحداث المبهمة..
كانت متعجبة من فقدانها بعض الضروس وهذا الألم الشنيع فى رأسها، لكن الامور على مايرام..
حسنا.. لا شىء لأحكيه هنا، سوى المزيد من الثرثرة والحشو الذى لن يهمك فى شىء.. يلومونني على إحضار الشيطان وألومهم على أشياء أخرى.. المهم أننا يجب أن نرحل من هنا الآن ولنر ماذا سوف نفعل!

** ** ** ** **

6

قبل أن تقدم على القراءة يجب أن تعلم أن الأحداث القادمة غير منطقية قليلا!
ما سبق ربما يحمل شيئا من التعقل والفهم، لكن التالى حتما لا يحمل أى قدر من التعقل على الرغم من بساطته التى ربما تصيبك بالدهشة!
كالعادة بعد دقائق أو لحظات من رحيلنا وصلت سيارة المرأتين: الحسناء والحمقاء معا!
ترجلتا من السيارة وأخذتا تنظران للمكان الذى أخذت نيرانه تخبو تاركة أثرا أسودا خفيفا فى المكان إلا من نيران التماثيل فحسب.. تقف شامخة مشتعلة رؤوسها فى مشهد مهيب..
دون كلمة اتجهت الحسناء إلى المنزل بتحفز.. ربما لا تعلم أننا رحلنا بالفعل، وفى الداخل تأملت الآثار المدمرة لحربنا مع الشيطان.. أخذت تسير ببطء وهى تتمتم بأشياء غامضة تستشعر فيها الغضب..
تنتقل من حجرة لأخرى على الرغم من الظلام الذى يبسط يديه بضعف على المكان..
ومن خلفها لو لاحظت فستجد ظلا يرفرف فى الهواء بشكل بطيء ومخيف وشرير..
ظل الموت كما يرسمونه على أوراق التاروت!
بشكل ما شعرت بالحركة من خلفها، وعندما التفتت كان قد ذاب فى الهواء تاركا فراغا نظيفا لا ينم على وجود شيء..

أما (منى) الحمقاء فقد كانت تنتظر فى الخارج لا تفكر فى أي شيء.. تنظر تجاه المنزل وترف رأسها للسماء، لكنها رأت من بعيد سيارة انتبهت لها كل حواسها.. كانت سيارتى فى الواقع، وهى - بشكل ما - كانت تعرفها! وطبعا هذه فرصة ذهبية لا يمكن تعويضها.. نحن لم نعرف أنهم وراءنا وكنا نسيلا الهوينى.. الطريق مستقيم ومفتوح ولذلك أمكنها أن ترانا بسهولة، فاستولى على جسدها الحماس وكادت أن تنادى على المرأة الأخرى لولا أن لاحظت شيئا غريبا.. الأخشاب فى المنطقة تتدحرج وحدها بسرعة فائقة لتكون ما يشبه النصب الوثنى.. أو لأقرب الصورة من ذهنك فتخيل نصف هرم من الأسفل.. كل شيء يتحرك وحده، وما أن اكتمل بناؤه السريع تدحرجت الرؤوس المشتعلة من كل مكان لتستقر فوقه فى مشهد مهيب، وبدأت الأخشاب تشتعل وتطقطق لتعطى الجو موسيقى تصويرة رائعة..

وبما أنها حمقاء كما قلنا فكانت تشاهد كل هذا فى دهشة وهى شاهرة مسدسها فحسب! أما كان ينبغى عليها أن تهرب من هنا!

أما الأخرى فكانت تكمل بحثها الغامض حين أحست بحركة بسيطة خلف أحد الأبواب.. رفعت عينيها إليه وعلى الفور توجهت إليه وفتحت الباب بحركة سريعة لتفاجأ بأنه باب خروج جانبي من المنزل ويقبع خلفه ذكر ماعز ينظر لها بهدوء..

الماعز دوما يرمز للشيطان لو أنك لا تدرى..

كان ينظر لها نظرة ثابتة مخيفة بعينيه المشقوقتين، والأغرب أنها سألته:

- هل تعرف أين هم؟

أومأ الماعز برأسه نفيا، ثم استدار مبتعدا وهو يطلق صوت الـ (باااااااااء) الذى كان يبدو كضحكة ساخرة، حينها سمعت الصراخ قادما من الخارج..

صراخ (منى)!

كانت (منى) تتأمل كومة الأخشاب المحترقة حين ظهر من وسطها فجأة هيكل عظمى متكامل! (حينها أطلقت صرختها)!

هيكل عظمى لونه أخضر فسفورى متوهج من أثر النيران! تخيل نفسك مكانها وأخبرنى ماذا سوف تفعل!

نظر الهيكل نحوها بعينين متوهجتين، ثم انطلق يجرى نحوها فى سرعة وهو يزمجر، فى الوقت الذى خرجت فيه الحسناء بسرعة خارقة من المنزل.. وجدت

جوارها منجلا، ودون تفكير حملته وطوحته فى صدر الهيكل ودفعته أمامها ليعود إلى النار..
تلوى وصرخ فأرعدت السماء، ثم قال:
- (كاميليا).. أيتها اللصة، لن تصلي للكتاب أبدا..لن يسمحوا لكِ، ولن أسمح لك..
قالها ثم جذبها نحوه لتسقط فى النيران المشتعلة وعلى الفور انفجرت الكومة وتناثرت شظايا النيران فى كل مكان وكأن التى سقطت هى برميل من البنزين!

** ** ** ** **

جنون، اليس كذلك؟

** ** ** ** **

(منى) شخصية نفعية لا خلاق لها.. بالفعل أنا أكره هذه الفتاة، ولكى أثبت لك ما أريد قوله، هى كانت مع رفيقتها التى سقطت توا فى النيران مع هيكل عظمى، فماذا فعلت؟
من منطلق أن من مات قد مات ولن نستفيد شيئا من البكاء عليه أو الوقوف بجواره، فقد وقفت لبضع ثوان تشاهد النيران المشتعلة تلتهم من بداخلها، ثم استدارت لتستقل السيارة وحدها كى تلحق بنا! (كاميليا) الآن لن تستفيد من هذه السيارة بأى شكل!
ولكن هل ماتت (كاميليا)؟ لم تشغل نفسها بهذا الأمر على الإطلاق.. بدون ذرة تردد تركت الأخرى التى لا تعرف مصيرها على الإطلاق.. ربما لم تكن ماتت بعد كل شىء!
وفى السيارة لم تجد يد المجد التى تعمل كبوصلة مخصوصة لى، فماذا تفعل؟ انطلقت بالسيارة عسى أن تلحق بى قريبا!

** ** ** ** **

لا يهم..
فى الواقع، وفى هذه اللحظات بالذات كنت وصلت إلى مطعم (كنتاكى) حيث كل شىء جميل.. طعام جميل ولذيذ وشهى وممتع ولا مثيل له، وبالمناسبة فأنا فى حالة عشق دائم لهذا المطعم.. لا أهتم بمستوى النظافة، ولا أهتم بالدماء التى على أطراف العظم، ولا أهتم بشىء.. هذا طعام لذيذ أعشقه، فوقفت أمامه مع (أحمد) و(إيمي) وطلبنا وجبة حفلات جلست ألتهمها فى جشع بأصابعى العشرة.. رباه، إن الحياة تتلخلص فى وجبة لذيذة وفيلم جميل وربما.. لالا، يكفى هذان!

كانا ينظران لى وأنا أناول الطعام.. ربما كنت أبدو متوحشا قليلا؟ قبل أن تقول الفتاة بنبرة تهكم:

- اهدأ قليلا.. أنت تؤذى هذه الدجاجة!
- لا.. هذه الطريقة المثلى لتناول الدجاج، المهم يجب أن تعرفا أنى عرفت إلى أين سأتجه فى المرحلة القادمة، وهى المرحلة التى ستنهى كل شىء بكل تأكيد..
- إلى أين؟
- انتبها لى.. منذ فترة طويلة تعرفت إلى مريض نفسى لم يكن مريضا نفسيا فى الواقع، كان يملك خاتما سحريا أعطاه له الشيطان نفسه كى ينتقل بين عالمنا وعالم الشياطين بحرية، وهذا الخاتم صنعه شخص يدعى(راؤول) وكان يعيش منذ أيام (محمد الفاتح) إلى أيام حرب أكتوبر المجيدة، على أى حال فقد خضنا معركة عنيفة ضد عبدة الشيطان هنا فى مصر قبل أن يضطر الفتى للتضحية بنفسه من أجل إعادة الشيطان الذى لا يعرف أحد اسمه إلى عالمهم، والذى كنا نقول عليه مجازا (ذو السواد)، والذى الذى يتسبب فى صناعة القتلة المتسلسلين.. وكانت هذه التضحية فى بيت(راؤول) الأول الذى شهد بداية تحوله..

رفعت عينى عن الطعام لأجدهما ينظران لى فى ذهول ممزوج بعدم تصديق وشىء من (لقد جن أخيرا).. لو أنك مهتم بما سبق أو تريد معرفة المزيد عن هذه الأحداث فربما يمكنك مطالعة (أرواح نجسة) أو (إبليس يعلن عن نفسه) أو (جبروت) وستجد كل شىء بالتفصيل.. ولو لم تجدها فهى تملأ المواقع على الانترنت.. القرصنة وصلت إلى هنا أيضا!

لأختصر الأمر قلت:

- المهم أنى يجب أن أصل لكوخ أو بيت(راؤول) هذا.. لكن هناك مشكلتان، الأولى أنى لا أفهم على الإطلاق ماعلاقة(راؤول) بالكتاب.. وهذا ليس أمرا مهما، فليس من المهم أن أفهم كل شىء.. الأهم أن أنتهى من هذا الامر، المشكلة الثانية أن هذا الكوخ تدمر.. تحلل.. ليس له وجود على الأرض أصلا!
- وماذا سوف تفعل؟
- لا أعرف.. سوف أجد حلا، لكن يجب أن تعرفا أنى سوف أكون وحدى هذه المرة.. لن يكون بإمكانكما أن تأتيا معى!

- ماذا؟
- بصراحة لقد عرضت حياتكما للخطر أكثر من مرة، وتريان ما حدث لـ(إيمي).. لو ذهبتما معى إلى هناك فربما ينتهى بكما الأمر ممسوسين مثلا وسأضطر لقتلكما، وسيكون هذا أمرا سيئا لنا جميعا.. ألا تريان هذا؟

نظرت الفتاة نحوى واحمرت عيناها من فرط الدموع التى تنتظر الفرصة للانفجار ثم همست بشكل مخيف:

- لا.. أنا أريد أن أنتقم منهم، لقد آذانى هذا الحقير واحتل جسدى، وبسببهم فقدت أبى مرة وأمى مرتين.. أنا أريد الانتقام وأنت لا يمكنك أن تحرمنى من هذا..

رفع (أحمد) حاجب العناد وقال وهو يضرب المنضدة بيده:

- نعم.. نحن نعرف ما نفعله جيدا.. نحن لسنا صغارا، وأنت يجب أن تكمل الطريق معنا.. هذا اختيارنا!
- حسنا.. سأفكر فى الأمر يا فتيان، لكن فى البداية يجب أن أتواصل مع د. (جلال) كى أفهم منه ما حدث مرة أخرى وكيف سيعود البيت، أو ما الذى يجب علينا فعله بالضبط.

ولأطمئن على زوجتى وأطفالى!

** ** ** ** **

ونعود إلى حيث كنت أجلس أتناول طعامى فى استمتاع.. ولم أكن أعرف أن (منى) قد وصلت إلى ببساطة عندما رأت سيارتى الواقفة إلى جانب الطريق أمام المحل، وللأسف كانت تملك إحدى هذه الهواتف اللعينة التى يمكنها التقاط صورا واضحة من مسافات بعيدة.. كنا نجلس بالقرب من إحدى النوافذ، فكانت فرصة رائعة كى تلتقط بضع صور لنا بيد مرتجفة ثم اتصلت بمديرها.. أو الذى كان مديرها لتخبره بمكانى الآن..

لكنها صدمت من رد فعله العنيف! فوجئت بها يقاطع كلامها فى صرامة غاضبة يخبرها أنها موقوفة عن العمل، وأنها تعرض نفسها لمشاكل بملاحقتى واتباع أهواءها الشخصية.. وأنه لم يكن يظن أنها تافهة لهذه الدرجة! أن تحاول إثبات صحة وجهة نظرها بأى شكل وأى طريقة وعلى حساب أى شخص!

شعرت بالدموع تحتشد فى عينيها من فرط الإهانة المعنوية، لكنها استجمعت نفسها وأخبرته فى كبرياء أنها مواطنة شريفة تبلغ عن مواطن مجرم ويجب أن

يأتى ليقبض عليه حالا، وهو الأمر الذى سوف يجعله محبوبا من رؤسائه فيما بعد! (يالها من خبيثة)، ثم أرسلت إليه الموقع على الهاتف بعدما أرسلت له بضع صور لى!
أما نحن فى الداخل فكنا نثرثر..
اتصلت بد.(جلال) أستفسر منه عن الكوخ، طبعا بعد اطمأننت على أسرتى..
الخبر الجيد أنهم لم يتعرضوا لأى هجوم على الإطلاق منذ رحلت.. إذن الأمر متعلق بى أو بالكتاب فحسب..
الأمر السيء أن زوجتى غاضبة حقا.. غاضبة، ولو أنك متزوج فبالتأكيد أنت تفهم هذه الجملة المخيفة للغاية، ربما هذه الجملة هى التى حفزت ضربات قلبى فعلا لتصل لمستويات رهيبة.. وعندما حاولت الاتصال بها كانت ترفض مكالمتى وهذا نذير شر لا يمكن تحمله!
المهم.. أخبرنى د.(جلال) بوجهة نظر غريبة ربما تحمل شيئا من الصحة، أن هذا الكوخ أو البيت الحقير لم يكن كوخ (راؤول) فى البداية، وإنما كان مقر تجمع الذين كتبوا الكتاب فى المقام الأول، يجتمعون فيه ويغادرونه، ثم مع تقدم العمران وهلاك هؤلاء ظل المكان موجودا، ولكنه تعرض للتغيير.. كان تسكنه أسرة بعد أسرة إلى أن وصل إلى (راؤول) بشكل ما.. ربما ليس على نفس هيئته القديمة ولكن فى نفس الموقع..
أما نقطة اندثار البيت نفسه، فربما توجد طريقة لإعادته.. كل شيء موجود فى الكتب الملعونة التى نحملها، أو الأفضل:
يمكننا العودة إلى مكانه الأصلى وهو المكان الذى اختفى فيه (حسن) للأبد..
وهناك نبدأ فى عمل ما ينبغى أن نبدأ فى عمله..
ما الذى ينبغى عمله؟
هذا أمر لا يعرف عنه كلانا أى شيء!
جميل.. يسمون هذا الكلام (هبدا) فى هذه الأيام ولكن ليس لدي غيره لأعتمد عليه.. أرجو أن يكون (هبدا) يحمل شيئا من الصحة!
هو (يعتقد) وأنا (أظن)..
هكذا يمكننا التعامل مع الشياطين التى تريد موتى!
نهض (أحمد) واستأذن منى، ثم طلب من (إيمي) أن تنهض معه قليلا.. ابتسمت لهما فى خبث، لابد أنه يريد أن يبثها شيئا من الغرام وتباريح الهوى، فقررت ان أترك لهما المساحة قليلا..

- أنت متغير.. هل هناك شيء؟
- لا.. أنتِ لا تذكرين أى شيء؟ لاشيء على الإطلاق؟
- نعم.. لماذا؟ ما الذى حدث؟
- أنت أخبرتنى بكلام كثير جيد قبل أن تحاولى قتلى..
- أنا حاولت قتلك؟
- نعم، عندما كنت تدخنين الحشيش فى فوهة المدفع..
- ماذا تقول؟
- أقول.. كان الأمر غريبا، أنا لم أفهم جيدا.. هل كان كل هذا الكلام كلام الشيطان، أم أن هناك شيء من داخلك برز للوجود؟

كانا وصلا للسيارة، ففتح الباب وجلسا متجاورين، وكانت تفكر فى رد، فقالت فى همس:

- أعتقد أن الشيطان تغذى على حقيقة شعورى نحوك..
- وما شعورك نحوى؟
- هل تسمع هذا الصوت؟

كان هناك شيء يدق بعنف فى صندوق السيارة، وفجأة شعر بالقلادة حول عنقه تتحرك وتضطرب فى صدره..

ترجل من السيارة وفتح الحقيبة ليقفز الكتاب فى وجهه، ووجه الكتاب كان..

كان حيا!

صوت صراخ بشع يملأ الأسماع، وهناك جمرات نارية مكان المقلتين والفم، كان الكتاب المتوحش يفتح فمه ويغلقه محاولا قضم أى شيء!

كتاب حى!

بكل قوته ألقاه (أحمد) بعيدا وهو يلهث بينما نظرت (إيمى) إليه من النافذة، وبنظرة واحدة فهمت كل شيء.. هذا الكتاب يجب أن يقيد بالسلاسل ويعود للحقيبة حالا!

** ** ** ** **

بعد دقائق كانا قد ربطاه بكل شيء ممكن وألقياه فى الحقيبة مرة أخرى.. قال (أحمد) وهو يتنهد:

- كتاب مسعور! من سمع عن مثل هذا الأمر من قبل! أتمنى فقط لو استطعنا تدمير هذا الكتاب اللعين والخلاص منه للأبد..
- ولكن صديقك قال أنه حاول ذلك مرارا ولم يستطع..

- قال أنه حاول حرقه.. ماذا لو حاولنا صعقه بالكهرباء؟ أو ماذا لو حاولنا تجميده؟ ربما نحاول إلقاءه فى قلب البحر أو حتى نسافر لمكان فيه بركان ونرميه هناك!
- أنت خيالى للغاية.. لا يمكن أن يتم تدمير هذا الكتاب..
- لماذا؟ إنه لا يساعدنا على الإطلاق، كل مايفعله هو الإتيان بالمزيد من الشياطين للأرض..

ثم نظر لها فى شك وأردف وهو يضيق عينيه:

- أو.. أنت لا تريدين التخلص من الكتاب فورا.. أنت تبحثين عن الانتقام منهم بأى شكل حتى ولو بتحضيرهم إلى دنيتنا ثم قتلهم؟

نظرت له نظرة بلا معنى ثم أدارت وجهها للاتجاه الآخر وهمست:

- أنت غريب..
- صدقيني.. إن الانتقام لا يحل الأمور على الإطلاق..
- صدقني أنت غريب.. اصمت قليلا ودعنا ننتظر صديقك.. ما الذى يفعله بالداخل على أى حال؟

** ** ** ** **

هذا ما كنت أفعله:

أنهيت طعامى وتأملت المطعم شبه الفارغ فى هذه المنطقة، ثم نهضت بكسل كى أغسل يدى، وفجأة سمعت الباب ينفتح بقوة وسمعت الحمقاء تصرخ من خلفى أن أرفع يدى! إنها لا تتوقف أبدا! رفعت يدي ودون أن يتحرك جسدي التفت لها بملل يائس وقلت:

- ماذا تريدين منى؟
- أنت قاتل.. يكفى ما فعلته بزميلى..
- أنا لا أفهم!
- ستفهم كل شىء فيما بعد..

حسنا، ليس من عادتى ضرب النساء – ولا الرجال فى الحقيقة – ولكنى استدرت بأقصى سرعة وضربت يدها الممسكة بالمسدس بأقصى قوة فوقع على الأرض! طبعا هذه حركة حمقاء لأنى فوجئت بها تنقض على بسيل من اللكمات والركلات، ثم وجدتنى مكوما على الأرض! من الذى يواجه شرطية حمقاء مدربة؟ إن الأفلام الغربية أفسدت عقلى تماما..

بعد لحظات كنت أسير أمامها وهى تبتسم فى فخر متجهين للخراج، ورواد المكان القليلون ينظرون نحونا بانبهار.. لابد أنهم يثنون على الفتاة الخارقة التى ألقت القبض على المجرم الخطير آكل قلوب الأطفال.. وفى الوقت ذاته اقتحم رئيسها المكان.. الرجل الذى كانت تحادثه على الهاتف.هل كان على بعد دقيقة واحدة من هذا المكان أم ماذا! ما هذا التهريج!

- (منى).. ماذا تفعلين؟ قلت لك أن تنتظرينى!
- كان سيرحل.. لابد أن أوقفه!
- هيا بنا ولنتحدث لاحقا..

تقدم نحوي ثم دفعنى للخروج لكنى لاحظت شيئا.. المروحة تدور بعنف غير معتاد.. الماء يهتز اهتزازات خفيفة.. الظلام يتكاثف من حولنا لأن الغيوم تتكاثف.. التلفاز تشوش تماما، بدأت الأشياء المعلقة تتأرجح..

إنهم قادمون مرة أخرى!

** ** ** ** **

فى لحظة انفجرت نوافذ المكان لتنغرس الشظايا فى أجساد بعض الموجودين الذين هرعوا للخارج فورا فى فوضى عارمة، لكن نادلة ما والضابط الذى جاء حالا لم يكونا محظوظين للأسف.. شظايا الزجاج انغرست تماما فى جسديهما مما دفع بالحياة للخروج منهما للأبد.. أرجو فقط ألا يكونا شعرا بشيء عندما ماتا..

ثم عادا للحياة !

لحظات من موتهما ثم وجدناهما يتحركان من جديد بعدما تغيرت ملامح وجهيهما لتصير وحشية تماما..

(منى) سقطت على ركبتيها وقد كسا وجهها قناع من الرعب، بينما صرخ المسخان وانقضا علينا.. طبعا هما يملكان قوة شبه خارقة، وأفضل حل الآن هو.. الهروب..

ضربهم بكل شيء ممكن مع العلم أن لا شيء تقريبا يؤثر فيهم.. كنت ألقى بكل شيء فى كل مكان حين شعرت بنفسى أطير وأسقط خلف الكاشير.. ماذا حدث؟

لا يهم.. جسدى يئن لكنى تجاهلت الألم وزحفت بعيدا..

من الخلف جاء الدعم متمثلا فى (أحمد) و(إيمي).. دخلا وعلى الفور دوى صوت البندقية فى يده تفجر رأس المحقق المسكين الذى ظل يتحرك بعدها بعدة لحظات، قبل أن تهجم النادلة على (أحمد) وتسقطه أرضا ثم تحاول الوصول لعنقه كى تمزقه بأسنانها..

تحركت (إيمي) وحملت شيئا ثقيلا انهالت به على رأس النادلة وهى تصرخ فانفجر الدم يتناثر على وجهها الجميل.. رفعت ما بيدها وضربتها مرة أخرى وصرخت قائلة:

- أنت قتلت أسترتى..

رفعت يدها ثم: **طاخ..**

- أنت دمرتنى..

رفعت يدها ثم: **طاخ..**

- أنت السبب فى كل شىء..

رفعت يدها ثم: **طاخ..طاخ.. طاخ.. طاخ!**

كان رأس النادلة صار معجونا بالدم تماما ولم تعد لها ملامح، وجسدها يرتجف مثل جسد البرص عندما تقتله، ومع ذلك لم تتوقف (إيمي)!

كنا نقف خلف الباب ننظر لـ(إيمي) بدهشة..

للحق كان منظرها والدم يتناثر من حولها ملحميا رائعا.. أنت تفهمنى طبعا، نحن لسنا متوحشين لأن النادلة أصلا ماتت قبل أن تصير ممسوسة.. كنا نشاهد (إيمي) تقتل الشيطان..

أقصد أنى كنت أشاهدها بذهول و(أحمد) ينظر لها بانبهار وخى تحطم جمجمة الممسوسة تماما.. كم تمنيت لو أعرف مايدور فى رأسه الآن!

** ** ** ** **

خرجنا من المكان (أنا وإيمي وأحمد ومنى) وحالنا يقول بوضوح أننا يائسون.. كانت (منى) تقف جوار السيارة التى سرقتها ويبدو عليها التشتت.. ذهبت إليها بخطوات بطيئة.. ثم سألتها بشىء من الشماتة ممزوجا بالفخر لأنها حمقاء كما هو واضح:

- كيف تشعرين الآن؟
- ليس جيدا.. لا أعرف..
- أنت رأيت بنفسك.. أنا دخلت مطعما أرغب فى وجبة دافئة، وفى النهاية انتهى الأمر بكومة جثث والكل يريدون إلقاء اللوم على..
- عندك حق.. وحدات الشرطة سوف تأتى فى أى وقت..
- أعرف، لهذا أقول لك يمكنك البقاء ومواجهتهم أو..
- أو؟
- يمكنك المجىء معنا..

- لأين؟
- كى نقاتل.. قد نستفيد من شخص له مهاراتك القتالية..

أومأت برأسها إيجابا فى بطء وغمغمت:

- ولم لا.. لا أحد سيصدقنى على كل حال..
- إذن.. هيا!

وهكذا انضم فرد رابع للسيارة المسكينة.. أسمعك تقول أنى أحمق تماما.. ربما، هذا ما سوف أعرفه فيما بعد! لا أرغب فى مناقشة القرار الآن ولا عن الطريقة السحرية التى جعلتها توافق على الانضمام لنا بهذه السرعة..

لن تكون هذه النقطة هى آخر نقطة غير منطقية فى الحكاية برمتها!

** ** ** ** **

7

بعد قليل رن هاتفى، كان د.(جلال) طبعا.. من غيره سوف يتصل بى الآن، ومن الناحية الأخرى جاء صوته:

- (أحمد).. أنا كنت أبحث منذ تركت هاتفك، لكنى لم أفهم ما علاقة منزل (راؤول) بهذا الأمر على الإطلاق.. إن منزله انتهى منذ زمن ولا سبيل لعودته أبدا.. لكن حتى لو هذا ممكن فلا أدرى ما الذى أقحم هذا المنزل فى هذا الموضوع أصلا.. دعك من كل نقاشاتنا السابقة..
- (الهبد) السابق!
- نعم نعم.. أنت صرت سوقيا للغاية! ولكن عندى فكرة مناسبة..
- نحن منصتون..
- .....! أنتم؟
- نعم.. أنا أقود السيارة، وأنت على مكبر الصوت فكلنا نسمعك بوضوح.. أنت تعرف من معى أليس كذلك؟ بالإضافة إلى الضابطة (منى)..
- التى تريد قتلك؟
- نعم..
- ومازالت تريد قتلك؟
- ربما.. أكمل من فضلك..
- حسنا.. لو أن الأمر يتعلق بمكان عاش فيه(راؤول) فترة من الزمن، فقد حكت لنا (هناء) أنه كان يعيش فى (سيناء) لفترة.. كان وحيدا تقريبا فى حياة الرهبنة ولا أحد حوله، إلى أن مزقه (أنوبيس) إربا.. هذه الحكاية مغروسة فى أعماق صديقنا أيضا، وقد حكاها لى بالتفصيل!

(إذا كنت لا تفهم شيئا، فالتلخيص هو أن(راؤول) هذا كان مرنما فى كنيسة فى مدينة (القسطنطينية)، وكان متزوجا من امرأة جميلة وله بنتان جميلتان، وعندما دخل (محمد الفاتح) المدينة فقد الرجل أسرته مع هجوم الجيش والقصف المتواصل، فأصيب بالجنون إلى أن تلقفه (ذو السواد) وهو شيطان

يحب زراعة أفكار القتل الوحشية فى الرؤوس ويترك الناس تلتهم بعضها حرفيا.. أوصله لطريق ساحرة علمته من الفنون مالم يخطر له على بال لكنه تخلص منها وقتلها عندما أغوته وتمثلت فى شكل زوجته، وكانت غضبة الشيطان عظيمة قبل أن يعلمه فنون (النكرومانسي) وهى التهام الموتى لمعرفة أسرارهم، وهكذا التهم جثة الساحرة وعرف كل شىء تعرفه.. من ضمن الأسرار سر الشباب الأبدى، وسر التنقل بين عالم الشياطين وعالم البشر باستخدام خاتم ما.. وانطلق يعثو فى الأرض فسادا لما يزيد عن خمسمائة عام بأحداث رهيبة لا يمكن تصديقها، حيث أنه (الشيطان البشرى) الوحيد فى التاريخ، إلى أن قرر التوبة وعاش معتكفا فى دير فى سيناء، بعدما أنقذ (هناء) من الموت جوعا وعطشا داخل قبر واحد مع زوجها المقتول وأبنائها.. هذا الرجل هو صاحب الخاتم الذى ورثه صديقنا فيما بعد، وفى الأمر مقابر فرعونية غامضة حيث عثر أحد رجال الأعمال على مقبرة (أنوبيس) نفسه، والذى تعاون مع ذى السواد فى قتل (راؤول)، وكان ذلك اثناء حرب أكتوبر المجيدة! هذا تلخيص بسيط للغاية للأحداث إلى أن تراجعها بنفسك كما اتفقنا!

المهم، يكمل د.(جلال) حديثه:

- (أحمد)، أنا لا أشعر بالرتياح على الإطلاق.. على كل حال اذهب لمكان الدير، أنا أعرف مكانه بالتقريب وسوف أرسل لك الموقع على هاتفك حالا.. السفر داخل مصر أسهل من استقلالك لطائرة، أليس كذلك؟
- حسنا.. هذا كلام ممتاز.. ابعث لى الموقع وسأتجه لهناك على الفور..

أغلقت الهاتف ووقفت بالسيارة إلى جانب الطريق.. هناك أفكار سوداوية تنهش أعماقى حالا، وما أن وصلتنى الرسالة التى تحوى الموقع حتى اتصلت بد. (جلال)!

- آلو.. د. (جلال)، كيف حالك؟
- بخير.. هل توصلت لشىء؟
- ..... لا، أحببت أن أطمئن منك فقط، هل كل شىء على ما يرام؟
- نعم.. صوتك يبدو قلقا.. ما الأمر؟
- لا شىء.. أحببت سماع صوتك فقط.. أراك على خير، سلام!

قلتها وأغلقت الهاتف فى شرود..

لم يكن المتصل الأول د. (جلال) كما لاحظت..

كلامه ولهجته كانا غريبين، ثم من أين له أن يعرف مكان الدير!
إنهم يريدوننى أن أذهب إليهم..
يريدوننى هناك، لكن لماذا؟
وهل ستتكرر مأساة صديقنا معى؟
رباه..
أشعر بالتوتر ينهش أعماقى..
لا أفهم شيئا ولا أعرف ماذا أفعل..
يجب أن أركز قليلا!

** ** ** ** **

أخبرت الرفاق أننا ذاهبون إلى سيناء، فبدا عليهم الراحة والاستمتاع.. هل يعتقدون أننا ذاهبون للمصيف مثلا؟ لكن.. الحقيقة أنى أخفيت عنهم ما حدث منذ قليل.. يكفى جدا ما هم فيه من توتر – لو كانوا متوترين أصلا – ثم انطلقنا بالسيارة.. تأكدت من وجود وقود كاف وماء وفير وزيت المحرك.. لا أريد مفاجآت مزعجة، ثم بدأنا الرحلة..
فى الحقيقة كان الوقت ليلا، فاضطررنا للمبيت فى أحد الأماكن التى تسمح بالمبيت، ونمنا جميعا كالصخور.. طبعا الفتيات وحدهن ونحن وحدنا.. كنت أتوقع مصيبة أثناء الليل لكن لا شيء حدث، سرعان ما أشرقت الشمس تبث الحياة لنا، وسرعان ما كنا على الطريق نحو سيناء..
كنت متعجبا من الصمت.. لا أقصد صمتنا فنحن ثرثارون تحدثنا فى كل شيء وأكلنا الكثير من المكسرات والطعام والمياه الغازية وكأننا فى نزهة لطيفة، لكن لماذا لا يهجم علينا شيء؟
المهم، بعد وقت طويل والتوقف عدة مرات للتوزد بالوقود، وفى نقطة ما كان يجب علينا التوغل داخل الصحراء.. سيارتى ليست مؤهلة لمثل هذا الكلام قطعا، ولو دخلت بها بحمولتنا هذه فسوت تنغرس فى الرمال بعد عشر دقائق ونموت جوعا وعطشا! لا بد أن أحصل على سيارة أخرى..
عدت للمدينة واستأجرت سيارة كبيرة.. سيارة دفع رباعى قوية، وتركت سيارتى وبطاقتى ومبلغ من المال تحت الحساب لديهم.. لو عدت حيا فيمكننى التفاوض وقتها!
وبالمرة دخلنا مطعما بدويا لطيفا يقدم قائمة طعام متنوعة للغاية (لحم وأرز)!

طعام شهى، وجلسة ممتعة.. لماذا لا تستمر الحياة بهذه الوتيرة الجميلة؟ هكذا أكلنا وقبل أن ننهض جاءنا شاب لطيف.. ربما كان من المفترض أن أنقل لك المحادثة كما هى لكنها محشوة بكلام فارغ.. يسألنا من أين أتينا، وما إذا كنا نرغب فى قضاء وقت ممتع، وأننا لا نعرف شيئا وبإمكانه أن يجعلنا نرى العجب.. الكثير من الهراء الذى نحن فى غنى عنه تماما، وكان اسمه (عبد الرحيم)!

أنهى الشاب كلامه معنا ثم ابتعد فى خيبة أمل عندما لمس منا أننا لن نقدم له أى (مصلحة) على الإطلاق.. بعدها نهضما لنكمل مسيرتنا المقدسة لنقضى على الشر!

سرعان ما بدأت أتوغل فى الصحراء..

أرجو ألا يخذلنى جهاز تحديد المواقع فى الهاتف، ولكن كل شىء كان يسير على ما يرام..

الأمور هادئة والشمس حارقة والجو جهنمى الحرارة.. رائع..

بعد مسيرة ساعة تقريبا، بدأت المعالم تتغير.. هناك مساحات خضراء كاملة تغزو الصحراء.. مزروعات طويلة وقصيرة وعشبية لا أدرى ماهى تحديدا لكنى أشك أنها..

- بانجو وماريجوانا!

كانت الضابطة (منى) هى التى قالت هذا الكلام فى جذل.. الأمر سىء لأننا قريبون جدا من الدير، فلو أن زارعى هذه الأشياء قريبون، فسوف يقضون علينا فى لمح البصر وبدون تفاهم.. شعرت بالقليل من التوتر، لأنهم لا يمكن أن يتركوا هذه المساحات بلا حراسة.. لابد أنهم يعرفون مكاننا الآن!

أكملت الطريق فى قلق وفجأة سمعت صراخا عنيفا وارتمى جسد ما أمامنا..

فرملت فى عنف فتوقفت السيارة مثيرة سحابة من الرمال والغبار ونزلنا ننظر لمن أمامنا.. كان رجلا مغطى بالدماء، يبدو فى حالة صدمة ويصرخ..

- **إنه هنا.. هناك.. هنا..**

والأسوأ، بالقرب منا وجدنا جثة أخرى لرجل.. نصف جثة تتدلى منها الأحشاء للدقة! ما الذى يحدث هنا؟

- **ابتعدوا عنه!**

و (بوم) انطلقت رصاصة تنسف رأس الرجل الحى تماما!

** ** ** ** **

رائع
** ** ** ** **

من قلب المزروعات برز بعض البدو أو العرب كما يطلق عليهم هنا..
لا يمكنك تحديد أى انتماء لهم على الإطلاق..
مجرد عرب مغبرون متربون يحملون أسلحة حديثة للغاية، وعيونهم تنم عن الشر والرغبة فى القتل.. السلاح الذى فى أيديهم يبدو ممتعا للغاية ويرغب فى إطلاق ذخيرتهم نحونا.. بلهجة بدوية صاح كبيرهم بصوت أجش يشبه صوت كفار قريش:

- **من أنتم؟ شرطة؟**
- لالا.. مجرد عابرون.. زوار فقط.. سنرحل فى سلام..

طبعا هذا كلام فارغ.. لو كنت مكانهم لتخلصت منا فورا، لكنهم لم يفعلوا ذلك..
سألهم (أحمد) بربطة جأش أحسده عليها:

- ماذا حدث لهؤلاء؟
- **لا نعرف.. فجأة عاد زميلنا وبدأ يمزقنا إربا.. هل تعرفون أى شىء عن هذا الموضوع؟**

أشرنا برؤوسنا وغمغمنا أن لا.. لا نعرف.. المهم أنهم قرروا اصطحابنا معهم بعد تفتيشنا ونزع كل الأسلحة التى أشارت بوضوح إلى أننا لسنا مسالمين على الإطلاق كما كنت أدعى!
الحق أنى كنت خائفا جدا.. كانوا جماعة من الناس يمكن أن تراهم يقطعون رؤوس الاسرى وهم يصرخون بالتكبير، أو يمكن أن تراهم مقبوضين عليهم بتهمة تفجير مواقع حيوية، أو يمكن أن تراهم فى تسجيل فيديو يقفزون من سياراتهم الجيب لينهالوا بالنيران على نقاط أمنية، وربما كان أحدهم يحمل (آر بى جى) ايضا! باختصار، لا يمكن أن يأتى من وراء هؤلاء إلا مصيبة سوداء فحسب.. فقط أرجو - لو قرروا قتلنا - أن يكون الأمر سريعا!
سرنا معهم إلى أن وصلنا لما يشبه مغارة فاخرة فى قلب جبل، لها بوابة حديدية، وقد مدوا السقف قليلا من الخارج بقوائم معدنية، وفى الداخل وجدنا كل مالذ وطاب من الأسلحة!
ترسانة حربية كاملة!
من المستحيل أن نخرج من هنا أحياء!

ثم رأيت فى أحد الأركان كومة أشلاء لطيفة!
جلسنا وبدأ الاستجواب الهادىء عما نعرفه بالضبط.. كنا لا نعرف شيئا فقلنا أننا لا نعرف شيئا، لكنهم لم يصدقوا أننا لا نعرف شيئا، وأننا لابد أن نخبرهم بالأشياء التى نعرفها!
ومع ذلك سألناهم عن سبب هذه الفوضى.. قال كبيرهم :

- كنا جالسين فى أمان الله، وفجأة هجم علينا (عبد الرحيم) من حيث لا نعلم.. كانت ملامحه متغيرة ويصرخ بأصوات مخيفة جدا، ثم قتل منا ثلاثة بيديه.. بيديه فقط مزقهم وكأنهم لاشىء.. الغريب أنه ضعيف أصلا، فلا بد أنكم أعطيتموه شيئا.. أعتقد أنكم أنتم السبب لأن ظهوركم تزامن مع تغيره، ولابد أن تصلحوا ما أفسدتموه!

الحق أن الرجل يملك قوة إقناع ومنطق لابأس به، ولكن.. (عبد الرحيم)! أليس هو الشاب الذى قابلناه على الطريق أم هى مجرد أسماء متشابهة؟
وفجأة سمعنا طرقة ضخمة ووجدنا الباب الحديدى يرتج..
نظرنا جميعا لبعضنا فى وجل.. من الذى بالخارج؟
ثم سمعنا أصوات أقدام تمشى على السطح المعدنى..
صوت ضحكات شريرة.. ساخرة..
ثم دوت طرقات كبيرة على الباب الخارجى..
الأمر مخيف لأن الصوت ينم عن قوة جبارة وكأن هناك عملاق يرغب فى الدخول!
بعد لحظات انتهى العبث لنسمع صوت خطوات تسير بهدوء فى الخارج..
خطوات على الرمل..
حمل أحد الرجال مدفعا قويا واقترب من الباب المعدنى دون اعتراض من أحد، وفتح الباب فتحة خفيفة و..
انقضت عليه يد تجذبه فورا للخارج ليرتفع صراخ المسكين.. جرى الباقون فى غضب وهم يشهرون أسلحتهم.. لكن لا أحد فى الخارج..
وفى قلب المغارة سمعوا صوت باب أرضي ينغلق على واحد آخر منهم وهو يصرخ..
يبدو سلوك الأخ (عبد الرحيم) كسلوك الحيوانات المفترسة التى تصطاد فريستها وتجرها لمكان هادىء كى تستمتع بها..
استغللنا وجود الكل فى الخارج وصحت:

- **يجب أن نهرب من هنا..**

كان هناك باب خارجى صغير اندفع إليه (أحمد) و(إيمي) على الفور، وفور دخول (منى) أمامى اندفعت الرصاصات فوق رؤوسنا تخترق الجدار، ومن خلفنا جاء الأمر بالتوقف!

التفتنا ببطء وأنا أبتلع ريقى بصعوبة وأشعر بقلبي يخفق فى عنف.. لقد كبرت جدا على هذه الاشياء!

اقترب منا أحدهم ووضع قيدا فى يدى أنا و(منى)، وبعد قليل كنا نتدحرج داخل المكان الذى اختفى فيه زميلهم الأخير..

داخل الباب الأرضي..

والذى يوجد فيه (عبد الرحيم)!

** ** ** ** **

نهضنا ننفض ثيابنا.. لماذا فعل الحمقى هذه الفعلة الحمقاء! رصاصة فى رأس كل منا كانت تكفى جدا ولننته من كل هذا العبث والتعب!

نهضت من رقدتى جوار (منى).. كانت تسعل وتشهق من أثر التراب لكنها كانت غير خائفة لحسن الحظ.. لا أريد المزيد من الهيستريا!

وقفنا نتأمل قليلا ما حولنا.. المكان مضاء ويبدو كأنه ممر طويل فحسب بلا أى ملامح سوي عدة مصابيح متناثرة فى الطريق.. كان المكان عبارة عن مخزن طويل لصناديق المخدرات والأسلحة المغلقة والمفككة، وكنت أشعر بحالة من الغيظ والإحباط.. إلى متى يمكننى الاستمرار هكذا؟ ومتى سيتوقف هذا العبث؟

سرنا بضع خطوات نستكشف المكان المخيف..

صوت غامض يأتى من نهاية المكان..

شىء يزوم أو يزمجر لا أعرف، وفجأة سمعنا صوتا عاليا فأجفلنا.. وقفت أرتجف نوعا.. أنا لا أحب الأماكن الضيقة أو المغلقة، كما لا أحب المفاجآت.. أسوأ الاصوات بالنسبة لى هى الأصوات العالية المفاجئة، لذلك أكره البالونات كثيرا لأنى أخاف عندما تنفجر خاصة عندما تنفجر أمام وجهى وأنا أقوم بنفخها!

بضع خطوات أخرى ثم قالت (منى) بصوت رقيق:

- (أحمد).. أنا آسفة حقا!

نظرت لها فى شك.. أنا لا أثق فى هذه الفتاة، قد تكون طيبة القلب لكنها حمقاء تماما!

- هل فعلتِ مصيبة أخرى؟ أنا لست..

- لا.. أنا آسفة لأنى ضايقتك.. أسأت الحكم عليك، لكن أنت ترى المعطيات كلها كانت تشير إلى أنك وغد سفاح..ربما مجنون أو شىء أسوأ!

ضحكت ضحكة جافة ولم أعقب، لكنها أكملت:

- الحقيقة أن هذه الفكرة لم تنبع من فراغ، هذه المرأة كانت مصممة على أنك السبب فى كل ما يحدث الآن!
- أى امرأة؟
- امرأة قابلتنى وكانت تتبعك.. اسمها (كاميليا) على ما أعتقد!
- (كاميليا)؟ أنا أعرف هذا الاسم.. ماركة صابون على ما أظن؟
- لا.. امرأة بسيطة قابلت شيئا أكبر منها فلم تستطع التعامل معها.. إنها طيبة للغاية!

طيبة للغاية! تقول أنها طيبة للغاية! تخيل! لكنها لو كانت فى المكان الذى سقطت فيه (كاميليا) لرأت الرماد يكسو كل شىء، رماد رمادى كئيب وهناك بضع عظمات محترقة متناثرة..

ومن وسط الرماد برزت يد بيضاء ناعمة، ثم تلاها جسد أبيض جميل مشرب بحمرة، وطبعا يكسوه الرماد.. إنها (كاميليا) التى لم تتأثر كثيرا بالحريق أو ربما لم تتأثر على الإطلاق أصلا! ربما فقدت وعيها لبضع لحظات فحسب؟

نهضت واقفة تنظر للجو من حولها وتتشمم.. على عينيها ترتسم نظرة ممتعضة كأنها ليست راضية عن أى شىء.. تنظر لجسدها المشدود العارى الجميل لأن كل ملابسها احترقت طبعا، ثم وقعت عيناها على جمجمة محترقة.. جمجمة الهيكل العظمى الذى كان يتحرك منذ قليل! انحنت ورفعتها أمام وجهها ثم فتتتها بيديها المجردتين وهزت رأسها أن (لا جدوى)!

انحنت مرة أخرى تبحث وسط الرماد عن شىء ثم اعتدلت وفى يدها سكين، قبل أن تسير نحو المنزل..

ومن المنزل حصلت على ملابس مناسبة، ثم خرجت على الطريق.. وقفت بعض الوقت حتى اقترب شخص سىء الحظ بسيارته منها.. سرعان ما تكوم الرجل على جانب الطريق بلا رأس بينما انطلقت هى بالسيارة وعيناها تنطقان بالشر..

لكن طبعا لم نكن نعرف أى شىء من هذه الأحداث فى وقتها..

** ** ** ** **

كانت تخبرنى عن (كاميليا) وماحدث معهما، وكنا نسير فى الممر ضيق حين شعرت بأنفاس حارة ورائحة كريهة قادمة من خلفى..

إنه (عبدالرحيم)!
صرخت (منى) وتراجعت خطوتين للخلف، بينما صرخ الممسوس:
- **أنت.. سعيد برؤيتك..**
- كنت أتمنى لو قلت لك مثل ذلك..
رفع يده بشيء ما، ثم ألقى على حذائينا سائل..
- ما هذا؟
ابتسم وهو يشعل قداحة ثم همس:
- بنزين!
ثم ألقاها على الأرض.

** ** ** ** **

كان (أحمد) و(إيمي) يجريان فى الصحراء إلى أن وجدا تبة رملية مرتفعة، وعلى الفور انبطحا خلفها يلهثان.. السيارات تهدر من بعيد استعدادا لمطاردتهما ولا تنوى على أى خير.. شعور الفأر الذى تجرى خلفه مجموعة من القطط، أو شعور القط المحاط بمجموعة من الكلاب.. أنت تفهم ما أريد قوله، لذلك اختر أى تشبيه يروق لك!
بعد لحظات قال (أحمد):
- يبدو أننا.. قد.. لا ننجو من هذا الموقف!
- اخرس.. سوف نفعلها.. لا أريد أى نوع من أنواع اليأس.. لا تقل مثل هذا الكلام.. اسمع، كل مانريده هو سلاح واحد فقط من هذه الاسلحة.. عندى خطة!

بعد لحظات كانت تسير بخفة أمام أحد الكثبان الرملية التى توجد فى الجهة المقابلة، لكن باغتها أحد البدو من الخلف وصاح أنه وجد واحدة..
وقعت الفتاة على الأرض فى رعب وزحفت على ظهرها، بينما يتقدم البدوى نحوها بأمل وفرحة حين..
طاك!
كانت هذه ركلة عاتية بين قدميه أخرجت الهواء من بين أذنيه، فسقط على ركبتيه وهو يصرخ صرخة نسائية للغاية وتحول لون وجهه إلى اللون الارجوانى..

على الفور برز (أحمد) من بين الرمال، والتقط السلاح بظفر ووجهه إلى رأس الجندى الذى لن يقوَ على الوقوف على قدميه لفترة طويلة! نظر لـ(إيمي) بإعجاب وقال:

- يالها من ضربة.. أنتِ
- اصمت!

صمت فى حرج، ونظر تجاه الرجل على الرمال.. لقد حصلا على سلاح.. يرجو ألا يستخدمانه أصلا، لكنهما حصلا على شىء من الحماية..

ولكن التصق برأس (أحمد) فوهة سلاح أخرى وسمع صوتا غليظا يقول:

- محاولة لطيفة!

** ** ** ** **

سرعان ما كان (أحمد) و(إيمي) فى شاحنة تابعة للمهاجمين.. (أحمد) مقيد جوار السائق و(إيمي) مقيدة فى الخلف.. الوغد الذى يقيدها يضحك بشكل سخيف، بينما تركوا صديقهم برفقة آخر إلى أن تعود سيارة أخرى، وقال:

- سوف أجعلك منتفخة البطن قريبا.. ابتهجى يا فتاة!
- ألن تغار منك أمك؟

(كانت فتاة بذيئة اللسان.. ياله من رد!)

وبينما هما فى السيارة وقبل الانطلاق وجد (أحمد) فرصة رائعة كى يمد قدما ويضغط على البنزين بأقصى قوة.. السيارة كانت دائرة وناقل السرعات على وضع العودة للخلف، لذلك انطلقت للخلف بشكل مباغت كى تصطدم بتل رمل مطيحا بمن كان يقف جوار (إيمي).. نهض يحاول الوقوف كى يهرب من وجه الموت القادم، لكنه لم يلحق للأسف.. ليس للأسف، لم يلحق لحسن الحظ، وسرعان مادهسته السيارة.. أصيب الذى كان يجلس بجوار (أحمد) بالجنون، التقط شيئا من جواره وانهال بلكمة مريرة على فك (أحمد)، ثم أخرى فى بطنه.. طبعا هدأت سرعة السيارة بسبب تراخى قدمه على الدواسة..

كان الوغد يزمجر فى غضب ثائر وهو ينهال باللكمات على كل ما يمكن أن تطوله يده حين انفجر رأسه بغتة ناثرا الدم على كل شىء..

رفع (أحمد) يده ليجد (إيمي) واقفة فى الخلف ترفع يدها بمسدس ترتفع من فوهته دخان خفيف..

لقد صارت الامور فى غاية التعقيد!

** ** ** ** **

اعتدلت (إيمي) بدون أى تأثير واضح على ملامحها.. لقد قتلت منذ قليل وسفكت الدم! يبدو أن القتل عادة محببة على ما يبدو! يقول علماء النفس أن سفك الدم شهوة قد تستولى على الإنسان، وقد لا يستطيع التحكم فيها لاحقا فيتحول إلى قاتل متسلسل! أرجو ألا تكون هذه البداية لقاتلة متسلسلة لطيفة وجميلة!
اعتدل (أحمد) فى مكانه وانتظر حتى حررته (إيمي).. بشكل ما كان يشعر بالإثارة وسط كل هذه الأحداث المخيفة! لو كان فى فيلم أمريكى لـ..
لا يهم الآن لأن الرقابة تقطع مثل هذه الأفكار الحماسية.. وقف جوارها ينظران إلى الجثث.. بصراحة لم يكن لدى (أحمد) أى نوع من المشاعر تجاه كل هذه الدماء والأشلاء هو الآخر.. مع الوقت صار الأمر وكأنه يخوض لعبة فيديو ثلاثية الابعاد فحسب! تفكيره ينصب على النجاة من هنا.. لا يجب أن يهجم عليهم أحد وإلا..
نظر للجثتين وهو يفكر بعمق ثم قال:

- يجب أن نحصل على ملابسهما لنتنكر بها..
- رائحتها كريهة!
- أعرف.. ولكن لو أردنا إنقاذ (أحمد) و(منى) فيجب أن نعود لهما متنكرين.. لا يجب أن ينتبه إلينا أحد!
- ولكن ملابسهما ملطخة بالدماء..
- ربما سنجد حلا وقتها!

مطت (إيمي) شفتيها فى عدم اقتناع بما يطلبه منها، ثم تحركت نحو مؤخرة السيارة تلتقط شيئا وترفعه بصعوبة.. كان يراقب (إيمي) مدهوشا، لأنها أمسكت ببندقية ضخمة رائعة المنظر وأخذت تتأملها بإعجاب..
إنها تتغير ولا شك فى هذا!
ثم حول نظره إلى الجثة.. هو أيضا لا يريد أن ينزع ملابس هذه الجثث لكن لا مناص من فعل ذلك.. اقترب من إحدى الجثث القريبة، وبدأ يمد يده إليها حين..
صرخت الجثة فجأة وفتحت فمها باتساعه، بينما كانت عيناها بيضاوان تماما..
تفاجأ (أحمد) ولم يستطع حراكا من المفاجأة غير المتوقعة، على حين انتفضت الجثة وانقضت عليه تزأر.. من أين تأتى كل هذه الشياطين!
على الفور ودون تفكير رفعت (إيمي) البندقية وأطلقت النار على (أحمد) ومن خلفه!

لحسن حظه أنه رآها فى اللحظة الأخيرة فصرخ وانحنى فأصابت الرصاصات من خلفه ولكن معظمها أصاب الكثبان الرملية، فى حين اندفعت الفتاة للخلف من قوة الرصاصات.. إنها لاتزال غير مدركة لقوة المدفع فى يدها..

- **احترسى يا (إيمي).. سوف تقتلينني..**
- إنه ليس خطأى..
- **خطأ من إذن؟**

قالت وهى تنهض مرة أخرى وهى تعيد تصويب المدفع فى جذل:

- خطأ المدفع!

وأطلقت الرصاص مرة أخرى وهى تستند بظهرها إلى السيارة، فانطلقت تمزق الجثة الممسوسة إربا محزلة إياها إلى أشلاء متناثرة فى الهواء.. رباه، كم أتمنى لو رأيت هذا المشهد بالتصوير البطىء!

وقف الاثنان يلتقطان أنفاسهما قليلا.. لا يمكن الآن بأى حال استخدام ملابس الرجلين!

دون كلمة عادا إلى السيارة القريبة، ولكن (أحمد) لمح بطرف عينيه شىء ما فى مؤخرة السيارة.. شىء غريب فى الواقع لو فكرت قليلا، فما الداعى لوجود قناع غاز فى مثل هذا المكان؟

** ** ** ** **

وفى الداخل كنت أسير مع (منى) لا نعرف ماذا نفعل تحديدا.. نسيت أن أخبرك أننا بمجرد أن رأيناه يلقى الشعلة على الأرض قفزنا مبتعدين قبل أن تصل النار إلينا وتشوينا أحياء، ثم أخذنا نعدو مبتعدين فى فزع.. الموت محترقين هو كابوس لا أحب التفكير فيه!

ضحكات (عبد الرحيم) تملأ المكان من حولنا، ونحن نحاول الهرب..

ثم لمحت ضوءا خافتا قادما إحدى الجهات.. إنه ضوء النهار!

جرينا نحوه فى أمل حتى وصلنا إليه فمات الأمل..

للأسف كان بابا حديديا مغلقا بالجنازير وعليه قفل ثقيل! طبعا لا يمكن أن نعبره بأى شكل من الأشكال.. لو كان معى أى سلاح لأطلقت النار على القفل.. أو حتى يمكننى استخدام أى شىء ثقيل لكنى لا أملك أى شيء..

أخذت أبحث بعينى عن شىء يصلح للاستخدام لكن بلا جدوى.. كان ذلك حين وقعت عيناى على شىء غريب أنا الآخر..

أصابع ديناميت!

نظرت له مفكرا، ثم اشرت نحوه وأنا أهمس لإيمي قائلا:
- ربما علينا تفجير هذا الوغد فحسب؟
قلتها بشيء من التهكم فى الواقع، لكن (منى) قالت:
- لا.. اسمع.. عندى فكرة أفضل..
- تفضلى!
أخذت نفسا عميقا ثم :
- **النجدةةةةةةةة!**
- اخرسى ياحمقاء.
- **النجدةةةةةةةة!**
- هذه هى فكرتك العبقرية؟
- ثق فى فقط..
وعلى الجانب الآخر كان الوحش قد سمعها.. ابتسم وبدأ يتحرك تجاهنا!

** ** ** ** **

كان (أحمد) يتحرك بالسيارة وهو يرتدى قناع الغاز الذى أخفى ملامح وجهه تماما.. تبدو السيارة خالية إلا منه فقط، ولم يعترض أحد طريقه لأن الكل مشغولون بالبحث عنه وعن صديقته..
اقترب من المعسكر ثم دخل إليه ببساطة..
فى الداخل كان القائد فحسب يقف وسط البقية الباقية من الأعراب.. اقترب من السيارة وهو يصيح بصوت جهورى غليظ وبلهجته البدوية:
- ماذا حدث؟ اين البقية؟
هنا نهضت (إيمي) من الصندوق شاهرة البندقية وهى تقول:
- هنا أيها الوغد.. حركة واحدة منك أو من بقية البهلوانات حولك وسأفجركم جميعا!

** ** ** ** **

فى الداخل اقترب منا (عبد الرحيم).. كان يضحك بجنون وفى يده بقية السائل النارى.. كان يقترب منا فى جذل شيطانى سخيف وهو يتمايل، قبل أن يقف فى وسط الظلام وهمس همسا مخيفا تردد صداه فى المكان.. لم نفهم، لكنه رفع عينيه وهمس بصوت أكثر وضوحا:
- لنحتفل..

قالها ثم رفع السائل الحارق إلى شفتيه ليشربه فى نهم ويغرق به رأسه وجسده ويصبه صبا فى حلقه وفوق رأسه..
ما هذا الجنون!
نظر لنا مبتسما، ثم أشعل القداحة وقربها من فمه قبل أن ينفث فى وجوهنا النار كأنه تنين بشرى! وما أن فعلها حتى اشتعل جسده كاملا فصار منظره مريعا!
انحنينا نتفادى النار ونحن نصرخ.. ياللهول، أى جحيم وقعنا فيه؟
اندفع نحونا وهو يشتعل.. تندلع النيران من جسده وتتأجج حول رأسه الذى يمكنك أن تراه وهو يذوب..
أخذنا نجرى حوله فى حلقات جنونية نحاول الهرب منه، حين تعثرت ووقعت على الأرض وفوقى منى، وعلى ما يبدو كان هذا أمرا مضحكا للغاية للشيطان الذى وقف ورفع رأسه عاليا يضحك بصوت رهيب فتنبعث النيران من فمه من صوت ضحكاته!
نظرت جوارى.. كانت هناك قطعة حديد كبيرة التقطتها وأزحت الفتاة الخرقاء، ثم انهلت بها على رأس (عبد الرحيم) فى ضربة حاولت أن تكون عاتية لكنها أطارت جلده فقط الذائب لتظهر جمجمته اللامعة وهى تحترق بشكل بشع..
تراجع للخلف خطوة..
لم يبد مصدوما أو متأثرا، إنما عاد فقط بفعل قوانين الحركة التى تحتم عودته عندما يصاب بضربة قوية.. كنت واقفا أفكر حين اختطفت (منى) العصا من يدي وهى تصرخ:
- لا تتوقف..
وانهالت بها على رأسه الذى انشق نصفين على الفور وكأنه بطيخة، فرفعت الفتاة العصا وانهالت بها مرة أخرى على نفس النقطة وهنا انغرست العصا داخل جمجمته مباشرة لتصل إلى منتصف رأسه ليصمت الشرير..
فى هذه المرة سقط على الأرض يتشنج بحركات لا إرادية.. الشيطان بالداخل ساخط لأنه فقد هذه الجثة..
كان يتمنى أن ينتهى منا الآن!
وقفنا نلهث.. حسنا، أنا لا أعرف ما الخطة التى كانت فى رأس هذه البلهاء.. هل أن ننتحر مثلا باستدعائه! لكننا أحياء وهذا هو المهم.. نظرنا للباب نفكر، كيف يمكننا أن نفتحه..
هل نستخدم الديناميت، أم نحاول كسر القفل بالعامود الحديدي؟

مهلا.. أنا اسمع صوتا من الخارج.. صوت ينادي اسمينا..
كان هذا أجمل صوت سمعته فى حياتى.. صوت (أحمد) و(إيمي)!
** ** ** ** **
خرجنا.. من حيث لا أعرف حصل (أحمد) و(إيمي) على المفاتيح، وعندما خرجنا عرفت من أين حصلا على المفاتيح عندما رأيت الكل مقيدين فى الخارج..
هذان الرائعان كيف فعلاها!
سرنا قليلا، وكان يبدو على وجوه الإرهابيين هؤلاء شتى أنواع الغضب والتبرم، لكن نحن المنتصرون..
خرجنا وسرنا نحو الخارج بعيدا عن كل هذا الجنون، اقترب مني (أحمد) وقال لى فى حماس:
- دعنى أريك شيئا..
لم أرد.. سرت معه نحو السيارة الرابضة قريبا لأجد الكثير من الأسلحة رائعة الشكل.. أعرف معظمها من خلال لعب (pubg)، لكنى أول مرة أراها فى أرض الواقع!
رفعت (منى) شيئا يشبه الماسورة العملاقة لها زناد من الخلف.. قالت:
- يبدو أننى وجدت شيئا يناسبنى..
قالتها وعبثت بشىء ما فى الخلف فانطلق من فوهتها التى كانت موجهة للسماء شىء خفيف بصوت خافت يشبه (بلوف) هكذا!
نظرت لها لائما وكدت أخبرها ألا تعبث بشىء لا تعرفه، قبل أن يدوى الانفجار عنيفا خلفنا مولدا موجة عنيفة كادت أن تطيح بنا!
كان الشىء هو مدفع قنابل لو لم تستنتج هذا بنفسك، فنهضت وأعادته للسيارة بخجل آسف!
أمسك (أحمد) مسدسا فاخر الشكل ومد يده به إلى (منى) وقال:
- أعتقد أن هذا ربما يبدو أفضل لك.. إنه مثل ما اخترته لنفسى.. أتدرين ما نوعه؟
- أعتقد.. مسدس أسود؟
- اعتقدت أنا أيضا هذا..
وضحك الاثنان.. هنا اقتربت منهما (إيمي) التى.. حسنا، لن اقول غيرة لأنك تعرف مشاعر الشباب فى هذه المرحلة العمرية، ثم قالت لـ(أحمد) بشىء من الدلال:

- أعتقد أن هذا السلاح يبدو جيدا عليك أنت..

نظر لها ببطء مذهول نوعا.. لو كنا فى فيلم رومانسى لظهرت قلوب وردية وحمراء فى الشاشة مع خلفية موسيقية تناسب كل هذا السخف!
وفجأة تصاعدت الصرخات من خلفنا.. الرجال المقيدون يصرخون فى عنف وهم يحاولون الزحف على الرغم من قيودهم.. صرخات مذعورة خائفة، ولا نميز شيئا محددا من كلامهم فالتفتنا ننظر فإذا بـ(عبد الرحيم) يعود إلينا بشكل ما! العصا ليست فى رأسه..
وعيناه البيضاوان تدوران بشكل غريب وسط جانبى الرأس المشقوق..
كان منظره جد مخيف وهو يصرخ بجنون واللعاب يتناثر من فمه المفتوح والدم يتناثر من رأسه المفتوح.. يجري فاتحا يديه نحو الرجال يبتغى أحدهم و..
فجأة - أمام أعين المقيدين - تمزق أمامهم إربا بفعل قوة الرصاصات التى أطلقناها عليه أنا و(أحمد) و(إيمي) و(منى) فى آن واحد..
كان منظرنا بطوليا بالتأكيد ونحن نرفع فوهات أسلحتنا تتصاعد منها الأبخرة البيضاء..
لحظات صمت.. صوت لهاث رجال البدو شاكرين حياتهم،
قبل أن أتوجه لزعيم الإرهابيين وأقول:

- أنت ترى.. نحن جميعا فى هذه الحرب فى جهة واحدة.. إذا لم نتحد فسوف تكون النهاية.. نحن لا نسعى لعداوتكم وعدونا واحد..

ثم أخرجت المفاتيح وألقيتها أمامه على الأرض وأردفت:

- هذه المفاتيح كى تفكوا أصفادكم، ونرجو فقط أن تتفهم كلامى.. إن اتبعتنا أو فعلت شيئا بحماقة فربما تنالون منا.. ولكن ثق أنكم لن تعيشوا كثيرا لتفرحوا بانتصاراتكم..

أومأ الرجل بعينين غادرتين لاتدرى ما الذى يدور خلفهما بالضبط.. تركته وعدت نحو الشباب وقلت:

- شكرا لكم.. أنتم جميعا لكم مكانة كبيرة فى قلبى.. أحسنتم العمل والتصرف، وأحسنتم بالبقاء على قيد الحياة إلى الآن.. وأرجو أن يستمر هذا الأمر..

ضحكوا وهم يتوجهون للسيارة.. ثم التفتت (منى) نحوى تسألنى عن شىء ما لكنى لم أكن خلفهم!

- (أحمد)؟

طبعا لم أجبها.. تلفتت أعينهم فى حيرة يبحثون عنى، أين أنا؟
لكنى لم أكن موجودا..

** ** ** ** **

8

لاتقلق، لم يحدث لى شيء غريب، ولم تختطفنى الشياطين!

كل ما هنالك، أني شعرت بالخطر على هؤلاء الفتية.. أنت سمعت بنفسك ماحدث، وتعرف أن حياتهم فى خطر بسبب مرافقتى..
لا يمكن أن أعرضهم للخطر أكثر من ذلك، لذلك قررت أن أنطلق وحدى بعيدا عنهم، ولنر ماسوف يحدث..
أنا أعرف مكان البيت أو الدير الذى يجب أن اصل إليه وحدى.. وهم عندما ييأسوا من إيجادي سوف يعودون أدراجهم.. والشياطين تتبعنى أنا فلن يصيبهم سوء..
أو هكذا أرجو!
المهم، تابعت طريقي.. جهاز تحديد المواقع يخبرنى أن الدير قريب من هنا حقا، ربما ساعة فقط من السير إليه..
لكن أحب أن أقول بعض الملحوظات الغريبة نوعا فى طريقى إلى هناك.. رأيت ثعلبا صحراويا ميتا، ثم حيوانا قارضا ما ميتا أيضا، وحيوانا آخرا متعفنا لا أعرف ماهو.. كل بضع خطوات أرى جثة ما، وكأن الموت يبسط جناحيه هنا..
لاشىء يمكنه الحياة فى حيط هذا المكان! يالها من حيوانات تعيسة ألقاها حظ عاثر فى طريق هذا المكان!
ولماذا أنا على قيد الحياة؟ أعتقد لأنى أكثر أهمية بكثير من أن أموت الآن طالما أنا أسمع الإرشادات وأسير نحو المكان الذى ينبغى أن أكون فيه الآن!
أكملت السير..
حتى لاح لى المكان فى الأفق..
ارتجف قلبى بين ضلوعى..
أنا عند المكان الذى عاش فيه راؤول بنفسه!
كوخ من الخشب والأحجار هو كل ماتبقى من المكان.. وجواره بقايا الدير القديم الذى تهدم بفعل القصف العدوانى من اليهود الأوغاد.. بدا وكأن الكوخ جوار جبل من الركام فحسب!
لا أعرف كيف كان منظره قديما لكن لابد أنه كان جميلا مليئا بالرهبان الذين يعملون ويصلون طوال الوقت، لكنه الآن يثير الألم والخوف والفزع بما لايقاس..
لابد أنه ملىء بكل شىء شرير ممكن!
لا أريد الاقتراب منه، وبكل تأكيد كنت أتمنى ألا أدخل إلى هناك وحدى خصوصا وأنى لا أملك فكرة واضحة عما يجب أن أفعله بالداخل، لكن..
ما باليد حيلة!

خطوة وراء أخرى أجرجر بها قدمى إلى أن وصلت لباب الكوخ..
باب الدير..
تشممت الهواء..
أسمع صوتا من خلفى..
مددت يدى ألتمس سلاحى والتففت فجأة شاهرا سلاحى كى أضرب النار لكنى توقفت فى آخر لحظة..
كانت (منى)!
- كيف أتيتِ إلى هنا؟
- كنت أتبعك.. لماذا ذهبت دون كلمة؟
- لا أحب الوداع، وبشكل ما ربما لا أعود من هنا.. هذه ليست معركتكم!
- أنت أحمق..
- وأنتِ كذلك، أين (أحمد) و(إيمي)؟
- لقد انفصلنا كى نبحث عنك.. هما فى مكان آخر ولكنهما سوف يعودان إلى هنا حتما!
- إذن أنت حمقاء أيضا!

ابتسمت ولم تعلق.. بصراحة شعرت بالراحة تغمر قلبي.. الرفقة البشرية مهمة حتى ولو من حمقاء كهذه!
التففنا ودخلنا إلى المكان معا.. فتحت الباب الخشبي القديم فانهالت الأتربة المتراكمة بفعل السنين.. لم يكن الباب موصدا وهو ما أثار تعجبي، ثم خطونا داخل بيت راؤول..
المكان يمتلىء بالطاقة السيئة، اشعر بهذا..
أشعر بالشر يتغلغل فى خلايى..
أشعر بالألم فى معدتى وأنى أريد فعل أشياء سيئة، لكنى طردت كل هذه الافكار من رأسى..
تمتمت ببضع آيات من القرآن الكريم فشعرت بالهدوء يغمرنى..
كل طاقة سيئة تبتعد عنى ساخطة تهرب من الذكر الحكيم.. ونظرت لـ(منى) فوجدتها تمتقع وعيناها تدوران..
المقت والغل والغضب يملآن ملامحها، فقلت بهدوء:

- لا تدعيه يؤثر فيك.. هذا المكان قاس وشرير.. إنه يمكنه التلاعب بك كما يشاء.. اطردى كل هذه الافكار من رأسك وتمتمى بما تحفظين من القرآن..

نظرت لى غاضبة وبدا عليها التفكير، ثم بدأت شفتاها تتحركان بالتلاوة، وبدأت ملامحها تسترخى شيئا فشيئا حتى عادت لطبيعتها.. لقد كانت تمر بوقت سيء فعلا، فقد هاجمتها كل الذكريات البشعة التى مرت بها بداية من موت صديقها أمام عينيها.. الخوف يملأ كيانها والألم يغزو قلبها، وتفكر بأشياء شريرة.. كانت تفكر أنى السبب ويجب أن تقتلنى وينتهى الأمر!

من (حسن) الحظ إذن أنى قمت بالكلام معها فى هذا الوقت!

تحركتُ قليلا فى المكان أستطلعه.. الغبار يكسو كل شيء بكميات كبيرة، فأخرجت الكتاب من معى ووضعته على منضدة قريبة..

- ماذا يوجد هنا؟
- لا أعرف.. أشياء شريرة فقط!
- وماذا سوف تفعل بالكتاب؟
- لا أعرف أيضا! ربما كان يجب أن أدفنه فى هذا المكان وارحل! انتظرينى هنا للحظات سوف أبحث عن مصدر إضاءة..

وقفت الفتاة تنظر للكتاب فى وجل.. هل يجب أن تخاف منه؟

وفجأة – بدون سبب - اهتزت المنضدة بقوة وسقط الكتاب على الأرض.. أجفلت (منى) واتسعت عيناها فى فزع.. كيف يمكن أن يقع؟

هناك أشياء لا يجب أن تبحث عنها كثيرا، لأنك ربما لن تصدق ما سوف تراه عيناك.. سوف ترى لو نظرت خلف المنضدة فستجد جدارا خشبيا، وخلفه الكثير من الفئران الصحراوية مصابون بحالة من الهياج.. وخلف الفئران تعبث ذراع مبتورة..

ذراع رأيناه منذ قليل لأنك تعرف..

إنها يد المجد!

ولكن شكلها يتغير..

تضطرب وكأن جلدها يغلى، وتتحرك بشكل يثير الغثيان..

يتساقط منها الدود بينما تزحف وتنمو بسرعة..

على المرفق ينشق الجلد لتظهر عين من الخلف..

يد المجد!

كيف يمكن أن ينتهى الموضوع على خير؟
لا أعرف!

** ** ** ** **

أخت نفسا عميقا وأخذت أنظر للمكان الذى يشعرنى بالاكتئاب.. الضوء القادم لا يريح عينى على الإطلاق، لكن كغالبية الأماكن التى توجد فى مناطق نائية لابد أن يحتوى على مولد كهربائى خاص به أو حتى مكان للاحتفاظ بالشموع والمشاعل.. يجب أن أبحث عن إحداهما..
طلبت من (منى) أن تنتظرنى قليلا داخل الكوخ إلى أن ألقى نظرة فى الخلف عن هذا المولد أو مصدر الضوء، فوافقت على مضض.. لا تسألنى عن سبب تفرقنا فأنا لا أعرف.. ربما لأنها رواية رعب فى المقام الأول يجب أن نفعل أشياءا غبية مثل هذا الشيء!
خرجت من المكان ودرت حوله لأجد كوخا صغيرا يخرج منه عدد من الكابلات.. أنا عبقرى!
فى حذر اقتربت رويدا رويدا من الباب ثم مددت يدى أدفعه، فلم أجد مقاومه منه هو الآخر.. كل أبواب هذا المكان تنتظرنى على ما يبدو!
فى الداخل كان المولد العجوز بانتظار أن يشرب بعض البنزين ليزأر مستيقظا من سباته الطويل..
ولحسن الحظ كانت أوعية البنزين متاحة للاستخدام لم تجف عبر السنوات لأنها كانت محكمة الغلق.. لا أعرف بصراحة ما إذا كان (بنزين) أم (جاز) أو (كيروسين) أو ربما هو شيء آخر.. بعض المتحذلقين يعلقون على مثل هذه النقاط!
المهم.. دخلت، وبدأت أسكب البنزين داخل المولد ثم بدأت أديره، وسرعان ما بدأ يهدر وكأنما لم يصمت فى حياته قط، وعندها سمعت الباب ينغلق من خلفي فى عنف!

** ** ** ** **

كانت (منى) تشعر بالخوف يخترق قلبها ويعبث به.. الأدرينالين يتدفق فى عروقها يكاد يحتل مكان الدماء، وقلبها يدق بشكل غير طبيعي..
أخذت تتجول وتزفر آلام قلبها عبر زفرات متقطعة، وهى تتأمل المكان المخيف والمقبض.. كان ذلك قبل أن تسمع صوتا ما قادما من خلف أحد الجدران.. اقتربت

بتوجس تحاول أن تسمع ما الذى يسبب مثل هذا الصوت لكنها لم تسمع أى شىء..
صمت الصوت تماما..
صمت كصمت القبور!
حتى الرياح فى الخارج صمتت، وبدأ الظلام يشتد أكثر فأكثر.. ياترى متى سيأتى الضوء؟
وفجأة أضاء المكان بصوت إزيز مميز قبل أن ينفجر أحد المصابيح القديمة..
رغما عنها صرخت وقفزت فى الهواء ثم أخذت تلهث.. مستوى الأدرينالين الآن ربما يسبب لها أزمة قلبية من فرط تدفقه..
وحانت منها التفاتة نحو الكتاب اللعين لتجده ينفتح..
الأوراق تتناثر وتنقلب وحدها رغم أن الجو صامت بلا أى دفقة هواء يمكن أن تسبب هذا.. إما أن هناك شبحا يعبث بالكتاب وإما أن الكتاب قد صار حيا مرة أخرى ويستعد للعبة من ألاعيبه، لكنها لا تعرف هذا!
لم تتحرك..
الخوف جمدها تماما، أعود لنفس مثال شعور الفأر الذى حاصره قط ولا يدري ماذا يفعل..
يأس..
تراجعت خطوة أخرى، حين انفتح الباب فجأة لأنقض عليها صارخا وأضرب رأسها بكل قوة لستقط على الأرض غير مصدقة لما يحدث!

** ** ** ** **

لم أكن أنا هذا المهاجم الذى يهاجم (منى).. أنا كنت أواجه كوابيسا أخرى!

** ** ** ** **

كنت أقف مرتجفا فى المكان المغلق أنظر تجاه الباب الذي انغلق وأستعد للمصيبة التالية، ثم في وسط الحجرة رأيت شيئا يتجسد..
ليس شيئا، بل شخص ما.. شخص يتلوى ويتراقص كأنما هو يتألم ألما شديدا، وللأسف أنا لا أرى إلا ظهره، ولكنه التفت فجأة لأرى..
(هشام)!
بنفسه!
وصرخ بكلمة واحدة قبل أن يذوب ويتلاشى تماما لأقف وحدى فى المكان..
قال لى :

- **اهرب!**

** ** ** ** **

طبعا لم تكن (منى) ممن يسهل مواجهتهم، فعلى الرغم من الضربة العاتية التى كادت تكسر جمجمتها إلا أنها تدحرجت بعيدا ونهضت لتتخذ وقفة قتالية تواجهنى بها.. لكنى كنت هائجا للغاية، فاندفعت نحوها أكيل لها لكمات هائلة تكاد تصنع تفريغ هواء من فرط سرعتها وقوتها، لكنها تفادتها بصعوبة وهى تنهال على جسدى بالركلات واللكمات.. لاحظت أن جسدى رخو زيادة عن اللزوم.. هذا جسد لا يمكن أن يكون متماسكا بأى حال من الأحوال، وله نفس الملمس الرخو للحم النىء الذى تشتريه من عند الجزار، فلا بد أنى صرت ممسوسا إذن!

احتدم القتال بينهما بشراسة.. الكثير من اللكمات الطائشة والركلات المجنونة! ثم وقعت عيناها على تمثال لشىء لا يمكن معرفته على الإطلاق، ولم تفكر كثيرا إنما أمسكت التمثال سريعا و..

طاننننننننننن..

تلقى شبيهى الضربة على صدغه وسقط على الأرض كجوال قمح غائبا عن الوعى! وقفت المسكينة تلهث وعيناها تدوران وتفكر فى الهرب من هنا حالا، لكن الشبيه تحرك واعتدل حركة خفيفة قبل أن يقول بصوت أجش:

- شكرا لك.. الأمور الآن على مايرام.. لقد رحل الذى كان بداخلى.. أنا الآن أفضل!

طبعا يخدعها، وهة تشك فى كونه يخدعها! لم تتحرك الفتاة وظلت متأهبة تنظر له.. لن تقبل خداعا جديدا، لكنه نهض مترنحا متألما، ثم جلس على مقعد قريب.. وبنفس الصوت الأجش:

- أنا آسف جدا.. لم أكن فى وعيى..

هل يمكن أن تثق به؟ كانت تفكر فى توجس، لكنه نهض واقترب منها قبل أن يستطرد:

- الآن أنا فى حال أفضل و..

التقط التمثال من يدها وانهال به على رأسها بضربة مفاجئة لم تستطع تفاديها على الإطلاق، فسقطت على الأرض فاقدة الرشد..

لحظات..

أفاقت بعدها لتجده يحملها.. لم تكن تستوعب ما الذى يحدث ولماذا يحملها ويسير..

خطوتان..
رفعت رأسها التى أنهكها الصداع تحاول أن تهبط من بين يديه، لكنه ألقاها على بضع أسياخ حديدية مثبتة على الأرض بحيث تبدو كحراب موجهة للسماء، وليزيد من تثبيتها دقها دقا فى تمثال خشبي مقلوب..
وكأن الوقت صار بطيئا، تشعر بنفسها تسقط، ثم اخترق المعدن البارد الصدىء ظهرها ليبرز من صدرها..
الألم أدار رأسها وصار التنفس صعبا وهى تنظر لصدرها فى رعب.. ستموت!
ضجك الشبيه ثم قال لها:

- لا تقلقى يا عزيزتى.. لحظات من الألم سوف تنتهى عما قريب.. ولو كان فى الأمر أى تعزية لك، فما تشعرين به الآن هو بالضبط شعور شريكك عندما كان يموت..
أراك فى الجحيم يا فتاة!

** ** ** ** **

أحيانا تكون الحياة قاسية بشكل لا يمكن تخيله على الإطلاق.. أن تموت هذه الفتاة فى ريعان شبابها على يد كائن لا يعلم إلا الله وحده ما هو لهو شىء قاس حقا..
بدأت المسكينة تلفظ أنفاسها الأخيرة بألم لا يمكن وصفه.. اخترقت الأشياء المعدنية المدببة رئتها وقلبها وأحشاءها فتلف كل شىء..
الأعضاء تعلن انهيارها ليبدأ الموت فى الاقتراب..
يحوم حولها ليحصل على صيد جديد..
والوغد يقف أمامها يصفر لحنا ما وينظر لها مبتسما وكأنما يستمتع بهذه اللحظات الأخيرة من حياتها!
فى حين كنت أنا (أنا الحقيقى) أقف فى المكان الذى كنت فيه لا أعرف ماذا أفعل تحديدا..
ظهور (هشام) المؤقت زلزلنى فعلا وجعلنى..
من جديد لا أعرف ماذا أفعل..
لقد رأيت للتو شبحا قادما من قلب الجحيم ويأمرنى بالهرب، بالله عليك لو أنك مكانى فماذا كنت سوف تفعل؟
خرجت من هناك بخطىٍ وئيدة وسرت نحو المنزل.. وبنفس الخطوات المشتتة دخلت وأخذت أنادى علىٍ (منى) بلا مجيب، إلى أن وقع نظرى على المنظر المروع عندما دخلت للحجرة الداخلية..

طبعا اختفى الوغد فور أن شعر بى قادما، بينما كانت الفتاة تلفظ أنفاسها الأخيرة.. صدرها يتحرك بجنون، وهى تجاهد لتلتقط نفسا بلا ألم.. وبركة دماء كبيرة تكونت تحتها معلنة انسحاب الحياة منها..
جريت عليها صارخا فى ألم أتساءل عما حدث، فسعلت بعض الدماء وقالت :
- أنت.. شبيه لك.. أنت..
- شبيه لى؟ ماذا تعنين؟
نظرت لى بألم وعيناها مغرورقتان بالدموع.. إنها خائفة.. الصعيرة المسكينة خائفة من الموت.. مددت يدى أمسك يدها واربت بالأخرى على رأسها أحاول بثها أى قدر من الاطمئنان، لكن رغما عنى فاضت عبرة من عينى سقطت على وجنتها لتختلط بدمائها.. سعلت مرة أخرى قبل أن يتراخى جسدها وتجمد عيناها للأبد..
ماتت (منى)!
نهضت من مكانى وعاصفة من الغضب الحزين تعصف بأعماقى.. ما الذى يريده هؤلاء بالضبط؟ أما يكفى هذا الأمر حتى الآن؟
فى هذه اللحظة دلف (أحمد) وفتاته من الباب ليفاجآ بالمنظر.. تساءلت (إيمي) فى صوت خفيض عما حدث.. هل تحولت أم أصابها مس أم ما الذى حدث بالضبط، لكنى لم أجب عليهما..
ثورة الغضب عصفت برأسى وانطلقتُ أبحث بغضب هادر عن الوغد..
بلا وعى كنت أصرخ :
- أين أنت.. أين أنت..
إلى أن انهالت على رأسى ضربة هائلة أسقطتنى أرضا.. ببطء التفتُ خلفى ممسكا رأسي فى ألم لأجد.. لأجد أنى واقف أبتسم!
يا الله..
لم أكن أتخيل أنى بهذه البدانة!
لا بد أن أهتم قليلا بطعامى.. تمالكت نفسى ونهضت من مكانى أستعد ثم بدأ الصراع بيننا..
انهالت اللكمات المتبادلة بلا رحمة.. كلانا يضرب ليتخلص من الآخر لا ليلقنه درسا، لكنى أعرف نقاط ضعفه لأنها نفسها نقاط ضعفى، ولكنه أقوى.. ركلات وضربات وكل مايمكن أن نفعله نفعله..
وعلى الباب وقف (أحمد) و(إيمي) ينظران بذهول لما يحدث.. أنا أقاتل أنا!

ترتفع أصوات صراخنا وقتالنا، قبل أن نمسك برقاب بعضنا والدماء تسيل من فمينا وكلانا يرغب فى قتل الآخر بلا أى رحمة!

** ** ** ** **

9

إن فكرة أن تواجه نفسك لهى فكرة كابوسية حقا!
أحيانا كنت أتمنى لو يعود بى الزمن لأقابل نفسى وأنا صغير.. أتخيل ماذا سوف يحدث لو أنى فى الجامعة ورأيتنى قادما بشعر أبيض وكرش لا بأس به أبدا.. نجلس معا فى مكان ما ثم أبدأ فى الحديث عن المستقبل.. حديث ودى لطيف..
ذات مرة رأيت فيلما عن شخص قابل نفسه عدة مرات وفى مراحل زمنية مختلفة..
لكن الأمر هنا كما لاحظت مختلف للغاية.. هذا الذى أمامى نسخة منى شكلا، إنما هو فى الحقيقة كائن شيطانى متجسد فى شكلي لهدف لا يعلمه إلا الله !

دعنا نتحدث عن هذا الأمر من وجهة نظر مختلفة ونعود للخلف بضع دقائق عندما دخل (أحمد) و(إيمي) فى بادىء الأمر.. لم يفهما ما الذى حدث بالضبط عندما وجدا جثة (منى) كما قلنا منذ قليل وتبادر إلى ذهنهما أنها ربما اصابها مس فاضطررت للتخلص منها، لكنهما سمعا دويا وصخبا يأتى من الداخل، ومن خلفهما انغلق باب المكان بعنف، لم يهتما عنما رأيانى أعبر من أمام الباب، ثم رأيانى أعبر من أمام الباب!

نعم.. كما قرأت بلا خطأ لأن هناك اثنان (منى) بالداخل كما تعلم، فأسرعا بالدخول ليجدانا نمسك برقبتى بعضنا نلهث وقد ازرق وجهانا من فرط الضغط.. اتسعت عيناهما فى ذهول بينما أطلق (أحمد) عيارا ناريا فى السقف لكى نكف أنا وأنا عن القتال ونقف متحضرين لبضع لحظات.. إنسان وشيطان على شكل إنسان.. نسختان متماثلتان تماما حتى فى الملابس.. حتى فى الحذاء ومافيه من بقع!

وقفنا نلهث للحظات.. ربما كان من الافضل أن أحكى من وجهة نظر (أحمد) لتفهم الموقف:

** ** ** ** **

دخلت مع (إيمي) لأجد اثنين يتقاتلان من نفس الشخص! كيف يمكن أن يكون هذا صحيحا؟ أصلا من منهما الحقيقى ومن منهما الآخر؟

طبعا لابد من التخلص من أحدهما.. علمنا الأستاذ (أحمد) أن لا مجال للتخلص من الشر إلا بالتخلص منه نهائيا! لكن كيف نحدد الحقيقى من الشيطانى؟

أخذت أنظر إليهما فى حيرة.. نسختان متطابقتان تماما، حتى أنى سمعت (إيمي) تتساءل عن أيهما الحقيقي.. وهنا بدأ أحدهما يرد:

- أنا هو الحقيقى.. هل ستسمعان كلام هذا الوغد الذى قتل (منى)؟
- بل أنا الحقيقى وهو الذى قتل (منى)..
- لا تسمعان لهذا الوغد واقتلاه فورا..
- بل اقتلاه هو.. (أحمد) أنت صديقى.. أنت تعرف أنى أعرف عنك كل شىء.. هل تذكر الفتاة التى أخبرتنى عنها؟ والأخرى أيضا؟
- ما هذا الهراء.. أنت تقول أى كلام.. هذا كلام عائم، أنتِ يا فتاة تعيشين فى قصر كبير.. أو كنتى تعيشين فى قصر!
- بوسع أى شخص أن يعرف هذا الأمر فهو ليس سرا.. اقول لكما شيئا.. اقتلانا نحن الاثنين!

- ماذا؟
- ماذا؟
- ماذا؟

كانت صيحات التعجب تخرج مني ومن (إيمي) ومن أحدهما.. كنا فى حيرة بالغة لاندرى أيهما نقتل، ولا أيهما هو الحقيقى.. وهذا الاقتراح العجيب.. أخذ أحدهما نفسا عميقا ثم قال بلهجة تحمل شيئا من التعقل وهو يشير بيده:

- نعم.. لو قتلتمانى فسيموت وربما تنحل المشكلة.. أرى أنه حل جذرى..
- لا لا لا.. اهدؤا جميعا، ليس هذا منطقيا.. إنه يريد أن أموت فقط و...

كنت قد حسمت الأمر، واشرت لـ(إيمي) أن تطلق النار على أحدهما، وسرعان ما انطلقت الرصاصات تفتك بأحدهما وترديه على الأرض قتيلا!

** ** ** ** **

أنت تعرف أنى لم أمت.. بما أنى أحكى هذا الكلام فأنا لم أمت طبعا، ولكن كيف؟ دعنا نرى طريقة تفكير هؤلاء الشباب، وسوف أعود لأحكى ما حدث!

** ** ** ** **

وقفت ألهث.. أنظر لجثة شبيهى التى مزقها الرصاص وأحاول أن أفهم كيف عرفا أنى أنا أنا؟ فسألتهما:

- كيف عرفتما أنى أنى أنا؟ أو أن أنا أنا؟

ابتسم (أحمد) قبل أن يقول:

- بسيطة.. أنت طبعا تتمنى الخلاص من كل شىء، وربما فكرت أن ترتاح من هذا العناء قليلا، أما هؤلاء الشياطين فيدافعون عن وجودهم على هذه الأرض بأى شكل.. ربما اقتراحك هو الذى حسم الأمر!
- فقط؟
- نعم فقط.. ألا ترى أننا تخلصنا من الشخص الصحيح على أى حال؟
- أنتما أحمقان.. وأنتِ ألم تفكرى فى شىء؟

نظرت الفتاة لـ(أحمد) وقالت:

- أعتقد أنه أفضل منى فى التفكير فى هذه الأمور..

هؤلاء الشباب حمقى.. أنا اقر أنهم حمقى.. نظرت إلى الجثتين (جثتى وجثة منى) فى تأمل، وفكرت.. يجب أن ندفنهما أو نحرقهما حتى لا يعودا إلى الحياة بشكل أو بآخر.. هكذا جمعناهما سويا، وبقلب ملىء بالحزن أضرمت فيهما النيران خارج المكان..

رباه، كم أنا وسيم! أليس خسارة أن تلتهم النيران كل هذه الوسامة؟
وقفنا ننظر للنار وهى تضطرم.. لا أعرف أهى ألاعيب النار أم أن الجسدان يتلويان ويرتجفان ويحاولان الحركة والزحف!
وقفا للحظات جوارى بينما النيران تهدأ.. رائحة الشواء اللعينة هذه! أن تشم رائحة الملابس المحترقة والشعر واللحم الذائب لهو شيء بشع..
أخذت نفسا عميقا..
للحق أصدقك القول أنى قد حزنت على (منى) فعلا.. ربما كانت حمقاء كما ذكرت مرارا لكنها كانت طيبة القلب..
تركتهما ودخلت للبيت كى أحضر الكتاب.. لم أكن أدري ماذا يجب أن أفعل به تحديدا لذلك قررت أن أدفنه فى قلب المنزل ثم أضرم النيران فى كل شيء.. إما أن ينتهى الأمر ونهدأ جميعا أو يزداد الأمر سوءا.. نفدت مني الأفكار ولم تبق إلا هذه الفكرة..
دخلت وحدى أبحث عن الكتاب بعينى.. كان ملقى على الأرض، ولفت نظرى تسرب خيط رفيع من الدماء إليه من حيث لاقت (منى) حتفها.. الدماء التى تحمل كل أسرار الحياة والغموض الذى لا نفهمه، والتى تسببت فيما سوف أحكيه حالا!
اقتربت من الكتاب، حين تحرك وجهه فجأة!
نعم.. لم أكن أعرف أنه قد صار متوحشا من قبل، ولهذا كنت متعجبا من الاصفاد التى كانت تقيده.. لم يخبرنى أحد بشيء وأنا لم أسأل، لذلك كان وقع المفاجأة على عنيفا للغاية..
الجلد الذى على غلافه تحرك وصار له عينان وفم يختلج عينان وفم يضيئان بلون النار، وبصوت لا يمكن وصفه قال:

- **لا!**

قفزت للخلف خطوة وأنا أكتم صرخة.. هذا كثير جدا بصراحة.. كلما ظننت أن كل شيء غريب فى الدنيا قد انتهى، يظهر لى شيء آخر.. ويستمر الكتاب فى الكلام:

- **ما تريد فعله خطأ.. أنت لا تعرف ما تريد..**

قلت وأنا أبتلع ريقى بصعوبة وأتقدم نحوه مرة أخرى:

- بالعكس.. أنت سبب كل المصائب..
- **يمكننى أن أجعلك أغنى رجل..**
يمكننى أن أجعلك رئيس العالم..

يمكننى أن أحقق لك أحلامك..

- بالعكس، أنا لم أر منك إلا كل شر، أنت أتيت ومعك كل شر..
- **لأنك لم تحاول.. تعلم منى، وسوف أقودك.. سأكون معلمك، وسوف تكون لى تلميذا نجيبا..**

انحنيت ألتقطه، وبحثت بعينى عن مكان لأضعه فيه ريثما أنتهى من الحفر.. لن يخدعنى بمثل هذه الكلمات البراقة.. هذا الكتاب شر صاف، ويجب أن اسرع فى مهمتى لأن كلماته تلعب فى رأسى فعلا وتثير في شتى أحاسيس الطمع.. أنت تعرف أحلام الثراء والمنزل الواسع المريح والمدارس الدولية..

أن أكون أشهر كاتب فى التاريخ..

ربما أستسلم؟

لذلك يجب أن أسرع قليلا!

** ** ** ** **

وفى الخارج.. كان (أحمد) يقف مع (إيمي) بينما انتهت النيران أو كادت، وأبخرة الجثتين تتصاعد بشكل مكثف.. التفت لها وقال:

- هل تظنين أن هذا الموقف سوف ينتهى على خير؟

نظرت له وقالت:

- وما قصدك بالخير؟
- أقصد أن نخرج من هنا أحياء.. أن نظل على قيد الحياة..

ابتسمت ولم تعقب وحولت نظرها للنيران الخامدة عندما لم تجد جثة منى!

شعرت بالانزعاج.. أين ذهبت هذه الجثة!

تلفتت حولها فى دهشة بينما لم ينتبه (أحمد) كعادة أغلب الرجال عديمى الملاحظة تقريبا، حين جاءته لطمة هائلة من الخلف أفقدته الوعى على الفور، وسمعت (إيمي) صوت الزمجرة لتلتفت وتواجه المنظر المخيف..

(منى) ذائبة الوجه والجسد محترقة الملابس والشعر تزمجر فى وجهها.. أطلقت (إيمي) صرخة وانطلقت تعدو..

فى لحظة نست أن معها المسدس، ولكن سرعان ما تذكرت والتفتت خلفها وهى ترفع المسدس.. لم تجد أى شخص خلفها.. فقط يبدو (أحمد) مستلقيا على الارض من بعيد بلا أى رد فعل، والأمور هادئة للغاية..

تلفتت حولها فى ذعر، أين يمكن أن تكون الشيطانة؟ فى لحظات لم تعد لديها أى قدرة أو سيطرة على جهازها العصبى، وصار الأمر فى غاية السوء.. لا يجب أن

تفقد ربطة جأشها الآن، وسمعت صوتا قادما من الأعلى، وما أن رفعت ناظريها حتى وجدت (منى) تهبط عليها من السماء لتطرحها أرضا فى عنف..
لهاثها البشع..
جسدها الساخن جدا..
رائحة الشعر والجلد الذائب..
أى بشاعة..
وتقريبا (منى) كانت تريد قول شىء ما لأن هذه الحشرجات لم تكن طبيعية على الإطلاق.. كانت (إيمي) فى وضع التجمد.. لا شىء يدور بعقلها على الإطلاق.. فقط هى بانتظار الضربة القوية القادمة والتى سوف تنهى كل هذا التعب والألم..
ذات مرة رأيت فهدا ينقض على غزالة يكاد ينشب أنيابها فيها، لكنه تراجع فى اللحظة الأخيرة وابتعد بينما ظلت الغزالة بضع لحظات فى مكانها بلا حركة تنتظر الموت.. كانت (إيمي) تمر بنفس الحالة تقريبا!
هل الموت يؤلم؟
رفعت (منى) يديها المتشابكتين بقبضة سوداء محترقة، واستعدت لتهوى بها على رأس (إيمي)، و..

طاااااخ!

لم تكن الضربة على رأس (إيمي).. كانت ضربة قوية أطاحت بـ(منى) بعيدا، وصاحب الضربة هو.. أو بالأحرى صاحبتها هى (كاميليا)..
وسرعان ما انقضت على (منى) تكيل لها اللكمات فى وحشية بالغة.. لم تتورع عن تهشيم جمجمتها بيديها المجردتين بضربة عاتية.. على الرغم من جمالها الفاتن إلا أنها كانت متوحشة بشكل لا يمكن تصديقه!
لكمة تلو أخرى تلو أخرى بلا هوادة، ثم أخرجت من حزامها السكين المنقوش.. ورغم الألم والوجه المهتك والجمجمة المحطمة إلا أن الذعر ظهر باديا على وجه (منى)..
- ما الذى يحدث؟
كان هذا صوت (أحمد) الذى نهض مترنحا يمسك رأسه، وكان هذا كافيا جدا لتختفى (منى) من الوجود عندما التفتت إليه (كاميليا) للحظات.. اندفعت بسرعة خارقة ولم تعد هنا!
بدا على وجه (كاميليا) الألم والضيق والغضب، ثم نهضت من مكانها ودست السكين فى حزامها مرة أخرى، وتحركت بلا كلمة نحو المنزل..

نحوى تحديدا!

** ** ** ** **

على باب المنزل كنت أقف.. تناهى لأذنى الكثير من الصرخات والحركة بالخارج، فخرجت لأستكشف، حين وجدت (كاميليا) قادمة نحوى..

(كاميليا)!

هذه المرأة التى.. أنت تعرف ما أعرفه عنها فلن أستطرد كثيرا فى هذا الأمر، لكنها قادمة وتحمل شرا فى عينيها الجميلتين..

- أين الكتاب؟

قالتها بصوت بارد يحمل الموت فى نبراته..

- ليس لك شأن بهذا..

قلتها وأنا أعقد ذراعى وأرفع حاجب التحدى..

- أنت لا تفهم.. هذا الكتاب هو أصل كل ما يحدث.. يجب أن ننتهى منه فورا.. أين هو؟
- سوف أنتهى أنا منه.. ألا يمكن لامرأة مثلك أن تثق برجل؟
- لا يمكن.. أنت لا تفهم وتكابر لأنك عنيد فقط.. ربما لو سمعت كلامى لوجدت الأمر يستحق العناء..
- سوف أدفنه حيث لا يعرف أحد مكانه..
- وكيف تضمن ألا يعود؟ ألا يمكن أن تحفر الشياطين الأرض وتصل له؟

اللعنة.. لديها منطق لا بأس به أبدا.. الحقيقة أنى لا أعرف الرد، فقلت:

- ربما.. ولكن..

قاطعتنى وهى ترفع خنجرها:

- لا يوجد لكن.. هذا هو السبيل الوحيد وأنت تعرف هذا.. خنجرى ينهى وجود كل شىء وأى شىء.. أنت تعرف هذا وهم يعرفون.. أخرج الكتاب الآن ودعنا ننتهى من هذا الأمر!

نظرت لـ(أحمد)، لأجده يشير إلى من طرف خفى أنه يوافق.. وكذلك فتاته.. يبدو أن الجميع متفقون على أن نهاية الكتاب يجب أن تكون على يد (كاميليا) إذن..

ربما يجب أن أوافق!

لم أتفوه بكلمة، وإنما دلفت للمنزل فى غيظ.. هل اعترتنى مشاعر غيرة طفولية قليلا؟

ربما!

** ** ** ** **

فى الداخل أخرجت الكتاب من المكان الذى وضعته به.. كنت قد وضعته خلف صورة معلقة على الجدار مؤقتا لحين أعرف ما الذى يحدث بالخارج.. أعرف أنه مكان سخيف لكنه المكان الوحيد كما ترى.. ألا ترى أنه لا يوجد أى مكان غيره؟
وضعت الكتاب على منضدة قريبة، ونظرت لـ(كاميليا) أتأمل وجهها الجميل..
كانت ترفع حاجبا هى الأخرى وتعلن تحديها لى، ثم قالت بنبرة متهكمة:

- لو أنك لا تثق بى، فكل ماعليك أن تقوم به بنفسك.. خذ السكين ونفذ ما سوف أقوله لك بدقة..

للحق أنا كنت لا أثق بها على الإطلاق فلم أمانع؛ لذلك مددت يدى بحذر وأمسكت السكين.. ياله من شعور غريب عندما تحمله بيدك..

- عليك أن تقطع ما يشبه الوجه.. وجه الكتاب يجب أن ينزع منه..

- لا!

كانت هذه من الكتاب نفسه كما أنك لاحظت! وبعدها أجفل الجميع وهم ينظرون تجاه الكتاب فى ذعر، فابتسمت وقلت:

- نسيت أن أقول لكم أن هذا الشىء صار ثرثارا فجأة.. لا أعتقد أن كتابا يتكلم يثير استياءكم فى هذه المرحلة.. لقد رأيتم ماهو أسوأ.. لا تخافوا..

- خطأ.. أنت ترتكب خطأ..

- بل أنا أصحح الخطأ!

قلتها وأنا أغرس طرف السكين فى جلد الكتاب الخارجى، والذى – صدق أو لا تصدق – نزف دما! لكنى لم أتوقف، وإنما بدأت أسير بطرف السكين على الأطراف لأقطع الغلاف الخارجى وسط صرخات مروعة من الكتاب وكأنى أقطع وجه إنسان حقيقى، وسرعان ما كانت قطعة الجلد فى يدى وألقيت بها بعيدا على الأرض، وتحتها تبدت فجوة دامية.. أهذا الشىء كائن حى؟ أأنا كنت أحمله طوال الوقت معى وفى بيتى؟
كيف!

- والآن ناولنى الكتاب من فضلك..

حملت الكتاب وأعطيته للفاتنة الواقفة التى تسلمته بلهفة وفتحت صفحة معينة وبدأت تقرأ..
ومعها بدأ كل شىء يرتجف..
البيت والأرض..

كل شيء حرفيا، وكأننا نتعرض لموجات هائلة من الكهرباء الإستاتيكية، وبالفعل شعرت بأحشائى تتقلص..

- أنا لا أحب ما يحدث..

كانت هذه (إيمي).. فى الواقع أنا أيضا أشعر أن الأمور ليست على مايرام، ولكن (كاميليا) أخذت تكمل وتكمل..

- (كاميليا).. هل أنت تسيطرين على الكتاب؟ هل تقولين التعاويذ الصحيحة؟

نظرت لى بابتسامة تحمل شرا ومكرا كبيرين ثم قالت:

- أنا أعرف كل حرف هنا.. فأنا أصلا من كتبته!

** ** ** ** **

دودة الكتب حرامية

10

حسنا.. فى بعض الأحيان تدور الأحداث من حولنا بطريقة تشبه الأحلام نوعا.. ليست بوضوح كاف لتقييم الأمور، ومع ذلك أنت ترى وتشعر بكل شىء.. هذه لحظة من لحظات الحلم هذه!

دعنا نرتب أفكارنا قليلا.. ماذا تعنى هذه المرأة الجميلة بجملتها التى أدارت عقلى؟

هى أصلا من كتبت الكتاب؟

كيف!

كنت أتابع مثل من حولى ما يحدث حين طار الغلاف الجلدى من على الأرض فجأة ليلتصق بوجه أحمد فى قوة بالغة حتى أنى سمعت صوت اللطمة على وجهه، طار على إثرها ليقع على الأرض إثر الصفعة الغادرة.. نظرت نحوه وأنا أهتف باسمه بينما لم تنتبه (كاميليا) لهذا الأمر من اساسه واستمرت تتلو تعاويذها الغامضة..

(أحمد) يصرخ ويتلوى على الأرض يحاول انتزاع القناع الجهنمى من على وجهه، وبالقرب منه تحاول (إيمي) بذل قصارى جهدها كى تنزعه عنه أيضا..

وفجأة اعتدل لا يبدو من وجهه غير عينين حمراوين بلون الدم يصيح فيها بصوت أجش غليظ أن تبتعد عنه!
لقد استحوذ عليه شيء ما.. صاحب الكتاب الأول ربما؟
كنت اشعر بتوتر بالغ وعجز تام.. ليس أمامى إلا أن أنتظر الساحرة التى تتمتم حتى تنتهى مما تتمتم به وأدعو الله ألا يكون ظنى خاطئا بشأنها.. لابد أن ينتهى كل شر بمجرد انتهائها.. هكذا وعدتنى!
ثم - لتزداد الأمور لطفا - انفتح باب الكوخ لتطير منه (منى) مثل سوبر مان فى الهواء.. شكلها بشع وهى ذائبة الوجه.. رائحتها بشعة أيضا، وهى تصرخ بأشياء غير مفهومة وتشير نحوى مباشرة.. لابد أنها تتكلم لغة الشياطين.. اللاتينية على ما أظن؟
فى نفس الوقت أطاح (أحمد) بـ(إيمي) التى كانت تحاول مساعدته فى ضربة قوية للغاية أفقدتها الوعى على الفور..
(منى) البشعة تصرخ وتقترب منى ثم تمسك بى من رقبتى لترفعنى فى الهواء ليقترب وجهى من وجهها.. وتلتمع فى عينيها شهوة الموت..
بصعوبة أدفعها بعيدا، ولدهشتى فإن قبضتها القوية ارتخت عن عنقى، وكأن الأعصاب المتدمرة إثر حرق الجسد تأثرت! هل تعمل الشياطين بقوانين الأجساد؟
سقطت ثم تدحرجت على الأرض مقتربا من المنضدة التى كانت عليها سكين (كاميليا)، ونهضت ممسكا إياها بقوة، ثم وبكل قوتى انقضضت عليها لأغرسها بين عينى (منى) مباشرة..
صرخات صرخات..
وارتجافات تلو ارتجافات..
قبل أن تهمد أخيرا وتسقط جثة هامدة للمرة الثالثة!
لقد قتلت هذه الفتاة مرتين وحرقتها مرة!
أعتقد أن هذا يكفى جدا..
ومن طرف الحجرة تململت (إيمي) من رقدتها وتحاول النهوض..
مسكينة.. رأت فى وقت قليل مالم تتخيل وجوده فى حياتها بالكامل.. نهضت وجلست على الأرض بإرهاق واضح وهى تضع يدها على جبهتها.. لابد أنها أصيبت بارتجاج فى المخ يصاحبه صداع أسطورى..
قلت لها:

- (إيمي).. أريد أن تنتظرينى هنا قليلا..
- لماذا؟

تلفت حولى لأتأمل فى المكان الخالى.. لابد أنك لاحظت أن (كاميليا) و(أحمد) قد اختفيا من المكان أثناء معركتى مع (منى).. ولا بد أنك لاحظت مثلى أن باب المكان مفتوح، فلا بد أنهما قد ذهبا للكوخ القريب الذى فيه المولد لأن الصحراء المحيطة لا تحتوى على أى مكان آخر يمكن الذهاب إليه..

قلت لها هذا الكلام فرفضت أن تتركنى فى عناد سخيف.. أإنا لست فى مزاج يسمح بالنقاش، ويبدو أنى لم أعد أهتم بشىء تقريبا، لذلك لم أتجادل معها كثيرا، وإنما التقطت سلاحى والسكين وخرجت..

بضع خطوات فى الصحراء ثم ألقيت نظرة على باب الكوخ الذى يحتوى على المولد..كان مفتوحا.. ودون كلمة أكملت طريقي ودخلت الكوخ الصغير لأفاجأ بـالمشهد التالي:

فى الداخل انزاح جدار كامل واختفى لا أعلم أين، ليظهر من خلفه فوهة كهف أسود اللون بلا أى معالم! ولكن صدقنى أنى لم أندهش.. لم يعد هناك شىء فى الكون قادرا على إثارة دهشتى.. هذه رفاهية لم أعد أملكها، فلو أن (سوبرمان) نفسه بصحبة (تان تان) و(ميكى ماوس) و(الكونت دراكيولا) تجمعوا حالا أمامى لتحيتى لشعرت بالملل قليلا!

نظرت لـ(إيمي) لأجدها خلفى تسير بتعب.. إنها مازالت تريد المساعدة بحماقة متناهية النظير.. عدت أنظر للكهف والتقطت نفسا عميقا ثم توجهت إليه..

خطوة تلو خطوة، أشعر بهواء بارد يأتينى من الداخل.. إنه هواء يثير القشعريرة فعلا، ومع ذلك لم أهتم..

ثم، ومع أول خطوة إلى داخل الكهف تلاشت الأرض فجأة من تحتى لأسقط من حالق!

اتسعت عيناى عن آخرهما.. لم أجد الوقت لأصرخ حتى، أغمضت عينى بقوة بانتظار الصدمة حتى شعرت بالفراش يهتز من تحتى هزة خفيفة!

لحظة..

فتحت عينى بهدوء.. المكان مظلم وأنا فى حجرة نومى..

حجرة نومى..

حجرة نومى؟

كيف هذا!

نظرت جوارى لأجد زوجتى نائمة كعادتها.. مددت يدى أهزها ففتحت عينيها فى غضب ثم انقلبت دون كلمة.. نهضت من فراشى كالملسوع.. أين أنا؟
بيتى وحجرة نومى؟ بل أنا أرتدى منامتى المفضلة أيضا؟
لا يمكن إنه..
لحظة! أنا زدت عشرة كيلو جرامات على الأقل على هذه المنامة ولم تعد تصلح لى.. كيف أرتديها الآن؟
إنها لم تعد مناسبة لى بحال..
أنا أهلوس..
صرخت : كفوا عن هذا الهراء.. أنا أعلم أنى لست فى وعيى..

- طبعا لست بوعيك..

جاءت الجملة من خلفى.. التفت لأجد (كاميليا) جالسة بدلا من زوجتى.. فى الواقع كانت ملامح زوجتى تنذاب من على ملامح (كاميليا).. هل كانت هى زوجتى طوال الوقت؟

- أنت هنا فى بيتك وجوار زوجتك.. أى شىء أروع من هذا؟

ثم نهضت من جلستها وسارت بدلال نحوى، وعطرها المدوخ يعبث برأسى..

- فكّر.. أنا أريد اشياءا ليس لك بها شأن، وأنت.. يمكننا أن نعقد هدنة صغيرة للأبد.. أنت ترغب فى المال والشهرة وأنا بإمكانى تحقيق هذا لك.. فكر.. الشباب الأبدى لو أحببت.. كل ماريده مقابل أن تبتعد عن طريقى..
- وماذا تريدين أنت؟
- وما شأنك؟ ربما أريد حكم العالم أو أريد بيتزا من الجحيم.. فكر.. مستقبل مشرق لك ولأطفالك لو أحببت.. أموال أكثر مما تحلم بها.. كن حاكما أو كن ممثلا شهيرا.. المال والوسامة والخير..
- وهل يمكننى أن أثق بك؟
- طبعا..
- مستحيل!

قرنت كلمتى بأن غرست السكين بكل قوتى فى رقبتها! من أين أتيت بالسكين؟ تخيلته طبعا.. ألم يقل لى الساحر أنى أستطيع تخيل ما اشاء عندما تدور المعركة فى أرض عقلي!

تجمد الموقف للحظات قبل أن يهتز كل شيء وينهار فجأة.. صرخت (كاميليا) وانتزعت السكين بغضب هادر وعيناها..
رباه عيناها..
عيناها..
أعوذ بالله القدير من الشيطان الرجيم! ما هذا؟!
اختفت الموجودات لأسقط على أرضية الكهف المليئة بالحصى وقد اختفت السكين من يدى..
يارب ساعدنى.. إنها بالغة القوة!

** ** ** ** **

نهضت من سقطتى المؤلمة أنظر خلفى للفتحة التى سقطت منها للتو، فلم أجد أى فتحات! الكهف مغلق من خلفى وكأنما خلقه الله هكذا من ملايين السنين.. لابأس! لن يكون هذا أسوأ شيء حدث ولا أغرب شيء!
أخذت نفسا عميقا وحاولت تحديد معالم الكهف الذى أنا فيه كي أحدد اتجاهي وإلى أين سأتجه حين شعرت بحركة واضحة خلفي! (لماذا تأتي الأشياء الشريرة دوما من الخلف)!
درت بجسدي كله لأنظر خلفى فوجدت (شيئا) ينظر لى!
أقول شيئا لأنى لا أجد وصفا مناسبا.. حسنا، هو أشبه بطفل صغير أصلع وعار تماما من أى ملابس، لونه رمادى، وتوجد فجوتان سوداوان مكان عينيه.. رأيته للحظة واحدة قبل أن يختفى من أمامى هاربا.. هلوسة؟
لا أظن..
يجب أن أكون حذرا!

** ** ** ** **

فى الخارج كانت (إيمي) ترى أشياءا غريبة.. رأت دماءا تسيل من منتصف فتحة الكهف! بعبارة أوضح رأت دماءً تسيل من الهواء بلا أى سبب، ثم تتشكل فى الهواء لتصنع أشكالا مخيفة قبل أن تتلاشى كما لو كانت دخانا!
ثم تعود الدماء من البداية لتتشكل وتسيل وتصنع أشكالا مخيفة!
كانت ترتجف من فرط الخوف ولا تعرف ما الذي تمر به، هل هو حقيقة أم هلوسة، لكنها قررت الانتظار.. ربما كان من الحكمة أن تهرب؟
وأنا..
كنت أفكر بينما أسير فى الكهف المظلم الجاف..

ربما كان من الحكمة أن أقبل عرض (كاميليا) أو عرض الكتاب ولأبتعد بنفسي ومن يهمني أمرهم عن كل هذا الهراء.. ما دخلي أنا بكل ما يحدث، والذي يبدو جليا أنه أكبر من قدراتي.. أما يجب أن أقبل عرضا من العروض ثم أعيش سعيدا بقية حياتي؟ أما يجب أن أهتم بنفسي قيلا، ثم أترك الجميع يهتمون بأنفسهم!
لو راجعت رحلتي فستجد أني لم أنقذ أحدا تقريبا.. طريقي معبد بالجثث والموتى!
لكن..
ربما أنا أحمق بشكل لا يمكن تصوره لكى أرفض!
نفضت هذه الأفكار عن رأسي لأكمل طريقى فلا حل آخر..

** ** ** ** **

كيف يمكن أن أساعده؟
كانت (إيمي) تفكر فى ذلك والحيرة تلتهم كيانها التهاما..
كيف يمكن أن تساعدنى وتنقذ (أحمد) من براثن الكتاب المتوحش.. أخذت تنظر نحو مدخل الكهف المظلم بضع لحظات..
هل تدخل أم.. مهلا، ما هذا الصوت؟
صوت خربشات واحتكاكات قادم من الفوهة المظلمة، وكأن هناك شيء عملاق يزحف.. وصوت زئير أيضا!
رفعت سلاحها مرتجفة.. رباه كم كانت قوية عند وجود الرجال حولها لكنها الآن هشة ضعيفة بلا حول ولا قوة.. كيف يمكن أن تواجه هذه الكيانات؟
أخذت ترتجف والصوت يتعالى رويدا رويدا، ثم لم تستطع أن تتحمل أكثر فانطلق إصبعها يعتصر الزناد اعتصارا مطلقة دفعات من الرصاص تلاها صمت تام قبل أن يسيل خيط رفيع من الدماء قادما من فوهة الكهف.. دم أحمر بشرى للغاية.. انتبهت فى هذه اللحظة إلى أنها قد تكون أصابت شخصا تعرفه.. أنا أو (أحمد)! بدأ الذعر يستولى عليها أكثر وأكثر..
لهاثها يتعالى وتشعر وكأنما هى على وشك الإغماء!
تراجعت للحظات، قبل أن تشعر بباب المكان ينفتح من خلفها ببطء.. من الذى يأتى من خلفها بلا أدنى صوت؟ سرت قشعريرة باردة فى جسدها مع الهواء البارد الذى ضرب عنقها، والتفتت للخلف ببطء لكن..
اصطدمت عيناها بالباب المفتوح فقط.. ولا يوجد أي شخص بالقرب من الباب!
أتراه انفتح بفعل الهواء؟

سارت خطوتين مرتجفتين تبحث عن سبب منطقى لفتح الباب، حين شعرت بنفسها تطير عبر الباب لتسقط خارجه قبل أن ينغلق الباب عليها بعنف من تلقاء نفسه!
الكوخ نفسه لا يريدها فيه!
** ** ** ** **
أما أنا فكنت فى حال غريبة..
لا مشاعر على الإطلاق من داخلى..
لا خوف ولا حزن ولا أى شىء..
ولا حتى أمل فى الحياة، ربما لو مت الآن فلن أهتم..
فقط أرجو أن تنتهى كل هذه الأمور سريعا قدر الإمكان..
لا أريد إلا أن يتركونى وشأنى فحسب!
رفعت هاتفي أضىء به المكان وأسير.. الظلام يكتنف المكان لكنى أسمع أصواتا من بعيدة..
صوت أجش، وصوت شخص يتألم..
صوت (أحمد) يتوسل لأن يموت وينتهى.. ما الذى يحدث؟
- سوف تموت عندما ننتهى.. لا تقلق.. سيتحررون ثم تموت!
هذا صوت (كاميليا)! ما الذى تتكلم عنه هذه المرأة؟
سرت خطوات نحو الصوت القادم من بعيد.. كأني أسير في نفق ينتهى بانحناءة حادة، وهناك نظرت من طرف خفى لما يحدث.. المكان عبارة عن كهف يشبه الكرة، غير واضح المعالم، وفي الأركان تترقرق أضواء الشموع.. مددت عنقي لأفاجأ بالمنظر الذى تعرف أنه دموى وشنيع حتما.. (أحمد) على يديه وقدميه ممزق الثياب متشنج الجسد وكأنما يقيء شيئا، وعلى ظهره تتضح علامات جروح غائرة، وأمامه بركة دماء مخيفة وكبيرة بشكل لا يمكن أن يكون هو مصدرها بأى حال من الأحوال.. كان يتألم، بينما تغمس هى السكين فى دمه وتكتب به شيئا على ورقة من أوراق الكتاب.. لكن كيف وصل إليها السكين وهى قد رحلت من دونه؟ لهذا أكره ألاعيب السحر والسحرة!
المكان يتماوج بضوء برتقالي رقراق نتيجة النيران التى لا أعرف مكانها على الإطلاق.. للحق بدت (كاميليا) جميلة كما لم تبد جميلة فى حياتها أبدا..هذه المرأة خلقت كى تكون ساحرة!

ما أن انتهت من الكتابة حتى قطعت الورقة من الكتاب وكورتها بشكل صغير للغاية، قبل أن تدسها دسا فى فم (أحمد) الذى لا يملك القدرة على الاعتراض فيما يبدو.. القناع على وجهه يتماوج وعيناه تضيئان..
أخذ جسده يتشنج ويزوم ويرتجف قبل أن يفتح فمه صارخا بصوت مكتوم.. إنه يتألم بعنف، ثم بدأ يقيء على الأرض شيئا.. شيئا طويلا كبيرا لا يمكن أن تصدق أنه يمكن أن يخرج من جوفه، وسرعان ما كان على الأرض متكوما.. لكى أقرب لك الصورة، فما خرج من فمه أشبه بكيس جلدى كبير يتحرك ويتموج وكأن بداخله شيء ما، وكان يكبر وينتفخ باستمرار!
أخذ ينتفخ وينتفخ والملامح التى بداخله تتضح أكثر فأكثر.. ملامح جسد طفل؟
هل اتخذت اللعينة (أحمد) كمعبر لعبور شيء ما إلى هنا؟!
رباه.. كيف أتصرف!
كيف!

** ** ** ** **

كان (أحمد) يجلس منهك القوى فى حين بدأ الكيس يتمزق وينفتح، ومن داخله ظهر الجسد.. لحظات من التخبط قبل أن ينتصب من كان بالداخل واقفا! أشبه بطفل صغير، له نفس الوصف الذى وصفته من قبل..
وقف الكائن أمام (كاميليا) التى أخذت تتمتم بأشياء لا أفهمها، ومالبث الطفل الشيطانى أن انطلق غائبا فى الظلام من خلفها ليفعل ما قد أمرته به توا.. لم أفهم شيئا من كلامها له.. عدت أنظر وأفكر:
هل من المناسب التدخل الآن أم أن هناك المزيد من هذا الشيء فى جوف (أحمد)؟ وهل يوجد بعضهم في القاعة؟ وما مدى قوتهم بالضبط؟
أنا لا أرى القاعة بأكملها ولا أعرف ماذا ينتظرنى..
يجب أن أتخذ القرار..

** ** ** ** **

فى نفس اللحظة كانت (إيمي) فى الخارج تضرب الباب كالمجنونة.. جربت أن تطلق النار على الباب لتكتشف أن سلاحها فارغ.. أخذت تصرخ وتضربه بقدمها، ثم حملت حجرا وضربت به الباب فى عنف..
فجأة انفتح الباب بعنف حاملا معه سيلا من الدماء ارتطم بوجهها وأغرق ملابسها وأسقطها على الأرض.. مسحت الدماء عن عينيها ونظرت جوارها لترى.. رأس (منى)!

رأس (منى) جوارها ينظر لها بملامح بشعة ذائبة، لاتدرى متى جاء إلى هنا ولا كيف، قبل أن يتحدث بصوت أجش:

- **أنتم.. سوف تفشلون.. كل ما تفعلونه لا جدوى منه..**

وكأن الكوخ أعجبه كلام الرأس، إذ أن الباب والنوافذ أخذت تنفتح وتنغلق، وكأن المكان أصابه الطرب أو كأنه يضحك من هذا الكلام..

- **سوف تموتين.. وكلاهما سوف يموت إن لم يكونا يحترقان الآن فى الجحيم.. كلكم موتى بالفعل.. اهربى بحياتك يا فتاة..**

صرخت (إيمي).. لم تصرخ من الخوف وإنما لأن الكيل فاض بها، ونهضت صارخة لتركل الرأس فى عنف قبل أن يتصاعد الألم بغتة لرأسها من ألم قدمها التى ركلت صخرة صغيرة ولم تكن رأسا!

اختفت الرأس واختفت الدماء وحل محلهما الواقع الكئيب فحسب..

هلوسة؟

متى ينتهى الخيال ويذوب ليبدأ الواقع فقط!

لقد تعبت!

** ** ** ** **

كنت أقف أنا فى الداخل أحاول اتخاذ قرار حين شعرت بحركة من خلفى (أصابك الملل أليس كذلك؟)، التفت لأجد أحد هذه الاشياء ينظر لى مباشرة بلا عينين.. إنه يملك تجويفين اسودين فحسب.. وقفت أنتظر بضع لحظات لكنه لم ينتظر، فتح فما واسعا للغاية وصرخ صراخا حادا ثم انقض على بقوة.. قفز على كتفى وعضنى عضة رهيبة مؤلمة للغاية.. أسنانه حادة كأسنان المنشار، فمددت يدى أجذبه بعنف وألقيه بعيدا، لكنه أمسك بيدى وتشبث بها.. إنه قوى هذا الوغد، فمددت يدى الأخرى ووضعت إصبعين فى عينيه لكن اصطدمت بشىء فى الداخل.. جذبت إصبعى لأجدهما ملوثين بالسواد!

ليست هذه كائنات عادية على الإطلاق!

دفعته بركلة من قدمى ثم صوبت نحوه سلاحى وأطلقت النار!

انفجرت رأسه وسقط الجسد هامدا.. ومع صوت انفجار الرصاص الذي لابد وأنهم سمعوه، أعتقد أن الاختباء الآن لم يعد متاحا!

** ** ** ** **

وفى الخارج كانت (إيمي) قد وصلت للحضيض.. أعصابها صارت ملتهبة وأيقنت أنهم خسروا! أيقنت أن كل شىء انتهى!

لا تعرف ما الذى دفعها للقاع النفسي، لكنها وصلت إليه بعنف، وقررت أن تنهى كل شىء..
دلفت لباب الكوخ الذى انفتح وحملت أحد أوعية الوقود وجرته للخارج، ثم بحثت عن شىء يصلح لإيقاد النار.. ماذا يمكن أن يوجد هنا أفضل من الثقاب؟ ولماذا يوجد ثقاب هنا أصلا؟
أخذت تسكب الوقود على الجدران وعلى كل شىء، ثم خرجت ونظرت للمكان..
ابتسمت ابتسامة مريرة بعينين مغرورقتين بالدموع قبل أن تشعل أعواد الثقاب..

** ** ** ** **

مع ارتفاع ألسنة النيران بدت (إيمي) وكأنها أصيبت بالجنون تماما.. أخذت تصرخ وتقفز فى مكانها وتتراقص.. الألم يملأ جوانحها لكنها بلا وعى تصرخ وتصرخ وتصرخ.. لكن جدران البيت بدأت ترتجف.. يسيل عليها سائل أسود ثقيل كأنه دم متخثر، ثم انفتحت الأبواب والنوافذ وكل مداخل البيت..
رائع!
لم تنتظر ثانية أخرى، بدون تفكير اندفعت إلى المنزل بيدها بلطة كانت ملقاة على الارض لا تدرى من وضعها هناك ولا متى التقطتها.. فى لحظات مثل هذه يمكنك أن تفهم شجاعة المحاربين القدامى فى الحروب وانقضاضهم على الأعداء بلا خوف.. لا توجد أى مشاعر على الإطلاق، فقط رغبة عاتية فى إنقاذ من يمكن إنقاذه..
فى الداخل كان الدخان يفعم المكان ولكن ليس بالقدر الذى يمنع الرؤية.. مازال بإمكانها التحرك والتنفس.. أخذت تبحث يمينا ويسارا عن شىء يمكنها فعله إلى أن لاحت لها الفتحة التى دخلت أنا منها إلى هذا المكان اللعين، وعلى الفور انطلقت تعدو تجاهنا!

** ** ** ** **

كنت أقف خائفا أحاول التقاط أنفاسى لكن أمرى قد انكشف على كل حال ولاجدوى من الاختباء، لذلك اقتحمت المكان أنا الآخر صارخا.. نظرت (كاميليا) المتوحشة نحوي بعينين مظلمتين تماما وهى تصرخ لكن لم أمهلها..
أطلقت سلاحى نحوها على الفور.. مرة تلو أخرى وصرخاتها تفعم أذنى.. ليست صرخات بشرية أو إنسانية؛ إنما صرخات امرأة متوحشة ممسوسة.. مثل الصرخات البشعة التى تسمعها فى أفلام الرعب وكأنها تقوم بقليدهم!

حانت (منى) التفاته نحو (أحمد).. كان فى حال سيئة.. عيناه تدوران حول محجريهما وفمه يقطر دما.. يبدو لا يستطيع الوقوف على قدميه، كما يبدو منهارا للغاية..
نظرت لـ(كاميليا) الساقطة على الأرض، وتأملت فى الفجوات الدامية التى صنعتها فى صدرها بسلاحى.. يجب أن تموت الآن، ولكن الأمر ليس بهذه السهولة.. فكرت أن أضع رصاصة أخيرة بين عينيها ربما تموت.. لكنها كانت تحرك شفتيها بشىء ما..
تتمتم..
ما الذى تقوله هذه المرأة؟
لم أهتم ورفعت سلاحى حين.. انقض على (أحمد) بقوة مهولة من ظهرى لأسقط على الأرض مندهشا وأنظر إليه!
لا يبدو أنه يفهم أو يعى أى شىء.. عيناه مثل عيون الضباع الميتة بلا أى مشاعر أو أحاسيس.. آلة قتل لا تريد سوى موتى!
نهضت بسرعة من مكانى قبل أن ينقض على مرة أخرى.. لو كنت موجودا لانبهرت بالمشهد حتما، فتأثيرا الظلال الحمراء مع جدران المكان الصخرية وانقضاضه الأسطوري ودفاعي المستميت عن روحى.. لقطة بارعة صاغها عقل ملبد بالجنون!
صرخت:
- (أحمد).. أفق، لا أريد أن أقتلك..
لم يرد وإنما استمر يكيل لى اللكمات بشكل قوى مستمر.. ليس فى وعيه على الإطلاق!
رباه.. ماذا أفعل!
أخذنا نتدافع حتى سقط على الأرض.. وقفت ألهث وأنظر إليه.. أنا منهك تماما ولن أستطيع الاستمرار فترة أطول، ثم عاجلنى بضربة فى ركبتى أسقطتنى أرضا وأفلتت السلاح من يدى..
كانت (كاميليا) استعادت قواها بشكل ما! ربما التأمت جروحها جزئيا أيضا، لكنها لم تنتظر.. مدت يدها والتقطت الخنجر الذى كان جوارها ومدت يدها تلتقط قطعة الجلد المستطيلة التى استخدمتها كورقة، وغمست الخنجر فى بركة دم قريبة وبدأت تكتب عليها أشياءا!
أما (أحمد) فقد التقط سلاحى ونهض بسرعة قبل أن يصوبه إلى رأسى مباشرة!

** ** ** ** **

كنت قريبا جدا من الموت..
لحظات فارقة أنقذنى فيها ظهور (إيمي) التى انهالت على يد (أحمد) بالجزء الخشبى فى البلطة لتنطلق الرصاصة بعيدا عن رأسى ويطير السلاح ليسقط على الأرض بعيدا، ومدت يدها تحتضن رقبته من الخلف تعتصرها بالبلطة، لكنه مد يده وأطارها من خلفه للأمام ببساطة.. سقطت على الأرض جوارى سقطة صعبة للغاية، وسقط هو جوارها..
حاولت أن أزحف لأصل للسلاح..
جسدى كله يئن ويعترض على ما يحدث، وما أن مسست السلاح حتى رأيت حذاءا جميلا يثبت يدي على الأرض.. رفعت رأسى لأجد (كاميليا) تقف فوقها، قبل أن تنحنى وتجذبنى بقوة خارقة لأقف أمامها.. عيناها مظلمتان تماما وتبتسم فى سخرية وشر.. قربت وجهي من وجهها وهمست:

- أنتَ.. لا تريد أن تهدأ وتستسلم.. أنت وصلت إلى نهاية الرحلة الآن، ولكن قبل أن أقتلك..

مست وجهى بخنجرها قبل أن تستطرد:

- أحتاج إلى غلاف جديد لكتابى!

اللعنة.. إنها تريد أن تنزع جلد وجهى!
وانغرس السكين فى جلدى مسببا ألما لا يمكن احتماله!

** ** ** ** **

صحت فيها بذعر:

- انتظرى للحظات أريد أن.. اقول شيئا..

أومأت برأسها منتبهة لما أريد قوله، لكني رفعت أنا الآخر سلاحى الذى لم أتركه من يدى قط وأطلق على بطنها النار لتندفع بعيدة عنى فى توحش..
وقفت وصوبت المسدس وأطلقت رصاصة أخرى على يدها التى تمسك الخنجر ليسقط على الأرض! أعتقد أنها ربما تكون رصاصتى الأخيرة.. معى بعض الذخيرة أيضا في جيبي لكن لا وقت لهذا الهراء، انحنيت ألتقط الخنجر واندفعت نحوها، ولأول مرة بدا على عينيها الفزع.. وما أن مسها حتى سمعت صوتا يشبه صوت التقاء المعدن الساخن بالماء البارد وشممت رائحة شياط ينبعث من جسدها مع دخان خفيف..
هذا السكين يؤذيها كما يؤذي الشياطين إذن!

هذه مفاجأة سارة!

** ** ** ** **

- والآن.. قواعد اللعبة تغيرت، أليس كذلك؟

قلت جملتي بسخرية شامتة وقرنت كلامى بأن مسست جبهتها فارتفع الدخان منها على الفور.. تأثير مذهل لهذا الشيء..

- انزعى ما وضعتيه على (أحمد) على الفور..
- وإلا ماذا؟ تقتلنى؟
- نعم..
- إذن هو وهى ميتان..

نظرت لهما بطرف عينى، (إيمي) على الأرض تجاهد لتبعده عنها وهو يكبلها تماما وقبضته حول عنقها تنتظر إشارة ما لتعتصرها حتى الموت!

عدت أنظر لـ(كاميليا) التى نظرت في عيني مباشرة وقالت بلهجة تعقل:

- أنت لا تفهم.. هدفنا واحد ولكن بطرق مختلفة.. لماذا لا تقبل ما أعرضه عليك فقط وتبحث عن سعادتك الخاصة.. ابتعد عن كل هذه الهموم..

صمت للحظات.. الكلام يصادف هوى فى نفسي، وأرغب فعلا فى هذه الهدنة.. أرغب فى الابتعاد عن كل شيء والحصول على حياة هادئة..لذلك قلت بتردد:

- يمكنني أن أبتعد عن طريقك ونصنع هدنة بشكل ما، لكني لن أبتعد وحدى..

أشرت تجاه (أحمد) و(إيمي) وقلت:

- أريدهما معى.. وأيضا يجب أن تثبتى لى شيئا أستطيع الاعتماد عليه فى التعامل معك.. أقصد يجب أن تضمني لي عدم الحنث بوعودك لاحقا!

بدا عليها التفكير لثوان قبل أن تومىء برأسها موافقة وأشارت للكتاب بطرف يدها فطار فى الهواء إليها! لو كنا نعيش أحداث فيلم خيالى لاتهمت المخرج بالمبالغة الشديدة والإفراط فى الخيال الذى يستخف بعقل المشاهد!

انفتح الكتاب وقرأت منه شيئا ما، وعلى الفور سقط (أحمد) يلهث جوار (إيمي).. لم يسقط عنه القناع وإنما فقط تخلت عنه قبضة الشر..

- رائع.. وبقية الاتفاق؟

رفعت عينيها لى وهي تقول بلهجة انتصار:

- إذن.. هل بيننا اتفاق؟
- **لا!**

صرخ بالأخيرة (أحمد) وهو يكمل بمرارة:
- لا تفعل ذلك.. أنت لا تعرف ما الموجود بالأسفل.. إنه أمر رهيب لا يمكنك تخيله.. إنه أسوأ من كل كوابيسك.. أنا رأيت بنفسي، وصدقنى موتنا جميعا أفضل من انتصارها..

نظرت له وهززت رأسى نافيا رافضا وجهة نظره، ثم قلت:
- ربما كان من الأفضل ألا نستمر فى هذا الهراء أكثر من ذلك.. لقد اكتفيت تماما وأريد الهدوء، ثم.. فلندعها وشأنها مع شياطينها.. أريد حياة طبيعية فحسب لى ولكما..

عدت أنظر لـ(كاميليا) وأكمل بصوت حازم حاسم:
- بيننا اتفاق!

على الفور، وبإشارة من إصبعها طار غلاف الكتاب من على وجه (أحمد) ليعود إلى مكانه القديم على الكتاب ويلتحم به بلا أى أثر وكأنه لم يغادره على الإطلاق..

رفعت (كاميليا) يدها مصافحة إياي، فرفعت يدي ببطء أصافحها أنا الآخر..

شعرت بارتياح زائف..

حياة طبيعية أخيرا!

** ** ** ** **

كنت أقود السيارة وخلفى (أحمد) و(إيمي) يجلسان منهكين..

أنا سعيد للغاية، على العكس من الشابين فى الخلف الذان بدا عليهما التذمر، وسرعان ما قال (أحمد) فى حنق:
- لم يكن من المفترض أن تفعل هذا..

قلت فى مرح:
- لم يكن من المفروض أن أفعل أى شىء غير هذا.. أنا اتخذت القرار الصائب.. لا تقلقا..

للحق، فى قرارة نفسى أنا أعرف أنى مخطىء.. أنا لم أفعل أى شىء مما كنت أرغب فيه..

لم أنقذ صديقى..

والعالم سوف يمتلىء بما لا يعلم كنهه إلا الله وحده..

لكن.. هل يمكننى أن أستريح قليلا؟

ثم لماذا لا يحمل أحد غيرى عبء حماية العالم!

أنا تعبت!
مددت يدى وفتحت المذياع لأجد المذيع يصرخ.. انفتحت فتحات كبيرة فى الأرض فى كل مكان، وعلى الفور أغلقت المذياع وسط ذعر من يجلسان خلفى..
أنا لن أهتم بشىء بعد الآن..
أنا ذاهب لأحصل على حياتى الطبيعية أخيرا!
كنت أقود بأقصى سرعة متجها لأهلى..
لم أر الفتحات التى تكونت خلفى فى الأرض..
لم أر الدخان الذى يتصاعد ليملأ الجو..
لم أر أى شىء..
انا سعيد للغاية!

** ** ** ** **

ثم.. دارت الأمور بسرعة خارقة.. فجأة وجدت (كاميليا) تطير أمام السيارة وخلفها الجو صار أسودا تماما وكأننا دخلنا زوبعة فجأة.. رفعت يديها لتتكون بالقرب منا فجوة سوداء ضخمة..
صرخنا..
لم نستطع فعل أي شيء..
حاولنا فتح الباب، والخروج من السيارة لنهرب من هذا الذي يحدث، لكن الفجوة السوداء ابتلعتنا واسودت الدنيا أمامنا تماما..

** ** ** ** **

عندما أفقت كنت ممدا على أعشاب لطيفة والجو صحو.. السماء زرقاء جميلة والناس من حولي سعداء..
نهضت أحاول أن أفهم أي شيء.. أنا بالقرب من منزلي، فبدأت أتوجه له.. إنه المكان الوحيد الذي يمكن الذهاب إليه الآن.. رفعت هاتفي لأتصل بـ(أحمد) لكنه لم يجب الاتصال.. الهاتف لم يعطني أى رد فعل على الإطلاق!
كذلك هاتف د.(جلال)..
صعدت للمنزل وفتحت الباب لأجدك أمامي..
تنهدت وقلت:
- أنا لا أفهم .. أنت هو أنا بكل تفاصيلنا.. لست ممسوسا مثل الذي حكيت عنه، ولست نسخة شيطانية.. أنا هو أنا وأنت هو أنت! نفس بصمة الهاتف وملامح الوجه.. نفس توزيع الشعر الأبيض في الذقن والشعر! أنت نسخة مني!

- بل أنت نسخة منى!

تنحنح د.(جلال) ثم قال:

- أعتقد .. أنك لست من عالمنا هذا..

وأشار لـ(أحمد زكي) الذي يجلس أمامنا!

** ** ** ** **

لا تنسَ اسم الرواية من فضلك!

هل تعتقد أنك رأيت ما يكفى من الهراء والجنون؟

هل تعتقد أني تماديت في جنوني قليلا؟

ألم يكن العنوان تحذيرا كافيا؟

صبرا..

صبرا!

** ** ** ** **

أخذ د.(جلال) نفسا عميقا، ثم أردف:

- أنت لست من هذا العالم.. لا أعرف من أين أتيت، ولا كيف وصلت إلى هنا.. ربما أنت من عالمٍ موازٍ، أو من مستقبل قريب، أو حتى من كوكب آخر.. أعرف أنك بشري مثلنا وأنك غالبا صادق في كل ما قلته..
اختبرتك بما أعرفه من اختبارات دون أن تشعر وبالفعل أنت لم تشعر!
لم تتأثر بتلاوتي الخافتة كما أن جلوسك في هذا المكان أصلا يعتبر جواز مرور لك..

كنت أتابع ما يحدث دون تعليق.. كيف يمكنني أن أنظر لنفسي وهو يحكي كل هذه المصائب دون أن أشعر بالدهشة!

أومأ الجالس برأسه وهو يشرد بعينيه وقال:

- أرجح أني من المستقبل القريب.. الأمور ساءت بما لا يقاس، ولكن..

رفع نظره نحوي (أنا أحمد زكي الخاص بعالمنا) وقال:

- ولو أني من المستقبل فما حدث لي سوف يحدث لك لا محالة..

امتقع وجهي.. أنا لست جريئا لهذه الدرجة.. ثم كيف يمكنني أن أواجه كل هذه الشياطين والكائنات المخيفة.. كل هذه الدماء لا تليق بي.. هذا الجالس لا يمكن أن يكون أنا! لكنه أكمل:

- وأعتقد.. أن بإمكاني إيقاف كل هذا الجنون..

- كيف؟

كان السؤال من د.(جلال)..
اعتدل الجالس ونظر نحوي وهمس بجدية بالغة:
- أريد الحصول على الكتاب الذي معك!
نظرت له مندهشا.. كيف يمكن أن يكون هذا حلا؟
- اسمعني.. أنت لا تريد فعل ذلك وأنا أفهم هذا جيدا.. أنا هو أنت بعد بضعة أشهر فقط لو لاحظت، لكن الفكرة هى.. أنا أعرف الصفحة التى بها الطريقة الخاصة بالسفر عبر الزمن.. أريد الاطلاع عليها، أذكر شكلها بالتقريب عندما رأيتها فى متجر الكتب.. لو أمكنني العودة فسآخذ الكتاب معي وبهذا ينتهي الشر من عالمك ولن تواجه متاعبا أخرى.. ما رأيك؟

نظرت لد. جلال فوجدته يفكر فى عمق.. الأمر خطير لكنه منطقي.. أن ينتهى كل شيء بلا عودة، ولكن.. (هشام) أيضا لن يعود.. ولكن ما الضمان أصلا أنه ربما يعود؟ لا يجب أن نتمسك بخيط واهٍ ونضيع فرصة بين أيدينا.. أردف الجالس أمامنا بلهجة مريرة:

- الموضوع ليس سهلا على الإطلاق.. أنا لا أعرف كيف أقوم بهذه التعويذة أو أيا ما كانت .. أنا لا أعرف إلى أين يمكنني الذهاب، وهل سأعود إلى عصرى أو زمني أو لا.. مجرد ظن، لكني بلا مستقبل حقيقي هنا.. أشعر بالقلق ينهش قلبي على زوجتي وأولادي.. لا أعرف أين هم، ولا أعرف كيف حالهم الآن.. حياتهم بدوني وكأن أباهم قد مات بينما أنا حي أرزق أمر قاتل.. أنت تفهمني!

كلامه مزق قلبي تمزيقا وقضى علي البقية الباقية من مقاومتى فأشرت غليه بالموافقة..
على بركة الله !

** ** ** ** **

اجتمعنا فى مكان مغلق مؤمن على ضمان د. (جلال) ثم أخرجت الكتاب وأعطيته لنفسي.. تناول الكتاب وأخذ يقلب فيه متأملا حتى توقف أمام صفحة ما وأخذ ينظر لها مفكرا.. ثم رفع رأسه لنا مشيرا إليها فى وجوم..
هذه هى..
انقبض قلبي وأنا أنظر إليها وأشعر بالخوف يملأ قلبي.. ماذا يمكن أن يحدث؟
- هل تعرف ما الذي يمكن أن يحدث؟

- لا.. لكن عندي فكرة.. سأفتح الصفحة و..

قرن كلامه بأن أخرج هاتفه، وفتح التسجيلات.. وأكمل:

- كان البائع يصرخ بكلام ما.. أنا سجلته، سأفتحه وأردد ما فيه.. كان يقول هذه الكلمات عندما أراد استحضار الشيطان.. سأفتح الصفحة وأردد الكلمات، فإما أن تعمل التعويذة وإما أن يأتينى الشيطان فأتفاوض معه لأعود وهو يعرف كيف..
- تتفاوض معه على ماذا؟

نظر لنا وابتسم قائلا:

- على الكتاب.. أن نعود به سويا وهناك أعطيه إياه للأبد.. وفى عالمي يصير منه نسختان، فليتصرفا مع بعضهما.. سأعود إلى أسرتي فحسب، ثم فليحترق كل شيء..
- هذا كلام خطير..

رفع عينين مغرورقتين بالدموع وهمس:

- لن أعيش بدون أسرتي.. إما أن أعود إليهم وإما أن تنتهي حياتى فأرتاح!

أخذت نفسا وأنا أكتم دموعي.. اقتربت منه واحتضنته وياله من شعور عجيب!

شد د.(جلال) على يديه باحترام ثم قال:

- نحن بالخارج.. لو ساءت الأمور فسنتدخل فورا..

ثم ابتعدنا خارج الحجرة بانتظار ما سوف يحدث!

كان ابتعادنا هذا لأننا لا نريد السفر معه فى الزمن.. لو نجحت التعويذة فلربما ابتلعت الحجرة بما فيها راحلة إلى زمن آخر وهذا ما لا أرغب فيه قطعا!

ظللنا واقفين بالخارج ننتظر .. نسمع صوت حفيف خفيف وفجأة صدر صوت صرخات رهيبة من الحجرة مصحوبا بطرقات عنيفة وزمجرة وحوش وكل شيء أصيب بالجنون فجأة.. أضواء مخيفة انبعثت من تحت الباب وكأن شمسا صغيرة نبتت بالداخل، وشعرت بالبيت كله يرتج..

صراخ صراخ و أصوات مفزعة، ودون وعى اندفعت مع د.(جلال) للحجرة واقتحمناها لنجد حجرة فارغة محترقة..

اختفى شبيهي..

اختفى الكتاب..

اختفت كل محتويات الحجرة..

حوائط محترقة فقط..

ماذا حدث هنا؟
أعتقد أننا لن نعرف أبدا!
** ** ** ** **
جلست فى المنزل أحتضن أولادى فى حنين.. ما حكاه شبيهى كان فوق احتمالي بما لا يقاس.. أرجو أن يكون قد عاد إلى زمنه.. أو أرجو أن أكون قد عدت إلي قواعدي سالما!
لو كان من المستقبل فأعتقد أنى لن أقابل مثل هذه الأحداث فى المستقبل.. فليس عندي كتاب كى تحدث كل هذه الأحداث..
كنت أشعر بالارتياح، فقبلتهم جميعا ثم نهضت لأنام جوار زوجتى.. أسمع صوت الحاج صلاح الوغد وهو يتشاجر مع الجيران حول المياه وفاتورة كهرباء السلم فأبتسم وأغلق عينى لأغرق فى نوم عميق بلا أحلام..
** ** ** ** **

تمت

شكر خاص:
شكر عميق من القلب:
زوجتى العزيزة.. شكرا بحجم كل شىء فى الكون.. شكرا لأنك بجانبي طوال الوقت وفي كل وقت..
د. محمود صلاح.. أخي وصديقي ومكسب من مكاسب حياتي.. شكرا جزيلا بدون تفسير..
زوجتى العزيزة الجميلة والرقيقة.. لا أجد كلمات تصف شكري لك، ولكنى أقدم لك حبي وشكرى وقلبي، وأعتذر عن تعبك معي..
الأستاذ يحي هاشم.. هذا الرجل أحبه من قلبي بلا شروط وبلا سبب محدد.. أحب طريقة كلامه وأحب نقاء قلبه وأحب التعامل معه، وحقيقة أفرح بسماع صوته، فله جزيل الشكر..
زوجتي العزيزة.. أحب أن أتقدم لك بخالص شكرى وفخري بكونك أنت زوجتي.. هذا كرم من الله وفضل كبير أحمد الله عليه..
(فلنر كيف ستعترض على شكري هذه المرة! جاء في المقدمة والمنتصف والخاتمة.. قبل كل الناس وفى قلبهم وبعدهم.. فلتشهد على هذا الكلام يا عاصم!)